

مجمع اللغة العربية

(دمشق : كانون الثاني سنة ١٩٢٧ م الموافق رجب سنة ١٣٤٥ هـ)

المجمع العلمي العربي

« في سنة ١٩٢٦ »

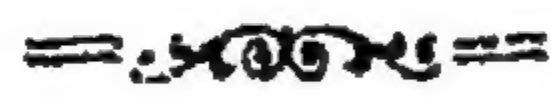
الرئيس : السيد محمد كرد علي

« الاعضاء »		« الاعضاء »	
محل الإقامة	السادة	محل الإقامة	السادة :
دمشق	١٣ عبد الله رعد	دمشق	١ اسعد الحكيم
=	١٤ فارس الخوري	=	٢ انيس سلوم (عامل)
=	١٥ مرشد خاطر	=	٣ بهجة البيطار
=	١٦ مسعود الكواكبي	=	٤ خليل مردم بك
=	١٧ مصطفى الشهابي	=	٥ رشيد بقدونس
بيروت	١٨ ابراهيم منذر	=	٦ سليم البخاري
=	١٩ امين الريحاني	=	٧ سليم الجندي
=	٢٠ بولس الخولي	=	٨ سليم عنخوري
=	٢١ جبر ضومط	=	٩ شفيق جبزي
=	٢٢ شبيب أرسلان	=	١٠ عارف النكدي
=	٢٣ عبد الباسط فتح الله	=	١١ عبد القادر المبارك
		=	١٢ عبد القادر المغربي (عامل)

محل الإقامة	«الاعضاء»	محل الإقامة	«الاعضاء»
طول كرم	٤٥ سعيد الكرعي	بيروت	٢٤ عبد الرحمن سلام
النجف الاشرف	٤٦ رضا الشيباني	=	٢٥ عبد الله البستاني
بغداد	٤٧ امين المعلوف	=	٢٦ فيليب حني
=	٤٨ انتاس الكرولي	=	٢٧ فيليب طرازي
=	٤٩ جميل صدقي الزماوي	=	٢٨ لويس شيخو
=	٥٠ عن الدين علم الدين	=	٢٩ عيسى اسكندر المعلوف زحلة
=	٥١ كاظم الدجيلي	النبطية	٣٠ احمد رضا
=	٥٢ معروف الرصافي	طرابلس الشام	٣١ جرجي بني
القاهرة	٥٣ احمد الاسكندري	اللاذقية	٣٢ سليمان احمد
=	٥٤ احمد تيمور	=	٣٣ ادوارد مرصع
=	٥٥ احمد زكي	انطاكية	٣٤ محمد زين العابدين
=	٥٦ احمد عيسى	حلب	٣٥ بدر الدين النعماني
=	٥٧ اسعد خليل داغر	=	٣٦ جرجس شلعت
=	٥٨ رشيد رضا	=	٣٧ جرجس منش
=	٥٩ عباس محمود العقاد	=	٣٨ راغب الطباخ
=	٦٠ محمد الخضر حسين	=	٣٩ عبد الحميد الجاهري
=	٦١ يعقوب صروف	=	٤٠ عبد الحميد الكيالي
الامانة	٦٢ زكي مغامر	=	٤١ قسطنطين الحمصي
تونس	٦٣ حسن حسني عبدالوهاب	=	٤٢ كامل النوري
الجزائر	٦٤ محمد بن ابي شنب	=	٤٣ ميخائيل الصقال
الهند	٦٥ محمد أجمل خان	القدس	٤٤ اسعاف النشاشيبي

محل الإقامة	« الاعضاء »	
تونس	Marçais	٦٦ مارسية
الجزائر	Massé	٦٧ ماسه
ازمير	Guy	٦٨ كي
طنجة	Michaux-Bellaire	٦٩ ميشو بيلير
باريز	Huart	٧٠ هوار
=	Ferrand	٧١ فرانت
=	Dussaud	٧٢ دوسو
=	Massignon	٧٣ ماسينيون
=	Bouvat	٧٤ بوقا
إيطاليا	Guidi	٧٥ جويدي
=	Nallino	٧٦ نالينو
اسبانيا	Asin	٧٧ آسين
البرتغال	Lopès	٧٨ لوبس
سويسرا	Montet	٧٩ مونت
=	Hess	٨٠ هيس
هولانده	Snouck-Hargronje	٨١ سنوك هورغرون
=	Houtsma	٨٢ هوتسما
=	Arendonk	٨٣ اراندونك
انكلترا	Margoliouth	٨٤ مرجليوث
=	Bevan	٨٥ بفان
ألمانيا	Hommel	٨٦ هومل
=	Sachau	٨٧ ساخاو
=	Brückelmann	٨٨ بروكمان
=	Horovitz	٨٩ هوروفيتز

محل الإقامة	« الأعضاء »	
ألمانيا	Herzfeld	٩٠ هرزفيلد
=	Hartmann	٩١ هارتمان
=	Mittwoch	٩٢ ميتفوخ
السويد	Zetterstéen	٩٣ زترستن
الدانمارك	Østруп	٩٤ أوستروب
=	Buhl	٩٥ بولس
=	Pedersen	٩٦ پدرسن
النمسا	Mzik	٩٧ موجيك
المجر	Mahler	٩٨ ماهر
بولونيا	Kowalski	٩٩ كوفالسكي
روسيا	Kratchkovsky	١٠٠ كراشكوفسكي
تشيكوسلوفاكيا	Musil	١٠١ موزل
أميركا	Macdonald	١٠٢ ماكدونالد
فنلندا (١)	Karsikko	١٠٣ كارسيكو



(١) والأعضاء الذين تقدم المجمع هم المرحومون : الشيخ طاهر الجزائري في دمشق • والسيد نجلة زوين في القدس • والسيد اغناطيوس غولد صهير في بودابست • والسيد مرتين هارتمان في برلين • والسيد رينه باسه في الجزائر • واحمد كمال باشا والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي في القاهرة • والسيد محمود شكري الالوسي في بغداد • والسيد غريفيبي والسيد رفيق العظم في القاهرة • والسيد حسن بيهم في بيروت • والدكتور صالح قنباذ في حماة • والسيد مالنجر والسيد الياس القديبي في دمشق • والسيد براون في كبريج • أجزل الله ثوابهم •

سهل بن هارون^(١)

« منبته ونسبه » : — ولد سهل بن هارون^(٢) في مدينة ميسان بين واسط والبصرة وفي رواية في دستان ميسان كورة بين الأهواز وواسط والبصرة ، في أواخر النصف الأول من القرن الثاني تقديراً ، ولا يعرف من نسبه إلا أنه سهل بن هارون بن راهبون (راهبون) وكنيته أبو عمرو ، فارسي الجنس ، أهوازي أو خوزي المولد ، عراقي المنشأ . تحول إلى البصرة في سن لم تعرف ، وكانت البصرة إذ ذاك مدينة العلم في الدولة الإسلامية ، بل مدينة العلم في العالم كله ، أو كما قيل فيها « قبة الاسلام وخزانة العرب » ، حوت من حصائل العلم الانساني اصوله وفروعه ، ومن القائمين على أعمقه مضامعه ونحوه ، فغذى روحه بلسان مجالسها ومجامعها ، واستنار عقله بما اقتبسته من نور معارفها ، فتخرج بعلمائها ، ولا شك أنهم كانوا طبقة عالية جداً ، في كل مطلب من مطالب الآداب .

وكانت البصرة بل المملكة الإسلامية أخذت في تلك الحقبة ، تتمازج فيها مدنية العرب بمدنية الفرس والروم والهند ، وبدأت المذاهب الفلسفية تتسرب في المجتمع الاسلامي ، وعلماء الامة يتعاورهم الجزر والمدة على شاطئ وبحر الحكمة القديمة ، شأن

(١) محاضرة السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي ألقاها في ردهة المجمع يوم ٣ كانون الأول سنة ١٩٢٦ . (٢) لم يترجم سهل بن هارون القفطي في اخبار الحكماء ، ولا ابن خلدكان في وفيات الاعيان ، ولا البيهقي في حكماء الاسلام ، ولا السمعاني في الانساب ، ولا ابن الانباري في طبقات الادباء . وترجم له تراجم موجزة كل من الصفدي في الوافي بالوفيات والصلاح الكتبي في فوات الوفيات وفي عيون التواريخ ، وابن نباتة في شرح رسالة ابن زيدون وابن بدرون ، في شرح قصيدة ابن عبدون ، والثعالبي في المضاف والمنسوب . وترجم له كرامس الهولاندي من علماء المشرقيات في المعلة الاسلامية ، واقتصر على مقالته المترجمون فيه وفاته انه كان من رجال الرشيد وقال انه لم يجتمع بالجاحظ مع ان الجاحظ يروي عنه كثيراً في كتبه المطبوعة .

مدينة البصرة مع خليجها ، يمد ماؤها ويجزر على الدوام ، وما زالوا هذا حالم يفوضون في بحار الافكار حتى أخرجت عقولهم درزاً غريبة ، كما يخرج بحرهم الجواهر واللاقي الثمينة النادرة . وكانت النفوس حريصة على الدين الذي دون وحرر ، راغبة كل الرغبة في الاخذ بما لا عهد لها به من علوم الامم السالفة . وفي هذا المحيط انبعث عقل سهل بن هرون لاول امره ، في ارض صالحة لانماء العقل والملاقاة من قيوده ، ولم يُعرف اذا كان سهل رحل الى الروم وفارس والشام ومصر ، والغالب انه لم تُنعد لنقلاته مدينة الرقة قصبة ديار مصر ، والرصافة رصافة هشام في اول تجزؤ الشام ، واكتفى بالبصرة وبغداد . وجميع هذه المدن الاربع الرصافة والرقة وبغداد والبصرة هي من بناء العرب . وكانت بغداد أجمل مدن الارض في ذلك العصر ، وفيها كل شيء جديد سواء أكان ذلك في خططها ومرافقها ، او في عقول اهلها ونبرغ علمائها ، يحمل اليها من الآفاق بدائع ما صنع البشر ونجت عقولهم . والدول سوق يحمل اليها ما يروج فيها . لا نعلم على التحقيق منشأ والد سهل ، ولا مظهره ومذهبه ، ولا أصل أم سهل وتربيتها ، ولا معلمه في بلده ، ولا أسابته في البصرة ، ولا أنسابه ولداً في صباه ، ولا غير ذلك من العوامل التي لها الشأن الاكبر في تربية الملكات ، وتلقين الاخلاق والعادات . يُنبأ عليها النبي فتطبع حيانه بطابع خاص ، تُعذر في عقود العمر الآخرة إحالتها واستحالتها . بيد انه من المعقول ان يكون قانون الوراثة اورثه جرائم دم الفرس وحكمتها ونظامها وأدبها ، وضم اليها الثقافة العربية فجاءت منازعه خليطاً نافعاً ، ومداركة متينة رصينة .

أضف الى هذا ان مملكة بني العباس كانت سيدة الممالك ، على ما كانت البصرة سيدة البلاد بصفائها ومنائها ، وقوتها وعزتها ، وربما كان العصر الذي نشأ فيه سهل ابن هرون أجمل عصور التاريخ ، والملك موحد من المغرب في شمالي افريقية الى حدود الشرق ، وليس في الارض حكومة اسلامية غير الاندلس بيد بني مروان : لا غوائل ولا فتن في الداخل والخارج ، يشتمل الناس على السلامة ، ويقتبطون بما أوتوا في سلطان بني هاشم ، وكلما نجم ناجم من العلويين او غيرهم كانت جيوش العباسيين تقضي عليه لساعته ، فضعف المنازعون الى منازعة الخوارج حبل السلطة .

وغدت ممالك الشرق والغرب تتنافس في رضا خليفة العرب ، والملك من ملوك آسيا وأوربا اذا تيسر لقاصده او سفيره ان يتشرف بالحضرة حضرة بني العباس ، يسعد ويمتدح في تملطانه ، وعدة ذلك نعمة حازها دون أقرانه .

« مذهب وأخلاقه » : — قيل ان سهل بن هرون كان شيعياً ، وشيعة العراق في زمنه كانوا على الاطلاق معتزلة ، ولم يؤثر عنه ان لنقص احداً من الصحابة الكرام ، بلي عرف بالاعتدال مع الأموات اعتداله مع الأحياء ، وما أثر عنه انه خاض غمار مباحث الكلام التي كانت على أشد حرارتها اذذاك ، ولا سيما في البصرة ودار السلام بغداد . واتهموه بأنه كان من الشعوبيين الذين يصغرون شأن العرب ، ولا يرون لهم على العجم فضلاً ، واذا صحت هذه التهمة فمن الصعب التوفيق بين مذهب من يقول بالشعوبية ومن يقول بالتشيع ، على المعنى الذي فُسر به بعد قرون .

والشعوبي منسوب الى قوله تعالى : « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . ونشأ مذهب الشعوبية على الأرجح في عصر الخلفاء ، باشتداد قوة التجاذب والتدافع بين أرباب العصبية ، وكان من أثر ذلك التفاضل بالجنس الذي جاء الاسلام بابطاله ، ولو كان للجنس بفضل المرء في الامة ، ما نزل سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي من الرسول تلك المنزلة العالية . والدين لا يفاضل الا بالتقوى . على ان أعظم من كانوا يكيدون للعرب بالشعوبية السخيلة والحشوة وأوباش النبط وأبناء أكرة القرى ، لا أشرف العجم وذوو الاخطار واهل الديانة ، على ما رأى ابن قتيبة . اذا عرفت هذا فادفع عن سهل دعوى الشعوبية ، غير خائف ولا متجلبج ، فاعتداله بمنعه الا ان يقدر لكل عنصر خصائصه ، وهو لم يعد رجلاً مذكوراً الا بالاسلام ، والأخذ عن علماء العرب ، ورفي في مظاهر الدنيا حتى وصل الى أعظم خلفاء العباسيين هرون الرشيد وعبدالله المأمون . وكان بفضل العلم احد أئمة البيان والحكمة في الامة العربية ، ودعي لحكمته وعقله بزرجمهر الاسلام . وبزرجمهر وزير انوشروان العادل ، من ملوك آل سامان ، اشتهر بالعدل والحكمة . وصفه الجاحظ فقال : كان سهل سهلاً في نفسه ، عشيق الوجه ، حسن الشارة ، بعيداً من القدماء ، (الرعي) معتدل القامة ، مقبول الصورة ، يقتضي له بالحكمة ،

قبل الخبرة ، وبرقة الذهن ، قبل المخاطبة ، وبدقة المذهب ، قبل الامتحان ، وبالنبيل ، قبل الكشف (الظهور) . وكان الجاحظ مازجه وثاقفه . وقيل للحراني ولعله ابراهيم ابن ذكوان كاتب الهادي ووزيره : بينك وبين سهل بن هرون صداقة فانمتد لنا كي نعرف فقال : هو كالخير ، وازن العلم ، واسع الحلم ، ان حدوث لم يكذب ، وان موزح لم يغضب ، كالغيث اين وقع ، تقع ، وككالشمس حيث اذلت ، احييت ، وكالارض ما حملتها حملت ، وكالماء ظهور للشمس ، وناقع لقلعة من احرار اليه ، وكالهواء الذي تقطف منه الحياة بالنسيم ، وكالنار التي يمش بها الموقرور ، وكالسماء التي قد حسنت باصناف النور اه . صورتان جميلتان في وصف سهل صورهما مصوران مبدعان ، عاشا بقربه وفتنهما بخلقه وخلقاه .

واتعموا سهل بن هرون بالبخل وأوردوا له قصصاً ونوادير ، وعده الجاحظ من « متعاقلي البخلاء وأشحاء العلماء » قال : ما علمت ان احداً جرد سيفه بالبخل كتاباً الا سهل بن هرون وابا عبد الرحمن الثوري . والبخل في الفرس غالب سيفه الجملة ، غلبة الكرم على طبائع العرب . فاقضى ذاك التفريط الذي رآه سهل سيفه تبذير العرب ، ان يدلي لقومه بأرائه المفرطة في الاقتصاد والإسك . وماشوهه فقط تفريط الا والي جانبه إفراط . وربما كان اتهامه بالبخل مبالغاً فيه ، تراد به النكته والنادرة . حكى الجاحظ قال لقي رجلاً سهل بن هرون فقال : هب لي ما لا ضرر به عليك فقال : وما هو يا اخي . قال : درهم . قال : لقد هونت الدرهم وهو طائع الله في ارضه لا بعصي ، وهو عشر العشرة ، والعشرة عشر المئة ، والمئة عشر الالف ، والالف دية المسلم ، ألا ترى الى اين انتهى الدرهم الذي هونتته . وجل بيوت الاموال الا درهم على درهم . فانصرف الرجل ولولا انصرافه لم يسكت .

وحكى ديعيل الخزاعي الشاعر قال : أقمنا يوماً عند سهل بن هرون ، وأطلقنا الحديث حتى أضرب به الجوع ، فدعا بقدائه ، فأثي بصحفة فيها مرق تجتد ديك هرام ، فأخذ كسرة ونفقد ما في الصحفة ، فلم يجد رأس الديك ، فبقي مطرقاً ثم قال للغلام : اين الرأس قال : رميت به قال : ولم قال : لم أظنك تأكله قال : ولم ظننت ذلك فوالله اني لأمقت من يرمي برجله فكيف برأسه ، ولو لم أكره ما صنعت الا للطيخة

والفأل لكرهته ، اما علمت ان الرأس رئيس يتفأل به وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح لديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه فرقه الذي يتبرك به ، وعينه التي يضرب بصفتها المثل فيقال شراب كعين الديك ، ودماغه عجب لوضع الكلية ، ولم أر عظماً قط أهش تحت الاسنان منه ، وان كان بلغ من ذبلك انك لا تأكله ، فعندنا من بأشكه ، او ما علمت انه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق ، انظر اين رميته ، فقال : والله ما أدري قال : انا والله أدري انك رميت به والله في بطنك فالله حسبيك .

ولما صنف سهل كتابه في البخل أهداه للحسن بن سهل واستباحه فكتب اليه الحسن : قد مدحت ما ذمه الله ، ونجحت ما قبحه الله ، وما يقوم بفساد معنك صلاح لفظك ، وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك ، فما نعطيك شيئاً . والحسن بن سهل وزير المأمون كان فارسياً ايضاً ، ولكنه في الجود آية الآيات . والطبائع اربعة ولانشا والعادة دخل كبير فيها ، ومع كل هذا فقد صح من شعر سهل قوله :
وما العيش الا أن تجود بنائل والا لقاء الاخ بالخلق العالي

ومن يقول هذا الشعر ، ويقصد هذا المعنى ، لا يكون من البخل على ما وصفوا ، ومن أفاد مالاً فادخره الى الايام السود ، كان في اخيائه على مثال ابناء البلاد الباردة الذين قد يذخرون مؤونتهم سنين وثلاثاً اما اهل البلاد الحارة فلا يفكرون الا في اليوم الذي هم فيه على الأثم الأغلب من حالاتهم . وقال غولد صهير المجري :
ان تمدح ابن هرون بالبخل ، نزغة من نزغات الشعوبية ، أراد بمدحه الخط من قدر العرب الذين جعلوا الكرم من مفاخرهم الوطنية .

« طريقته في الكتابة وتأليفه » : — ان رجلاً يفضل الجاحظ و يصف براعته وحصافته ، ويحكي عنه في كتبه ، ويظهر إعجابه به اذا ذكر ، ويروي حديثه ومجالسه ، هو ولا شك المثل الاعلى في صنوف العلم والآداب ، بلغ الذروة فيما نفرد به واشتهر بمعرفته ، وكان اهل عصره مجمعين على الاقرار بفضلته ، قلما يداخلهم الحسد له ، فكان منقطع القرين في فنه ، نابغة في العلم الذي يمت به ، وناهيك بمالم كبير كالجاحظ وهو في البلاغة يجري مع سهل كقرومي رهان ، وفي العلم والعقل المثل

المضروب ، كانت يؤلف الكتاب الكثير المعاني ، الحسن النظم ، فينسبه الى نفسه فلا يرى الاسماع تصفي اليه ، ولا الارادات تيم نحوه ، ثم يؤلف كما قال عن نفسه ، ما هو أنقص منه مرتبة وأقل فائدة ، فينحله عبد الله بن المقفع او سهل بن هرون او غيرهما من المتقدمين ، ومن طارت اسمائهم في المصنفين ، فيقبلون على كتبها ويسارعون الى نسخها . وطريقة سهل في كتابته طريقة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب لا يتكلف الكلام فلا يشاهد فيه الناقد اثر التعمد ، بل لا يكلف بغير ارسال النفس على سجيته فهو وابن المقفع والجاحظ من غرار واحد . وقيل ان سهلاً كاتب سلاطين والجاحظ مؤلف دواوين . وكان كلامه نفحة موسيقية تعرف انتهاء جملته من رنتها ، بعد ان ملكت عليك مشاعرك ، وأدخلت السرور على نفسك ، لا يحفل بالاسجاع الا اذا جاءت عفواً خاطر ، شأث بلغاء الصدر الاول . ولا يعتمد الجزالة الا اذا اقتضى الموضوع ذلك ، وقلم خلاق قوله من نكتة تحمده وتحمل عنه . وكانك في انشاء سهل تقرأ المعنى قبل اللفظ ، وما تنفع القوالب اذا لم يكن علم الكاتب بملي ، والمظاهر والدمائير مستملي . ففي أسلوبه تقرأ لتعلم ، وفي غيره تقرأ الناظراً جميلة وقوالب محكمة ، وفي كنه الطيب تقع على إشباع المعاني ، وتقطيع الجمل ، والابلاغ في المزاجية بين الكلمات لتأثر السامع ، وتعمل البلاغة فعلمها في نفسه من طريق الاتقان والبرهان لا من مجرى التقفية والزخرف ، وتوازن الكلمات ورنه الفقرات .

كان سهل يقول الشعر ، واكثر شعره مما أملاه قلبه ، في غرض خاص من أغراض المجتمع ، ودرء الجاحظ من الخطباء والشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار ، والكتب الكبار الجعلة ، والسير الحسان المولدة ، والاخبار المدونة . ولقبه مرة بالكاتب ، ولعل لقب الكاتب في شرفه أكبر من عالم . وذكره ابن النديم في البلغاء وقال انه شاعر مقل ، وعدة في الشعراء الكتاب وقال انه كان من يعمل الامتار والخرافات على السنة الناس والطير والبهائم هو وعبد الله ابن المقفع وعلي بن داود كاتب زييدة . وشعره خمسون ورقة . اما الدهشة ففي تأليفه فله ديوان رسائله ، وكتاب النمر والشلب ، وكتاب اسباسيوس (اسانرس) في اتخاذ الاخوان ، كتاب اسد بن اسد ، كتاب سمرة العقل ، كتاب تدبير الملك والسياسة ،

كتاب الى عيسى بن ابيات في القضاء ، كتاب الفرس ، كتاب الغزاليين ، كتاب ندود وودود ولدود ، كتاب الرياض ، كتاب ثعلبة وعفراء (وفي رواية ثعلبة وعفرة) على مثال كتاب كلبلة ودمنة قلده في أبوابه وأمثاله وقال المسعودي يزيد عليه اي على كلبلة ودمنة في حسن نظمه وقد صنفه للمأمون . ومن تأليفه كتاب افرزية والخزومي ، كتاب الوامق والعذراء الى غير ذلك من المصنفات التي لم تبق الايام وبالاأسف على واحدتها فيما علمنا ، ومنها ما عارض به كتب الادائل وجمعت الى الحكمة الفائقة البلاغة السريعة الغريبة .

ولا تعجب اذا رأيت بضعة من تأليف سهل في القصص والاسمار ، فان من الناس من يتعلم بالاحتياال عليه ، وصعب عليك ان تلقنه الثقافة العالية والاخلاق العاضلة ، الا في فائز يميل اليه بجماعته ، ظاهره منزل وإحماض ، وباطنه تعليم وإرشاد ، ومن أجل هذا كان هذا اللون من الأدب ، مما يلذ المطالع ويفيده علماً ، ويلقي عليه حكمة بالغة على فخر ما يفيل كبار القاصصين من اهل المدينة الحديثة . وكان حظه ابن المتفجع في هذا الباب أجزل ، لان كتابه كلبلة ودمنة الذي عربيه من البهلوية اشتهر اكثر من اشتهار ثعلبة وعفرة ، او غير ذلك من الاوراق التي كسرهما على القصص ، ولا تدل اسماء كتبه على انه كتب في موضوع أشبه بديني اللهم إلا كتابه في القضاء ، اما كتابه في تدبير الملك والسياسة فدليل على انه قرن العلم بالعمل في هذا الفن السهل الصعب .

« حيانته السياسية » : — لم نهند الى زمن انتقال سهل من البصرة الى بغداد ، وسكت التاريخ عن عهد رحيله من مسقط رأسه ، وعن سنة ولادته ، وغاية ما ذكر في ترجمته انه كان مختصاً بالفضل بن سهل اخي الحسن بن سهل وزير المأمون وان الفضل قدمه المأمون ولكن كتب المحاضرات والتاريخ تقول ان سهلاً كان من رجال الرشيد ، وانه دخل عليه وهو يضاحك المأمون فقال : اللهم زده من الخيرات ، وأبسط له من البركات ، حتى يكون في كل يوم من ابامه مربباً على امه ، مقتصراً عن غده . فقال الرشيد : يا سهل من روى من الشمر أحسنه وأرضنه ، ومن الحديث أفصحه

وأوضحه ، إذا رام أن يقول لا يعجزه القول . فقال سهل : يا أمير المؤمنين ما ظننت
 أن أحداً تقدمني إلى هذا المعنى . قال : بل أعشى كهمدان حيث يقول :
 رأيتك أمس خير بني أؤي . وانت اليوم خير منك أمس
 وانت غداً تزيد الخير ضعفاً . كذلك تزيد سادة عبد شمس
 وهذا يدل على أن سهلاً اتصل بالرشيد ، والمأمون حدث صغير . وأن سهلاً
 كان معروفاً برواية الشعر والحديث أيضاً . وقد شهد مقتل البرامكة في سنة ١٨٧
 وحدث فيما كان عليه يحيى وجعفر من البلاغة فقال إن سماعي الخطب ومجدي القريض
 عيال على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى ولو كان كلام يتصور درأً ، ويحمله
 المنطق السري جوهراً ، لكان كلامهما ، والمنطق من لفظهما . ولقد كانا مع هذا عند
 كلام الرشيد في بديعته وتوقعاته في كتيبه ، قدمين عبيد ، وجاهلين أميين .
 ولقد عثرت منهم ، وأدركت طبقة المتكلمين في أيامهم ، وهم يرون أن البلاغة لم
 تستكمل إلا فيهم ، ولم تكن مقصورة إلا عليهم ، ولا انتقادت إلا لهم ، وانهم يحضرون
 الأناام ولبساب الكرام ، وملح الأيام : عشق منظر ، وجودة مخبر ، وجزالة منطق ،
 وسهولة لفظ ، ونزاهة نفس ، واكتمال خصال ، حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهم ،
 والأثور من خصالهم ، كثير أيام من سواهم ، من لدن آدم أبيهم ، إلى النفخ في
 الصور وانبعاث أهل القبور ، حاشاً أنبياء الله المكرمين وأهل وحيه المرسلين ، لما بات
 إلا بهم ولا عولت في الفخر إلا عليهم ، ولقد صدقوا مع تهذيب أخلاقهم وكرم
 أعرافهم ، وسعة آفاقهم ، ورفق ميثاقهم ، ومعسول مذاقهم ، وبهاء إشرافهم ، وتقارة
 أعراضهم وتهذيب أغراضهم ، واكتمال خلال الخير فيهم إلى ملء الأرض مثلهم ،
 في جنب محاسن المأمون كالنفثة (النفثة) في البحر ، والخردلة في المهنم القفر .
 وهذا الكلام على ما فيه من حق في وصف البرامكة والرشيد والمأمون لا يتخلو من
 مصانعة ، وفيه مبالغة فارسية لم تكف تعرفها العرب على هذا الوجه ، ومن الصعب أن
 يتجرد المرء عن كل أخلاقه ، ويخرج عن دمه الذي ورثه ، مما عولج بالتعليم والتربية .
 شهد سهل هذه المناساة مأساة مقتل بني برمك وقال : إن الرشيد لما قتل جعفرأ
 بعث إليه وكان معه في الرقة يحصل أرزاق العامة مع يحيى بن خالد — والرقة كانت

مصطفى الرشيد وكان يقول الدنيا اربعة منازل دمشق والرقّة والريّ وضمردند —
ولما حمل نبأ مقتل جعفر كان سهل بين يدي يحيى يكتب توقيعات في أسفل كتبه
لطلاب الخوارج إليه قد كلفه إكمال معانيها باقامة الوزن فيها فلبس ثياب أحزانه لانه
كان على صلة دائمة بالبرامكة قال : فلما دخلت على الرشيد ومثلت بين يديه عرف
الدعر في تجرّ يض ربيّ ، والتمايد في طرّ ربيّ ، وشخصني الى السيف المشهور بيمري
فقال : إيه يا سهل من غمط نعمتي ، واعتدي وصيتي ، وجانب موافقتي ، أعجلته
عقوبتي « قال : فوالله ما وجدت جوابها حتى قال : « ليفرخ بروحك ، وليسكن
جأشك ، وتطيب نفسك ، وتطمئن حواسك . فان الحاجة اليك قربت منك وابتقت
عليك ، بما يبسط منقبضك ، ويطلق معقولك ، فاقصر على الاشارة دون اللسان ، فانه
الحاكم النازل ، والحسام النازل ، وأشار الى مصرع جعفر وهو يقول :

من لم يؤدبه الجيد لني عقوبته صلاحه

قال سهل : « فوالله ما أعلمني عيت بجواب احد قط غير جواب الرشيد يومئذ ،
فما عوت في شكره والثناء عليه الا على ثقيل بديه وباطن رجليه » . ثم قال لي :
« اذهب فقد أحللتك محل يحيى بن خالد وذهبتك ما ضمنته أبنيتته وحوي مرادقه ،
فأقبض الدواوين واحص جباياه وجبا جعفر ، لأنامرك بقبضه ان شاء الله . قال
سهل : فكنت كمن نشر عن كفن ، واخرج من حبس ، فأحصيت جباياهما فوجدت
عشرين الف دينار .

وبذلك تبينت مغزلة سهل وكيف أصبح بعد يحيى البرمكي صاحب دواوين الرشيد
ومع ما كان له من الإجلال في الصدور خاف يوم النازلة بالبرامكة وكانت البرامكة
كما قال ابن خلدون من محاسن العالم ، ودولتهم من أعظم الدول ، وهم كانوا نكتة
محاسن الملة وعنوان دولتها — ان تفرقه القافية لصحبتهم لم وامتزاجه بهم . وناهيك به
يومئذ من موقف صعب ، ولكن عقل الرشيد لاتعبث به الأهواء ، ويضنّ بعظيم من
رجاله لأسباب تافهة فأبقى على سهل بن هرون لانه من مفاخر الملة والدولة .
لا جرم ان سهل بن هرون كان في سياسته من حزب الحكومة او الحزب المعتدل ،

تمزب فطرته عن التطرف ، ويرى المصلحة في التألف ، وبعد الخروج عن سبيل
لجماعة خرجاً عن الطاعة .

والغالب ان عشرة سهل مع الرشيد دامت حتى مات هذا سنة ١٩٣ . ولم يجر
له ذكر في عهد الأمين مدة اربع سنين وثمانية اشهر وكسر فالتزم على ما يظهر
بينه ، واعتزل الفتنة بين الامين والمؤمن ، حتى اذا كانت اخلافة للمؤمن أصبح سهل
ابن هرون من خاصته كما كان من خاصة ابيه الرشيد من قبل . وروى بعض الرواة
ان المؤمن كان اسقل سهل بن هرون . وقد دخل عليه يوماً الناس على مراتبهم
فتكلم المؤمن بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فلما فرغ من ادمه أقبل سهل ابن
هارون على الجمع فقال : ماكنم نسمعون ولا نهن ، وتشاهدون ولا تفقهون ،
وتفهمون ولا تفهمون ، وتتعجبون ولا تصفون ؟ والله انه ليقول ويفعل في اليوم
القصير ما فعل بنو مروان في الدهر الطويل ، عربكم كعجمكم وعجمكم كعبيدكم ،
ولكن كيف يعرف بالدواء من لا يشعر بالداء . فرجع المؤمن فيه الى الرأي الاول .
وفي ذلك ايضاً من حسن المأثي والطف المدخل والخروج ، ما يعرفه المبتلي بمشرك الملوك
والعظماء ، ولا سبيل الى المدخل على اكثرهم الا بهذه الطرق من التلطف والتزلف ،
وان لم يصدق ذلك من كل وجه على الرشيد والمؤمن . وهما ما هما في العقل والعلم
والعدل . وأخرى وهو ان سهلاً بكلامه هذا ، ضرب الحاضرين في مجلس المؤمن
في الصميم وأنزل من مراتبهم ليستأثر وحده بتلك انزلة السنية ، فذهبهم الى السكوت
في مواطن القول والى القصور في ميدان الاستحسان والاستهجان ، ومن قدمت به
القرينة عن الانبعاث حين الحاجة كأن حرياً ان لا يباشر تلك العبثة من الخلفاء
ومذا من دهائه الكسروي .

رجع المؤمن عن رأيه في سهل ، وعرف انه الرجل كل الرجل في صورته وعقله
ومفاكحته وغنائه وأدبه ، فقربه وأدنا على الخدي الذي كان عليه في عهد والده وكان
سهل قد أسن بالطبع ، ويعرف المؤمن مذ كان طفلاً عند الخليفة والده . ولكن
المؤمن يحترم الكبير وهو رجا في جماع اموره . بيد انه لم يقبل باصطفائه الا بعد

اختباره . وعندما وقع عنده على امور نفرد بها وقد لا يجدها فيمن كانت اختارهم لعشرته من العلماء وهم عشرة اختيروا له من مئة .

« حياته العلمية » : — كان المأمون مولعاً بكتب القدماء والفلاسفة وعُدَّ ذلك من آكد أعماله في إنهاض مبشوى العقل العربي فأنشأ داراً جمع فيها كل ما طالت يده اليه من كتب العلم باللغات المختلفة .

وكانت جزيرة قبرس في ذاك العهد تشغب كثيراً على الخلافة وقد سبي عمال الرشيد أهلها مرة حتى اذا أنضت الخلافة الى المأمون مادن صاحب قبرس وارسل اليه يطلب خزائن كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليه احد ابدأ فيها قيل ، فجمع صاحب هذه الجزيرة بطائنه وذوي الرأي في بلده واستشارهم في حمل الخزانة الى المأمون فمكاهم أشاروا بعدم الموافقة الا مطراناً واحداً فانه قال : الرأي ان تعجل بانقاذها اليه فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا افسدتها وأوقعت بين علماءها . فأرسلها اليه واغبط بها المأمون . ثم صالح هذا الخليفة العالم صاحب الروم ميخائيل الثالث على ان يدفع اليه ما عنده من كتب القدماء وأرسل بعوثاً من ثقاته من المسلمين والنصارى لئلا ينح ما لا يتأتى للملك الروم إخراجه من الكتب فاجتمع للمأمون بذلك خزانة عظيمة فوق ما حمل اليه من الشرق والغرب وجعل سهل بن هرون خازناً لها وسماها بيت الحكمة فاشتغل بها سهل وكثرت مادته من العلم وجعل معه عالماً اسمه سلم كما جعل شريكاً له سعيد بن هارون ولعله اخوه ار ابن عمه .

ولا شك ان سهلاً تهيأت له أسباب البحث والنظر في بيت الحكمة التي أصبح ناظرها بما لم يتهيأ لغيره الوصول اليه . خصوصاً وهممة الخليفة منصرفه اي انصراف الى ترجمة كتب الفلسفة والعلوم والصناعات من اللغات الرومية والسريانية والفارسية والهندية . لا يهتأ له بال حتى تسمي المكتبة العربية تامة من كل وجه في علوم الدنيا على ما هي تامة في علوم الدين ، وقد كان شرع بالنقل عن اللغات الاخرى الامويان العظيمان خالد بن يزيد وعمر بن عبد العزيز في دمشق خلال القرن الاول وثني بذلك في بغداد الخليفة تان العباسيان المنصور والمأمون في القرن الثاني .

انسع الأفتق أمام عقل سهل واستكملت أمامه عامة أدوات النبوغ ولم تقف

به المهمة عند الاخذ من كتب الفرس والفارسية لغته الاصلية بل تعدتها الى الاخذ من كل ما طاب له من ضروب المعارف البشرية خصوصاً وانتقاله الى بغداد بعد البصرة جاء متمماً له بغيته وكانت اختلاطه برجال الخلافة وكانوا من كل صنف ونحلة وجنس معاوناً له على الكمال وظهور جوهر نفسه . وقد يستفيد المرء بالمشورة والنصيحة ما يستفيد من النظر في الكتب وتصفح دواوين العلم وصاحف النضائل .

وذكر الصفي ان سهل بن هرون تولى خزانة المأمون وتولى خزانة الحكمة له . اي انه كان له منصبان الاشراف على خزانة المأمون اي خزانة كتبه الخاصة والنظر على دار الكتب التي سميت دار الحكمة او بيت الحكمة . وكلا العاملين عظيم في بابيه ولكنهما من نمط واحد . وفي ذلك ما يشعر بان المأمون لم يكن يصبر عليه في قصره ولا يشبع منه انصرافه الى المصالح العامة فقط او انه لم ير الكفاية المطلوبة في غيره ليتولى هذين العاملين .

« نثره وشعره » : — ان النثر القليل الذي وصل الينا من كلام سهل بن هرون بهي^٤ لنا السبيل الى الحكم عليه في بلاغته ورجاحته وعلمه وكلام المرء عنوانه ومראته به تعلم ميوله ومنازعه وتستخرج دفائن نفسه . ومن كلام له في كتابه ثعلبة وعفرة : « اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدماً ، قبل الذي تجودون به من تفضلكم ، فان تقديم النافلة مع الابطاء في أداء الفريضة ، شاهد على وهن العقيدة ، ونقصير المروية ، ومضر بالتدبير ومخل^٥ بالاختيار ، وليس في تقع تحمد به عوضاً عن فساد المروية ، ولزوم النقيصة . » وهذا مأخوذ من قوله في يحيى بن جعفر :

عدو تلاد المال فيما ينوبه منوع اذا ما منعه كان أحزما

مذل نفس قدأبت غير ان ترى مكاره ما تأتي من العيش مغنيا

وكتب الى صديق له أبل^٦ من ضعف : « بلغني خبر الفترة في الإمامها وانحسارها والشكاة في حلوها وارشالها فكاد يشغل القلق بارله عن السكوت لآخره وتذهل الحيرة في ابتدائه عن المسرة في انتهائه وكان تغيري في الحالين بقدرهما ارتياحاً للاولى وارتياحاً للآخرى » .

ومن كلامه يعزّي : التهنئة بأجل الثواب ، اولى من التعزية على عاجل المصيبة .
وقال في المعنى : مصيبة في غيرك لك ثوابها ، خير من مصيبة فيك لغيرك ثوابها .
وقال : حق كل ذي مقالة ان يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها ، كما بدى بالنعمة قبل استحقاقها . وقال : تعلموا العلم فلا تئذم الزمان لكم ، خير من ان يئذم بكم . ومن
كلامه : العفو الذي يقوم مقام العتق ماسلم من تعداد السقطات ، وخلص من تذكر
الزلات . وكتب الى جعفر بن يحيى :

اذا ما الى يوم يفرق بيننا بموت فكن انت الذي يتأخر
وقال : الصديق لا يحاسب ، والعدو لا يحتسب له ، اي لا يعتد به ، وقال :
من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه فيها ، ومن طلب الدنيا طلبه الموت
حتى يخرجها منها .

وقال محمد بن زياد الزبادي البصري : وجدت على سهل بن هرون في بعض
الامرأته فكتب اليّ : « اما بعد فالسلام على عهدك ، وداع ذي ظن بك ،
في غير مقابلة لك ، ولا سلوة عنك ، بل استسلام للبلى في امرك ، واقرار بالمشقة
عن استعطافك ، الى ان يأتك ، او يجعل الله لنا دولة من رجعتك والسلام » .
وكتب في أسفل الكتاب :

ان كنت أخطأت أو أسأت في عفوك ماوى للفضل والامن
أثبت ما استحق من خطأ فخذ بما تستحق من حسن
ومذا من أعظم مكارم الأخلاق . يحيى وهو يسترضي حاجته .

ومن محاسن تعريضات سهل أنه خاطب بعض الامراء فقال له : كذبت فقال :
أيها الأمير ان وجه الكذاب لا يقابلك يعني الأمير بذلك لان وجه الانسان
لا يقابله . ورويت هذه النكتة لغيره . وحكى الجاحظ ان ابا الهذيل العلاف المتكلم
سأله رقعة يكتب بها الى الحسن بن سهل يستعينه على ضائقة لحقته . فكتب رقعة
وختمها ودفعها اليه فأوصلها الى الحسن فلما رآها ضحك وأوقف عليها ابا الهذيل
واذا فيها مكتوب :

ان الضمير اذا سألتك حاجة لابي الهذيل خلاف ما أبدى

فأمنه رَوْح اليأس ثم أمد له حبل الرجاء بمخاف الوعد
والن له كنفًا ليحسن ظنه في غير منفعة ولا ريفد
حتى إذا طالت شقاوة جده وغشائه فاجبه بالرد
وان استطعت له المضرة فاجتهد فيما يضر بأبلغ الجهد
ولما قرأ الحسن رقعة وقع فيها : « هذه لك الويل صفتك لا صفتي » وامر
لابي الهذيل بالف دينار فعاد اليه فعانه فقال سهل : ترى ابن أعزب عنك الفهم
أما سمعت قولي ان الضمير خلاف ما أبدي فلو لم يكن ضميري الخير ما قلت هذا .
مال الجاحظ : هذه من مغالطات سهل وبلاغته .

وروى الثعالي قال : « حاجة ابي الهذيل » يضرب مثلاً للحاجة يسألها الانسان
غيره ويضمض ضد ما يظهر ولا يجب قضاءها إما بخلاً بجأه وأما الحاجة أخرى في
نفسه . قال وكان ابو الهذيل سار الى سهل بن هريث الكاتب وكان خاصاً بالحسن
ابن سهل يسأله الكلام في امره ويستمينه على ضائقة دفع اليها فسار سهل الى
الحسن فكله وقال له : قد عرفت أيها الأمير حال ابي الهذيل ومحل وقدره في الاسلام
وانه متكلم قومه والزاد على أهل الاولاد وقد فزع اليك لإضافة هو فيها فوعده
ان ينظر له ما يصلح حاله . وربما كانت أبيات سهل منبعثة من كونه لاحظ بعد ان
كلم الحسن بن سهل بشأن ابي الهذيل شيئاً من الفتور فلما أريد على الشفاعة بابي الهذيل
مرة ثانية كتب تلك الايات ومع هذا ما خلت من نكتة جميلة .

وابو الهذيل هذا هو شيخ المأمون وكان يقول فيه « أطلّ ابو الهذيل على الكلام
كلّ طلال النعام على الانام » وكان يأخذ من السلطان في كل سنة ستمين ألف درهم
وينفقها على أصحابه .

وأشد الجاحظ لسهل بهجو رجلاً :

من كان يهر ما شادت أوائله فانت تهدم ما شادوا وما ميمكوا
ما كان في الحق ان تأبى فعالم وانت تحوي من الميراث ما تركوا
وأجمل بهذا الهجو الذي اقتصر فيه على الموعظة الحسنة وهو القائل :
إذا امرؤ ضاق عني لم يضق خلقي من ان يراني غنياً عنه بالياس

فلا يراني اذا لم يرع آصرتي مستمر يادرراً منه بابساس
لا أطلب المال كي أغني بفضله ما كان مطلبه فقراً الى الناس
ومن شعره :

أعان طرني على جسيمي واعضائي بنظرة وقفت جسيمي على دائي
و كنت غمراً بما يتجني عليّ يدي لا علم لي ان بعضي بعض اعدائي
هذا هو الشعر الذي يسميه الافرنج بالشعر الوجداني (Lyrique) واكثر شعر
العرب منه وهو سرآة شعور صاحبه وما يمليه عليه قلبه ويزينه له طبعه .
ومن بدائع سهل : القلم لسان الضمير اذا رَعَف اغلق امراره وابان آثاره .
وكان يقول : اللسان البليغ والشعر الجيد لا يكادان يجتمعان في واحد واعسر من
ذلك ان تجتمع بلاغة الشعر وبلاغة القلم .

وقال : لا يُقدم على الخطبة الا اثنان فائق او مائش اما الفسائق فشقتة بنفسه
لنني عنه كل خاطر يورث الخجل والانتطاع واما المائش فانه لا يبالي اخطأ ام اصاب .
وقال : لو ان رجلين خطبا او تحدثا او احتجا او وصفا وكانت احدكما جليلاً بهيئاً
وليبياً نبلاً وذا حسب شريفاً وكانت الاخر قليلاً قبيحاً (صغيراً ذليلاً) وباذ
الهيئة (رثياً) دميماً وخاملاً الذكر مجزولاً . ثم كان كلاهما في مقدار واحد من
البلاغة وفي وزن واحد من الصواب لتصدع عنهما الجمع وعامتهم لتفني للقليل الذميم
على النبل الجسيم وللباذ الهيئة على ذي الهيئة ولشأنهم التعجب منه على مساواة صاحبه له
ولصار التعجب منه سبباً للعجب به ولكن الاكثر في شأنه علة للاكثر في مدحه
لان النفوس كانت له احقر ومن بيانه اياس ومن حده ابد فاذا هجموا منه على مالم
يكونوا يحتسبونه وظهر منه خلاف ماقدروه تضاعف حسن كلامه في صدورهم وكبر
في عيونهم لان الشيء من غير معدنه اغرب وكلما كان اغرب كان ابعد في الهمم وكلما
كان ابعد في الهمم كان اظرف وكلما كان اظرف كان اعجب وكلما كان اعجب كان
ابعد وانما ذلك كنوادر كلام الصبيان وطلع المجانين فان فصحك السامعين من ذلك اشد
وتعجبهم منه اكثر .

والناس موكلون بتعظيم الغريب واستطراف البعيد وليس لهم في الوجود الراحين

وفيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى مثل الذي معهم في الغريب القليل وفي النادر الشاذ وكل ما كان في ملك غيرهم . وعلى ذلك زهد الجيران في عالمهم والاصحاب في الفائدة من صاحبهم وعلى هذه السبيل يستطرون القادم عليهم و يرحلون الى النازح عنهم ويتركون من هو أعظم نفعا وأكثر في وجوه العلم نصرفاً وأخف مؤنة وأكثر فائدة ولذلك قدم بعض الناس الخارجي على العريق والطارف على التليد .

الى ان قال : فاذا كان الحب يعمي عن المساوي فالبغض ايضاً يعمي عن المحاسن وليس يعرف حقائق مقادير المعاني ومحصل حدود لطائف الامور . الا عالم حكيم ومعتدل الأخلاق عليم وإلا قوي المنة الوثيق العقدة والذي لا يميل مع ما يستميل الجمهور الأعظم والسواد الأكثر .

وقال سهل يوماً وهو عند المأمون : من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين ان يرغبوا فيه وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال . قال المأمون : قد يسمى بعض الناس الشيء علماً وليس بعلم فان كنت أردت هذا فوجه الذي ذكرنا ولو قلت : ان العلم لا يدرك غوره ولا يسبر قعره ولا تبلغ غايته ولا تستقصى أصنافه ولا يضبط آخره فالامر على ما قلت فاذا كانت الامر كذلك فابدأوا بالام فالام وابدأوا بالفرض قبل النفل فاذا فعلتم ذلك كان عدلاً وقولاً صدقاً .

ويقال على الجملة ان من الندرة ان يتم لانسان من المواهب والبيئة ما تم لسهل فهو من عنصر قوي ذي مدنية قديمة راسخة ثقته المحيط العربي في ارقى بيئة عهدت في التاريخ الاسلامي وجاء في عصر زاهر بجملة وتفصيله ودخل في أمة قوية فتيحة فرامه علمه ونضله الى اعلى مقسمات الفضل والنبيل وهيئ له من أسباب النبوغ ما لم يكتب لغير بضعة من رجال الادب العربي وسأنده على ذلك طول اجله . اذ لو فرضنا انه يوم دخل على الرشيد كان ابن ثلاثين وقد قبض سهل الى ربه سنة اربع وثلاثين ومائتين . والرشيد تولى الخلافة سنة احدى وسبعين ومائة . واذا فرضنا انه اتصل بالرشيد في منتصف عهده فلا يكون سهل عمراً أقل من تسعين سنة او ما يقرب من عمر صاحبه الجاحظ خمس وتسعون . ومن يورك له بابام حياته يحس منه في العلم ما لم يحس من المعتبط كمالاً او شأباً .

«أثره الباقي» : — ومن أمثل ما أثر لسهل بن هرون من الكتب بل كتابه الوحيد الذي ما زال أهل الأدب يتناقلونه خلفاً عن سلف كتابه إلى بني عمه من آل راهبون حين ذموا مذهبه في البخل وتبعوا كلامه في الكتب قال في فاتحته يحتاجهم : « بسم الله الرحمن الرحيم : أصلح الله أصركم وجمع شملكم وعلمكم الخير وجمعكم من أهله . قال الأحنف بن قيس : يا معشر بني تميم لا تسرعوا إلى الفسنة فإن اسرع الناس إلى القتال أقامهم حياة من الفرار وقد كانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب حجة فتأمل عيائاً فإنه إنما يعيب بفضل ما فيه من عيب . واول العيب أن تعيب ما ليس بعيب . وقبح أن تنفي مرشداً أو تغري بهشيق . »

وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم وصالح فاسدكم وإبقاء النعمة عليكم . ولئن أخطأنا سبيل ارشادكم فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم . ثم قد تعلمون أنا ما أوصيناكم إلا بما قد اخترناه لا تقسنا قبلكم وشهرنا به في الآفاق دونكم . ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) . فما كان أحقكم في كريم حرمتنا بكم أن ترعوا حق قصداً بذلك إليكم على ما رعيناه من واجب حقكم فلا المذرة البسوط بلغتم ولا بواجب الحرمة قمتم . ولو كان ذكر العيوب يراً وفضلاً لرأبنا في أنفسنا عن ذلك شغلاً وإن من أعظم الشقرة وأبعد من السعادة ألا يزال يُتذكر زلل المعلمين ويُتنامى سوء استماع المتعلمين ويستعظم غلط الماذلين ولا يحفل بشعم المذولين » .

فبدأ كما ترون في تقرير أهله أو النباقيين والناقدين عليه منهم ومن غيرهم في إظهار كرامة الأئدين على بسطها وأنه أراد بارادتهم على الخير تعليمهم وحفظ فضل أموالهم وإنهم أخطأوا في سوء فهم مراميهم ولم يزعموا له حرمة ولا ذماً . وذكرهم بحكمة جميلة وهو أن الناس يتذكرون خطيئات المعلمين ولا يذكرون جهل المتعلمين وعبر عنه بسوء الاستماع وهو من أرق التعابير . وذكرهم بالآية الكريمة التي جاءت في العبد الصالح . وبعد أن بلغ من قوله هذا الحد وبسط المسألة بينه وبين عاذليه على بخله ودعوة الناس إلى طريقته وإبان أنه اشتهر بها في العالم وإنها بما لا بعده

ثمة في الشرف بل فضيلة من فضائل النفس . بعد هذا اخذ يخاطبهم و يورد لهم الامثال التي وقعت له في هذا الشأن والتي وقعت لغيره فعدّها عبرة فقال :

« عبتوني بقولي لخادمي : اجيدي عجنه خميراً كما اجدته فطيراً ليكون اطيب لطعمه وازيد في ربه وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورحمه لاهله : أهلكوا العجين (شدي عجنه) فانه احد الرعين . وعبت عليّ قولي من لم يعرف مواقع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواقع الاقتصاد في الممنوع الغالي . فلقد أتيت من ماء الوضوء بكيلة بدل مجموعها على مبلغ الكفاية وأشف من الكفاية فلما صرت الى نفر بق اجزائه على الأعضاء والى التوفير عليهم من وظيفة الماء رجدت في الاعضاء فضلاً على الماء فعلمت ان لو كنت مكنت الاقتصاد في ادائه ورغبت عن التهاون به في ابتدائه خرج اوله على كفاية آخره ولكن نصيب المضرا الاول كنصيب الآخر . فعبتوني بذلك وشتمتوه بجهلكم وقبحتموه وقد قال الحسن : وذكر السرف : انه ليكون في الماعونين الماء والكلاء فلم يرض بذلك الماء حتى اردفه بالكلاء » .

وبذلك رأينا انه بسط قاعدته في البخل بسطاً بدعياً وبدأها بما وقع له في الماء ثم انتهى في الجملة التالية بما يأتى به من الاحتياط في حفظ الفاكة والمأكولات محاولاً اقناع مخاطبيه بان الناس طبقات وليس من الانصاف ان ياكل السيد كالمولى فان اطعام المولى والعبيد اطعمة او ثمار الذبذة قد يمكنهم الاستغناء عنها ولكن ساداتهم لا يصبرون عليها اذا انقطعت عنهم بسبب امر افهم وأشار الى نهم الاولاد وسوء ادارة النساء الى ان قال :

« وعبتوني حين ختمت على سلّ عظيم وفيه شيء ثمين من فاكة نفيسة ومن رطبة غريبة على عبدتهم وصبي جشم وأمة لكعاء وزوجة خرقاء وليس من اصل الادب ولا في ترتيب الحكم ولا في عادات القادة ولا في تدبير السادة — ان يستوي في نفيس المأكول وغريب المشروب وثمين الملبوس وخطير المركوب والناعم من كل فن واللاباب من كل شكل — التابع والمتبوع والسيد والمسود كما لا تستوي مواضعهم في المجلس ومواقع اسمائهم في العنوانات وما يستقبلون به من التحيات . وكيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر ولا يكثر ثرونه اكثر اثار العارف ومن شاء اطعم كلبه الدجاج المسمن وعلف حمارة السمسم المقشّر . فعبتوني بالختم وقد ختم بعض الائمة على مزود

سويق وختم على كيس فارغ . وقال : طينة خير من طينة فأمسكنم عمن ختم على لا شيء وعبتم من ختم على شيء » .

ثم تحول في كلامه الى ذكر امور جوهريه في الحياة ، ذات شأن خطير في تدبير المنزل ، كالطعام واللباس مستشهداً على صحة قضيته بهدي الرسول ، وايراد أمثلة ممن يقتدي بهم في هذا الباب من الناس . فقال :

« وعبتموني حين قلت للفلان ، اذا زدت في المرق فزد في الانضاج ، لتجمع بين التأمم باللحم والمرق ، ولتجمع مع الارتفاق بالمرق الطيب . وقد قال صلى الله عليه وسلم : (اذا طبختم لحماً فزيدوا في الماء ، فان لم يصب احدكم لحماً اصاب مرقاً) . »

وعبتموني بخسف النعل (خرزما) ، وبتصدير القميص ، وحين زعمت ان الخسوفة ابقي واوطأ وادق وانني للكبر واشبه بالنسك وان الترفيع من الحزم والتفريق من التضييع والاجتماع مع الحفظ . وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يخسف نعله ويرقع ثوبه ويلطع اصبعه ويقول : لودعيت الى كراع لا جيت ولواهدي الى كراع او ذراع لقبلت . ولقد كنت سمدي بنت عوف ازار طلحة وهو جواد قریش وهو طلحة النياض . وكان في ثوب عمر رفاع آدم . وقال : من لم يستخ من الخلال خفت مؤنته وقل كبره . وقالوا : لا جدبد لمن لا يلبس الخلق . « وبعت زياد رجلاً يرئد له محدثاً واشترط على الرائد ان يكون عاقلاً تسدداً . »

فأنا به موافقاً فقال : أكنت ذا معرفة به قال : لا ولا رأيته قبل ساعته : قال : اننا لك الكلام وفاتحنه الامور قبل ان توصله الي قال : لا قال : فلم اخترته على جميع من رأيته قال : يومنا يوم قاتل ولم ازل انعرف عقول الناس بطعامهم ولباسهم في مثل هذا اليوم ورأيت ثياب النامن جوداً وثيابه أبساً فظننت به الحزم . وقد علمنا ان الجند في موضعه دون الخلق . وقد جعل الله عز وجل لكل شيء قدراً وبرأ له مرضعاً كما جعل لكل دهر رجلاً ولكل مقام مقالاً وقد احبى بالعم وامات بالغذاء واغص بالماء وقتل بالدواء . فترفع الثوب يجمع مع الاصلاح التواضع وخلاف ذلك يجمع مع الاسراف التكبر . وقد زعموا ان الاصلاح احد الكسبين . كما زعموا ان قلة العيال احد اليسارين . وقد جبر الأحنف يد عترة وامر

بذلك النعمان وقال عمر : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة . وقال رجل لبعض السادة : أهدني إليك دجاجة وقال : إن كان لابد فاجعلها بيضة . وعد أبو الدرداء العراق (بقايا الحمض) جزر البهيمة .

صفحة جميلة من تدبير المعاش والاقتصاد أراد بها تعليم المنقذين له درساً نافعا في الترتيب والنظام والتي عليهم مثلاً حسناً لا يسع حتى المسرف ان ينقضه وقد شفع كلامه بامثلة ليس في مقدور احد انكارها ولا تبلغ به الحال . هما بلغ من السرف والترف ان يقول ان من ذكرهم ليسوا قدوة صالحة . وبعد ذلك التفت الثفانة أخرى . وبين لخصومه فضيلة الامساك في المال والحرص عليه لما يجلب الاستمرار من العوز فقال :

« وعبتموني حين قلت : لا يفترت احد بطول عمره وثقوس ظهوره ورقة عظمه ووهن قوته ان يري أكرامته ولا يخرج به ذلك الى اخراج ماله من يديه وتحويله الى ملك غيره والى تحكيم السرف فيه وتسليط الشهوات عليه فلعله ان يكون ممراً وهو لا يدري وممدوداً له في السن وهو لا يشعر ولعله ان يرزق الولد على البأس ويحدث عليه بعض مخبات الدهور مما لا يخطر على البال ولا تدركه العقول فيسترده ممن لا يردده . ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه اضعف ما كان من الطلب واقبح ما يكون به الكسب . فعبتموني بذلك وقد قال عمرو بن العاص : اعمل لدنياك عمل من يعيش ابدأ واعمل لاخرتك عمل من يموت غداً .

« وعبتموني حين زعمت ان التبذير الى مال القمار ومال الميراث والى مال اللقاط وحباء الملوك اسرع وان الحفظ الى المال المكتسب والغني المحتلب والى ما يمرض فيه . لذهاب الدين واحتضام العرض . ونصب البدن واهتمام القلب اسرع وان من لم يحسب ذهاب ثقته لم يحسب دخله ومن لم يحسب الدخل فقد اضاع الاصل وان من لم يعرف للغني قدره فقد أذن بالفقر وطاب نفساً بالذل . وعبتموني بان زعمت ان كسب الحلال مضمّن بالاتفاق في الحلال . وان الخبيث ينزع الى الخبيث وان الطيب يدعو الى الطيب وان الاتفاق في الهوى حجاب دون الحقوق وان الاتفاق في الحقوق حجاز دون الهوى فعبتم علي هذا القول وقد قال معاوية : لم ار

تبذيراً قط الا والى جانبه حتى مضى . وقد قال الحسن : اذا اردتم ان تعرفوا من اين
 اصاب الرجل ماله فانظروا في اي شيء ينفقه فان الخبيث انما ينفق في السرف .
 « وقلت لكم بالشفقة عليكم وبحسن النظر مني لكم وبمحافظةكم لآبائكم ولا يجب
 في جواركم وفي ممالككم وملايبتكم وانتم في دار الآفات والحوائج غير مأمونات ،
 فان احاطت بمال احدكم جائحة لم يرجع الى بقية فاحرزوا النعمة باختلاف الأمانة ،
 فان البلية لا تجري في الجميع الا مع موت الجميع . وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه في العبد والأمة وفي ملك الشاة والبعير وفي الشيء الحقير اليسير : فرقوا بين
 المنايا . واجعلوا الرأس رأسين . وقال ابن سيرين لبعض النجربين : كيف تصنعون
 باموالكم قال : تفرقها في السفن فان عطرب بعض سلم بعض ولولا ان السلامة أكثر
 لما حملنا اموالنا في البحر . قال ابن سيرين : تحسبها خرقاء وهي حذاعة (حاذقة) .
 وبعد هذا الكلام الممتع مثل سهل صورة جديدة في الاخلاق العارضة على من
 استغنى وحذر من الوقوع فيها لئلا تؤدي الى الفقر وهو اشنع ضرور المظاهر وبين
 العملة في قوله ان المال مقدم على العلم لان بالمال يكتسب العلم ويعرف قدر العلم فقال :
 « وقلت لكم عند اشفاقي عليكم ان للثني سكرأ وان للمال نزوة فمن لم يحفظ الثني
 من سكره فقد أضاعه ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد أهمله فعبثوني بذلك وقد قال
 زيد بن جبلة ليس احد اقصر عقلاً من غني أمن الفقر وسكر الثني أشد من سكر
 الخمر . وقلتم قد لزم الحث على الحقوق والتزهيد في الفضول حتي صار يستعمل ذلك
 في اشعاره بعد رسائله وفي خطبه بعد سائر كلامه فمن ذلك قوله في يحيى بن خالد :
 عدو تلاد المال فيما ينوبه منوع اذا ما منع كان احزماً
 ومن ذلك قوله في محمد بن زياد :

وخليقتان ابني وفضل تحرم وإهانة في حقه للمال

« وعيتموني حين زعمت اني أقدم المال على العلم لان المال به يثاب العالم وبه تقوم
 النفوس قبل ان تعرف فضيلة العلم وان الاصل أحق بالنفصيل من الترع واني قلت
 وان كنا نستبين الامور بالنفوس فاننا بالكفاية نستبين وبالخلة نعمي وقلتم كيف
 نقول هذا وقد قيل لرئيس الحكماء ومقدم الادباء العلماء افضل ام الاغنياء ؟ قال بل

العلماء قيل فما بال العلماء يأتون ابواب الاغنياء اكثر مما يأتون ابواب العلماء قال
لمعرفة العلماء بفضل الغنى ولجهل الاغنياء بفضل العلم . فقلت حالها هي القاضية بينهما
وكيف يستوي شي ؟ ترى حاجة الجميع اليه وشي ؟ يعني فيه بعضهم عن بعض .

« وعينوني حين قلت ان فضل الغنى على القوت انما هو كفضل الآلة تكون في
الدار ان احتيج اليها استعملت وان استغني عنها كانت عبدة . وقد قال الحصين بن
المزذر وددت ان لي مثل أحد ذهباً لا انتفع منه بشيء قبل فما ينفعك من ذلك
قال لكثرة من يخدمني عليه . وقال ايضاً عليك بطالب الغنى فلم يكن لك فيه الا انه
عز في قلبك وشبهة في قلب غيرك لكان الحظ فيه جديماً والنفع به عظيماً .

وختم كتابه في انه لن يبدل من خلقه في الشئ وفي الدعوة الى تزينه للناس
وأورد جملاً لجماعة من المشهورين بالعقل وذكر جماعة في ختام حديثه بما يجب عليهم
قبل ان يذكروا ما لم وذلك بقوله :

« ولسنا ندع سيرة الانبياء واعمال الخلفاء ونأدب الحكماء لاصحاب الالهواء .
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الاغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج .
وقال درهمك لمعاشك ودينك لمعادك فقسّموا الامور كما على الدين والدنيا ثم اجعلوا
احد نسي الجيع الدرهم . وقال ابو بكر الصديق رحمه الله اني لا بغض اهل البيت ينفقون
رزق الايام في اليوم الواحد . وكانوا ينفقون اهل البيت الاخرين (Les carnivores)
(الذين يكثرون اكل اللحم) . وكان هشام يقول ضع الدرهم على الدرهم يكون مالاً . ونهى
ابو الاسود الدؤلي وكان حكيماً ادبياً وداهياً اريباً عن جودكم هذا المواتد وعن كرمكم
هذا المستحدث فقال لابنه اذا بسط الله لك في الرزق فابسط واذا قبض فاقبض ولا تتجاوز
الله فان الله أجود منك . وقال درهم من حل يخرج في حق خير من عشرة آلاف
قبضاً . وثلاثة عشر^(١) من يريم فقال تضيعون مثل هذا وهو قوت امرئ مسلم

(١) لعل العبارة محرفة واصلها « عرماً من ثرم » العرّم بقية القدر والثرم
كقنفذ ما فضل من الطعام والادام في الاناء والقصة او ما نسميه باللغة الشامية
القحاطة .

يوماً الى الليل . وتلقط ابوالدرداء حبات حنطة فنهاه بعض المسرقين فقال (إيدر ابن العيسية ان مرفقة المرء رفقه في معيشته) .

فلستم عليّ ترددين ولا رأيي ثنندين . فقدموا النظر قبل العزم وتذكروا ما عليكم قبل ان تذكروا ما لكم . والسلام اه .

« خاتمة » = وبعد فهذه صفات سهل بن هرون وهذا انشاؤه ونثره بل هذا فكره وعقله وما أوردنا الا مثلاً ضئيلاً مما كتب ووصل اليها وقداني عليه بعد احد عشر قرناً فتعرفنا على الجملة طريقته وحقيقته وكان علينا ان ننسج على غرارها في بيانها ونعلم كيف يبلغ في انتقاء ألفاظه حتى لا يتخير منها الوحشي النافر ولا المكرر الساقط بثقوك كرائها ويسلكها في سلكه ويرصمها في عقوده . ويلبسها حلة من حلل قلبه فتجني^٤ جزالة من دون تعمد وسلاسة من غير ما تبذل ونمطاً عاليماً من السهل الممنوع يتدفق حكمة ويسيل بياناً تتنازله الأذهان وتتشربه الانفس عفواً صفواً فاذا أراد المقلد ان يحذو حذوه فهناك نفاضل العقول والقرايح . سهل بن هرون احد افراد قلائل زانوا بما صاغوا من الحكم الطيب تاريخ أدب العرب واختطوا لمن بعدهم خطط التفكير والتصوير على النمط الفارسي العربي وكلامه في باب البلاغة ومثال الفصاحة لا تبلى جدته على وجه الايام ولا يحتاج في الحكم عليه الى محكمة نقض وإبرام .

طرابلس وآثارها^(١)

طرابلس ولا ازيد كم علماً لفظة محرفة عن (Tripolis) اليونانية ومعناها المدن الثلاث . وقد أطلقها المكدونيون الذين قادم الاسكندر الكبير الى سورية على بلدة مثلثة . فعرفت بها من يومئذ . اما اسمها الفينيقي الذي سميت به قبل اليونان فيجيبول . لان التاريخ لم ينج به . ولا غرود فان التاريخ عودنا الصمت في مواضع شتى فكاد الدهر يطمس على كثير من الحقائق لولا ان الآثار والرمم (Les Inscriptions) لساناً صيره العلم بليغاً . فله يزدج الآثار السورية ان تظهر للاملا مكنوناتها كما أظهرت بلاد النهرين .

ومن الغني عن البيان ان آثار بين النهرين قد سجلت شيئاً عن أحوال سورية في بعض ازمنتها . فان كان القدماء من سكان سورية على شيء من مماثلة الكلدان والاشوريين والبابليين وغيرهم من اهل بين النهرين او وادي النيل في عاداتهم اذن لا يستبشرنا ان في طيات تربتنا الملاءى بالخرائب والناقض الشيء الكثير من تاريخ البلاد . على ان الفاتحين لم يقصدوا بكتابتهم على الحجر او الآجر او المياكل الا تخليد أعمالهم والمفاخرة ببطشهم فظهرت الرقم لعمدنا هذا مملوءة بالفوائد . ولذلك لينا لعلق آمالاً كباراً على وجود رقم ذات شأن لانه لم يبق في سورية دولة غازية .

ومما يؤخذ من قول الفاتح الاشوري اسورناتسر بال في الفقرات ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ ما ذكر به : يومئذ احتللت منجدرات لبنان ونزلت الى بحر فينيقية الكبير وهناك عند البحر عقلت سلاحي وقدمت الذبائح للأرباب (واخذت) الجزية من ملوك ساحل البحر الصوريين والصيغونيين والجيليين والمخاليانيين والمائزين والسكايزيين الفينيقيين واهل ارواد الخ . ولتجدن مترجم هذا الرقيم العلامة سايس الانكليزي ينقل عن العلامة دالتزش الألماني انه يحسب المدن الثلاث مخالات ومايز وكايز هن التي تألفت من اجتماعن مدينة طرابلس .

(١) مقالة للامتاذ المؤرخ السيد جرجي بني احد أعضاء المجمع تليت على أعضاء المجمع بدمشق بمناسبة قبوله عضواً فيه سنة ١٩٢٢ م .

وكأنني بدالتزش بحسب الفاتح قد اخترق لبنان عرضاً فتزل في موضع طرابلس
او على مقربة منها . وان فيها اقتبل وفود الفينيقيين الذين جاؤه لعرض الطاعة واذ ذكرهم
ابتداءً بسرد اسمائهم من الجنوب حتى انتهى الى الشمال . واذ ذكر المدن الثلاث
بين جبيل وارواد خيل للعلامة انها طرابلس .

ولكن هذه الرواية على علم سندها لا تدعم الا الظن بان البقعة التي قامت فيها
طرابلس لم تكن في الزمن الفينيقي بلقعا بل مأهولة بفريق منهم . وهذا ما ذهب اليه
العلامة رولنسون وهو الثقة الذي لا ينزع في التاريخ .

والمعروف من صفات الفينيقيين وأخلاقهم وعاداتهم انهم يسكنون المدن قرب
البحر يحملنا على قبول رأي دالتزش بانهم سكنوا ثلاث مدث هي مخالات
ونمايز وكايز .

وان صح ذلك وجدنا سبيلاً لقبول رواية مؤرخي اليونان وفي صدرهم ديودورس
ومؤدى الرواية ان الفينيقيين واثن كانوا أمة واحدة فانهم لم يجمعوا على ولاء دولة
واحدة منهم . بل كانوا دولاً شتى تستقل كل منها في شؤونها الداخلية . واشهرهن
صور وصيندا وأرواد . الا انهن كن يجمعن في الأزمات ويتألفن حلفاً لدفع
الطوازي . وان هذا أنضى بين لعقد ديوان عام يتولى النظر والتدبير وانهن اخترن
موقعا متجاذاً وان حب الاستقلال الداخلي دفع كلاً منهن الى الاحتفاظ بشأنها فبنى نواب
كل من الدول الثلاث حياً مخصوصاً لسكناء بعيد عن مثليه نحو ستاديا وأقام المئة نائب
عن كل من المدن الثلاث بنسائهم واولادهم وخدامهم في الحي المنسوب اليهم تسودهم
شرائعهم وأحكامهم .

فما أدرانا ان كل فئة من اولئك النواب اختارت لسكنائها حياً او بليدة من المدن
التي ذكرها اسورناتسربال حتى اذا جاء اليونان رأوا المدينة مثلثة فسموها المدن الثلاث :
ثم كرت الايام وتوالت الحروب والزلازل فلم تبق للمدينة المثلثة من أثر . ولذلك
اختلف الرواة في مواقعها فقالوا — وقد تابعتهم او نقلت عنهم ما قالوا في تاريخ سورية
المطبوع — ان احداً الاحياء كان في السرفتانية والثاني في موقع البلدة او في الجصاص
والثالث في موضع الميناء . اما الآن فاني أبذ القول بذلك لان البعد بين الأحياء هو

ستاديا واحدة كما قال سترابو والستاديا ٦٠٦ من الاقدام الانكليزية وبعض أجزاء القدم والحال ان المسافة بين المواقع المذكورة لا تنقص عن ميلين خطأ مستقيماً . وان موقع البلدة الحالي لم يكن عامراً قبل الزمن الصليبي . وان الفينيقيين كانوا يجارة وتجاراً فلا يرتاحون للسكنى بعيداً عن البحر . ولهذا كله ارجح الظن بان الاحياء الثلاثة كانت على سيف البحر ممتدة من موقع الميناء الحالي حتى الميخاض او ما يدنو منه .

مضى ذلك الزمن الفينيقي ولم يخلف لنا أثراً . وأعقبه الزمن السلوقي ولم تذكر فيه طرابلس الا قليلاً . على ان علم السكة المضروبة (Numismatique) يدل على ان في آخر بات ذلك العهد تراخت قبضة السلوقيين فكان في طرابلس طاغيتها المستبد .

وكان بنو قيطور من بني اسماعيل قد دخلوا سورية وألفوا دولة عربية في جهات الجندور وحوران ورستخت أقدام اصحابها ولكنهم مع عربيتهم اكتسبوا من مجاورتهم في سورية وفلسطين ظواهر الحضارة اليونانية وانتحلوا الاسماء اليونانية حتى اوشك الانحلال ان يطمس على أصلهم .

فهذه الدولة المعروفة بالايطورية تقدمت الى البقاع فامتلكت شاليس (عين جر) واتخذتها عاصمة ثم عتق قن لبنان وانحدرت منها الى ساحل البحر فامتلكت طرابلس وجعلتها عاصمتها الثانية .

ومع اننا لا نجد لتلك الايام أثراً فان في جوارنا من أعالي لبنان قرية يقال لها ايطو تقع على ضريق الانحدار من الجبل الى السهل فلعلها تخلد باسمها ذلك العهد . وعندما فتح الرومانيون سورية وجدوا الطاغية الأخير من الايطوريين في طرابلس وله في جوارها حتى البترون معاقل وحصون تغلبوه عليها ودكوها .

وجاء بعد ذلك الزمان الروماني والبيزنطي وايس لطرابلس فيها ما يذكر ومثلها كان العهد الاسلامي الاول . ولم تخلف تلك الايام لنا أثراً لانها طمست على الماضي ولم تبق لنا من المدن الثلاث الا بلدة واحدة هي القائمة في موقع الميناء .

وما يروى ان طرابلس ادركت في القرن الحادي عشر مقاماً مذكوراً . وذلك انها تقدمت في تجارتها وصناعاتها وعلومها وآدابها . حتى وجد الصليبيون فيها اربعة

آلاف نول ودار علم نخمة ومكتبة عامرة بالوقف الكتب التي كان قد جمعها صاحبها القاضي ابو الحسن بن عمار .

فلما جاء الصليبيون وتزلوا على عرقا وهي لصاحب طرابلس نحر الملك محمد بن عمار بعث هذا فاسترخصي الغزاة وفسح لهم ان يتجاوزوا الموضعين من غير ان يمسوهما بضر .

ولكن ماعثم ان ظفر الصليبيون بفتح القدس وهي ضالتهم المنشودة فرجع منهم فريق بزعامه ريمون ديه سان جيل كونت ديه طولوز المعروف في توار يخ العرب باسم صنجيل .

فنزل على ما يظهر حوالى موقع القلعة بدليل ان الافرنج أطلقوا على الهضبة اسم تل الغرباء او الحجاج (Des pèlerins) كما كانوا يسمون انفسهم . واظنهم اختاروا هذا المنزل لبعده عن البلدة نحو ميلين ولقربه من نهر ابي علي (قاديشا) ولاشرافه على السهل الموصل الى المدينة . اما السهل فكان يزرع ويدور على اصحابه ربعا وافرأ .

وقد أثر البجائية الالماني رويخت عن الراهب اكاهارد قوله ان ريمون هاجم البلدة سنة ٤٩٣ هـ فلم ينل منها أربا غير ان المؤرخين لم يذكروا تلك الهجمة بل ذكروا انه لما ظفر ريمون بجناح الدولة صاحب حمص سنة ٤٩٥ خطر على باله ان يحصر طرابلس ثم اكتفى باخذ الجزية .

فريمون لم ينزل جوار طرابلس وبقضي السنين الطوال وهو يأوي مع رجاله الى الخيام بل في اثناء الفترة بنى له حصنا يسمى حصن صنجيل وشاد من حول الحصن على منحدر الهضبة بيوتا لأصحابه .

وفي تلك السنة أنجذت دمشق طرابلس فتشدد ابن عمار ورد عنه هجوم ريمون . فسكن هذا غنا الهجوم ولكنه أفرط في اعنات البلد ثم استعان بسفائن جنوة وحصرها برأ ويحراً من غير ان ينال أربا لان الامراء الوطنيين كانوا يرسلون النجذات للبلد . واولئك ينضمون الى الحماة ويدافعون عن طرابلس بكل الحمية .

وفي ذات مرة خرج ابن عمار برجالاه وبيت الافرنج في منازلهم وأضرم النار في الحصن فأحرقه غير ان الفرنج هبوا للدفاع فاسترجعوا . واقفهم وردوا الطرابلسيين على أعقابهم . وكان ريمون قد معد الى سطح حصنه ليشرف على القتال غير مبال بالخطر

المستعرة فسقط السقف ووقع الأمير ثم مات متأثراً . وكانت ابنته غائبة في فرنسا فتولي ابن أخيه الإمرة .

أما الحصن المحروق فقد زعم بعض الآثاريين أنه ذهب في الغابرين كما ذهب بانيه . ولكن الحقيقة التي تدل عليها التواريخ وتؤكدتها المشاهد أن الأفرنج بنوا القلعة على أطلال الحصن المحروق . وأن الجدران التي نمت عن غير البناء الصليبي إنما شيدت ترميماً لما تداعى من الأصل . كما يتضح ذلك لمن يرى أركان البناء الداخلي ولمن ينظر إلى السكة الطرابلية وقد رسمت عليها القلعة بتمامها . وعندني منها قطعة مضروبة على عهد الأمير بونط .

فالقلعة بناء صليبي الأصل ولكنها ترممت مراراً حجة بعد خروج الصليبيين وظل حماها يصلحون فاسدها حتى زماننا فلا غرو أن يطمس الترميم على الأصل حتى كأن يغلب عليه . بل أفضى إلى قول بعض الناظرين إليها نظراً سطحياً أنها من بناء غير الصليبيين . ولتجدن البهت التي بناها الفرنج تحت كنف القلعة ما زالت باثلة ولئن طرأ على بعضها الترميم والتبديل . ولهذا نحب المباني القديمة إذا عرضت للتحصن الآثار بين تظهر شأنها . ولا يمكن للدور المشيدة على منحدر الهضبة وفي السويقة وسوق حراج وأمثالها إلا أن تظهر للباحث تاريخها القديم . لا سيما تلك التي رسمت على أبوابها بعض شعار المسيحية وما برحت آثارها بادية .

وما روى علماء الآثار أخذاً عن مؤرخي العهد الصليبي أن طرابلس كانت تحوي كثيراً من الكنائس والأديار والملاجئ والمستشفيات . وقد حاول بعضهم تحقيق مواقعها ولكنني لا أحسب ذلك مستطاعاً لخلو الوطاب من سند صحيح وأنه ليظن مجهولاً حتى تقوم على كشفه بعثة علمية صالحة للعمل .

أما جسر السويقة فوق نهر أبي علي فالظاهر أنه من بناء الصليبيين أيضاً . غير أنني لا أعني أن الجسر الحجري القائم اليوم هو المبني منذ ثمانمائة سنة بل أنه شيد هنالك جسر ورد اسمه جسر العجاج نسبة للهضبة التي شيدت القلعة عليها .

أما الماء الجاري إلى طرابلس فله تاريخه الخاص . إذ لا يعقل أن المدن الثلاث قنني بميدة عن الماء الشروب . فالنهر بعيد عن مواقع المدن وجداوله ليخصاص

لا يجري الا زمن الشتاء . فالضرورة تقضي بجر الماء في القني . وآثار تلك القني وجدت منذ عشرات السنين قرب الميناء فحسبها الناس كانت لجر ماء النهر . ثم ظهرت قني أخرى عند قرية مجدلها فدلّت على ان طرابلس القديمة كانت تستقي ماءها من الضنية . وربما اعتاض الاهلون ولاسيما في الميناء بجفر الآبار والصهاريج اما في البلدة التي عمرها الصليبيون فان في جوار النهر لم غنى . وكأني بهم شغروا بعد حين بالحاجة الى ماء أصح من ماء النهر وانقي . فجروه من نبع رشعين (رأس العين) وانا ولئن عرفنا ان جر الماء عمل صليبي فالحدث المنقول بالتسلسل لا يكفي . انما يدلنا على صدقه ان القناة تمر على قناطر شيدت فوق نهر ابي علي اسمها قناطر البرنس . والبرنس كلمة افرنجية ومع ذلك ما برحت على ألسنة الناس .

لكن من هو البرنس ؟ نجيّب ان الامراء الذين سادوا في طرابلس وما اليها (من حد بلاد المرقب حتى المعاملتين قرب جونية) كان واحدهم بلقب كونت ونسبى امارتهم كونتيه . فحدث ان اولئك الكونتات أصهروا الى امراء انطاكية الذين يلقبون بالبرنس .

وفي سنة ١١٨٩ توفي كونت طرابلس فاستولى برنس انطاكية صهره على بلاده وجعل ابنه كونتاً عليها . فظل يحكمها الى سنة ١٢٠١ حين توفي ابوه البرنس وانتهت إمارة انطاكية للابن الكونت فصار برنسا وهو يوموند الرابع صاحب طرابلس . الذي جمع بين الإمارتين وآثر لقب برنس فيهما جميعا . وظل على إمارته حتى مات سنة ١٢٤٣ فخلفه ابنه ثم أحفاده ولكن آجال إماراتهم كانت قصيرة وابائهم لم يعلب فيها الصفو والهاء . ولذلك ترجح ان يوموند الرابع هو الشارع في جر الماء وبناء القناطر . الا ان الماء المذكور على ما قال النويري توزع في أرجاء طرابلس ودخل بيوتها على عهد سيف الدين بلبان الطباخي نائب الفتوحات اي بعد ان استرجع المسلمون البلد . واني لأخشى ان يكون المؤرخ من الناصحين على منوال سائر مؤرخي تلك العصور في إلقائه الكلام من غير تثبيت وتحقيق وانما ابتغاء اظهار فضل قومه . ولا أقول هذا الا لاني قرأت له رواية تخالف شهادة الآثار البادية للعيان فقد قال عن الميناء بعد فتحها وهدمت المدينة . . . ثم عمر المسلمون مدينة مجاورة للنهر واختلفوا فيها (اليها)

وعمروا فيها حمامات وقياسر ومساجد ومدارس للعالم الخ . وكلامه هذا يدل على ان المدينة الحاضرة كلها من بناء المسلمين مع ان آثار الهندسة الفرنجية ظاهرة في كثير من مبانيها . فتجد البجاعة ووبرنهام يؤثر عن برشم قوله ان طرابلس ما برحت محافظة على شكل مدينة من مدن العهد الصليبي لما فيها من الأقواس (القناطر) التي تجعل الأزقة كالأقبية . وثمة ثلاثة قناطر عظيمة (gothique) ربما كانت شكلها مأخوذاً عن المباني المسيحية القديمة . فأحداها قنطرة الباب في حمام عز الدين الذي بناه عز الدين ابيك والثانية على باب الجامع الكبير وهي ممنازة بكاملها في شكلها والثالثة على باب البلدية . وهناك أيضاً قنطرة على الطرز البزنطي قائمة فوق مدخل من أبواب الجامع الكبير الخ .

أما الميناء فان الدهر قد طمس على آثار الصليبيين فيها لان الفاتحين دكوها الى الارض لكن بقي عند طرفها الجنوبي على طريق فوق الريح قطعة من السور العتيق تتم عن الحد الذي بلغته البلدة يومئذ . اما الابراج القائمة على سيف البحر فقد كانت عدتها سبعة بدليل قول الشاعر :

وان البرج الواقع قرب مصب النهر يسميه العامة برج السبيع وليس برج السباع كما ترجمه بعض الفرنج الى لغاتهم .

ويغلب على الظن ان هذه الابراج لم تكن من بناء الفرنج بل من بناء المسلمين بعد الصليبيين . لان شكل البناء ليس بالفرنجي . ولان طرابلس في الزمن الصليبي لم تكن تخشى غزاة البحر وانما صارت تحاذرهم لما استعمل امر القرصان ولاسيما من اهل قبرس وفيها مقر الملوك من آل لوزيان الذين كانت لهم مملكة القدس بالاسم .

والنهر الجاري في طرابلس يعرف عند منبعه حتى اليوم بنهر قاديشا اي المقدسين ويجري فنضاف اليه بعض الجداول وقد ذكره الشيخ عبد الغني التابلسي في رحلته الطرابلسية باسم الفضوب او الغضبان إشارة الى شدة حمولته ويعرف الآن باسم نهر ابي علي . ولا ندري كيف اطلق عليه هذا الاسم ولكن قد يمكن ان يكون وضع له إشارة الى الغلظة والشدة لان في الاحاديث الموضعية حكاية يتوارثها الابداء عن الآباء انه كان في البيارستان القائم قرب جسر السوق عريف شديد الغلظة اسمه

ابو علي . وقد درج على السنة الناس قولان كذا بذهبان مثلين احدهما اذا عُرِ
انسان بالغلظة يكنى بابي علي فيحسبها المكنى مبة ، وثانيهما قولهم ابو علي ثقل حديد
كناية عن استفعال جنون المحكى عنه . ولعل تسمية النهر مستفادة من ذلك .

وللاسماء شأن خطير في الدلالة على الاصل . فالهضبة التي بنيت القلعة عليها لم
تبق موسومة بهضبة الغرباء او العجاج كما سماها الصليبيون انما تعرف البقعة الواقعة في
قبتها بمار يوحنا والارجح انها اكتسبت هذا الاسم من مستشفى القديس يوحنا الذي
كان على الهضبة على ما يؤخذ من كلام العلامة راي .

وفي جوار طرابلس عند طرف البحر الجنوبي موضع يقال له ابرحافة وهذا الاسم
كان حيرة بعض المؤرخين من قومنا وانما حارروا لانهم لم يفهموا المعنى فكان قوم يقولون
الحلقة الطرابلسية بالفاء او بالفاء ناقلين ما قبل عن حوادثها في بعض التواريخ القديمة
من غير تحقيق عن اصلا .

انما الحلقة عند سلاطين مصر من الممالك عجيبة عن الجند المربط . ومتى
عرف هذا الاسم اتفحت روايات غم فمها .

والمكان الذي قرب طرابلس واقع على شيف البحر وفيه الطريق اليها فليس بعيداً
ان يكون ولا الامر في ذلك الحين قد جعلوا على الطريق العمام مخفراً او مقرأ لرجال
من الحلقة الطرابلسية وكرت الايام فسماه الناس ابا حلقة .

فياسادتي الاعلام : حسبي الآن ما ذكرت . لاني أخشى ان ازبدكم تطور بلا
فأفضي بكم الى السامة والفجر على ان في طرابلس آثاراً أخرى ما برحت ماثلة وقد سبق لي
فأثبت على ذكر بعضها في مقالة عنوانها (آثار الاسلام في طرابلس الشام) نشرتها مجلة
المباحث قبل الحرب فاذا لم تجدوا في تكرار التحدث عنها بأساً أعدت الكرة على كتابتها .

والله المسؤول ان يأخذ بأيديكم وان يزيدكم نشاطاً لاتمام عملكم المبرور وبثبكم
خيراً جز بلائكم وكرمهم .



قانون البلاغة

« رسالة مخطوطة »

كنا نظفرنا بين الرسائل المخطوطة في دار الكتب بدمشق برسالة في فن البيان (عدد ٢٣ من قسم المعاني والبيان) وقد كتب على ظفر الرسالة ان مؤلفها هو (نحر الدين ابو طاهر محمد بن حيدر البغدادي) ولم نظفر باسم المؤلف في كتب التراجم لنعلم في اي عصر كان . ولما تصفحنا الرسالة وجدناها ذات قيمة أدبية من حيث أسلوبها وبلاغة عبارتها . نعم ان المباحث التي كتب فيها المؤلف هي في البيان والبديع وأنوائه ولم يجودها المؤلف كما جودها من اتى بعده من المؤلفين ولا سيما تجويد ابى الهلال العسكري في كتابه الصناعتين - لكن اطلاع علماء الأدب على هذا الكتاب يعني لم مادة في موضوع الفن وتاريخه وتطوراته منذ اول عهده . ولذلك حرصنا على تصحيح نسختنا فوفقنا الى تصحيح كثير من أغلاطها . وقد أعيننا امر التصحيح في مواطن كثيرة . ثم أعلننا المرة بعد المرة : نسأل رجال الأدب والفضل عن هذه الرسالة ومؤلفها ، ان كان لديهم خبر عنها فلم يلب احد طلبنا ولم يرشدنا الى مؤلف الرسالة في اي عصر كان ، وراجعنا ايضا فهارس المكاتب الكبرى في الشرق والغرب فلم تقع على ذكر لهذه الرسالة . وفي آخر الامر رأينا عجبا : رأينا العلامة شمس الدين سامي يذكر مؤلف الكتاب في كتابه التركي المسمى (قاموس الأعلام) وقد قال عن المؤلف ما ترجمته : « ابو طاهر محمد ابن حيدر كان من الشعراء وتوفي في سنة ٥١٧ هـ ومن جملة أشعاره هذه القطعة في وصف الخمرة .

(مرحباً بالتي بها قُتل المـ وعاشت مكارم الاخلاق)

(وهي في رقة الصباية والشو ق وفي نسوة الجفا والفرار)

(لست أدري أمن حدود النواني عسروها ام من دم العشاق) «

هذا كل ما ذكره شمس الدين سامي عنه ، ولم يتعرض لذكر مصنفاته ولا للفن الذي تنطس فيه ، ويظهر من شعره هذا انه متمكن من فنون الأدب العربي

و ذو سليقة شعرية صحيحة . وقد عزمنا الآن على نشر الرسالة في مجلة المجمع مع العود الى العناية بتصحيح عبارتها والتعليق عليها ، ولاغرو اذا بقي فيها بعض الاغلاط فنحيل امر تصحيحها الى قراء مجلثنا الفضلاء . فاذا اعتدى احدهم الى شيء من ذلك فليكتب اليها لنعلم تصحيحه بعد تمام طبع الرسالة وكذلك اذا اعتدى احد القراء الى شيء من خبر المؤلف او عرف لهذه الرسالة نسخة او نسخاً فليهدنا اليها لتقابل نسختنا عليها .

المجمع العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

« رب انعمت فزد »

سألت أطل الله مدتك ، وأدام نعمتك ، وحرس دولتك ، عن البلاغة .
والبلاغة ليست ألفاظاً فقط ، ولا معاني مُجَسَّبٌ ، بل هي ألفاظ يعبر بها عن معانٍ ، ولكن ليس كما اتفق ، ولا كيفما وقع ، لان ذلك لو جرى هذا المجرى ، لكان أكثر الناس بليغاً ، اذ كان أكثرهم يؤدي عن المعاني التي يولد لها باللفاظ تدل عليها ، لكنهم يخرجون عن طريق البلاغة ، ومنهاج الكتابة من وجهين ، احدهما ان تكون الألفاظ مستكرهة مُستورخة ، غير مرصوفة ولا منتظمة . والثاني ان تكون كثيرة يعني عنها بعضها ، ويمكن ان يعبر عن المعنى الدال عليها بأقل منها .
على انه ذهب قوم الى ان لكثير الألفاظ المرصوفة في بعض المواضع دخلاً في البلاغة ، وذلك اذا كان موضعُ يحتاج فيه الى الخطابة في العامة ، ومن لا يسبق خاطره الى تصور المعنى في اول وهلة ، اما بعدد عن الذكاء والفطنة ، او لأن الموقف خاذل ، يكثر فيه اللفظ والضيعة ، فيحتاج الى إشباع المعنى وتركيبه وتكريره ، لمن لم يمكنه السبق الى تحصيله ، الا بالالفاظ المترادفة . وهي التي يدل الكثير منها على معنى واحد بعينه ، مثل ان يقال في وصف السيف : الحسام الباز ، الجراز القاطع . وفي وصف الشجاع : البطل الفاتك ، التجد الباسل . وفي وصف

الجواد : الخرق^(١) الباذل ، الجم النائل ، الكثير الفواضل ، الغزير النوافل ، وفي سائر الأوصاف على ذلك .

وهذا يقع في باب المكاتبات بالفتوح واليهود ، والصكوك والعقود ، وما جرى هذا الجري . ولهذا السبب قال بعضهم في وصف كاتب بليغ : ان اخذ شبراً كفاه ، وان تناول طوماراً^(٢) أملاه . يذهب بهذا القول الى ان البليغ يحتاج في موضع الى الإطالة والإسهاب ، كما يحتاج في آخر الى الاختصار والإيجاز ، الا ان أكثر ما عليه الناس في البلاغة انها الاختصار ، وتقريب المعنى بالألفاظ القصار . حتى انه سئل بعض الناس عن البلاغة فقال : هي لغة دالة . وهذا مذهب العرب وعادتهم في العبارة ، فانهم يشيرون الى المعاني بأوحى^(٣) إشارة ، ويستحبون ان تكون الألفاظ أقل من المعاني في المقدار والكثرة .

فأما ما يصلح للكتاب ، ويليق بذوي الالباب ، ان تكون ألفاظهم غير ناقصة عن المعاني ، ولا زائدة عليها . كما وصف بعض الكتاب واصف فقال : كأن ألفاظه قوالب لمعانيه . يريد انهما مطابقة لما ، غير زائدة عليها ، ولا ناقصة عنها . وهذا المذهب هو الذي يجب ان يشتمله الكتاب ، اذا لم يكن موضع يحتاج فيه الى الإسهاب . فانه يحكي عن جعفر بن يحيى البرمكي وكان قريع دهره ، ووحيد عصره بلاغة في المكاتبة ، وجودة لسان في المخاطبة ، انه قال : اذا كان الإيجاز كافياً ، كان التطويل عيباً ، واذا كان التطويل واجباً ، كان التقصير عجزاً . وقال ابن الاعرابي : قال لي الفضل : قلت لاعرابي ما البلاغة فقال : الإيجاز من غير عجز ، والإوطان من غير خطل .

وينبغي ان تعلم ان البلاغة لما كانت احدى الصناعات ، كان لها الكمال صناعة من المبادئ والموضوعات والأدوات ، وانه ليس واجباً على كل متعلم لصناعة ان ينظر في مبادئها وموضوعاتها ، ولا ان يعلم أدواتها ، وهذا عام لجميع الصناعات المهينة التي يباشرها

(١) الخرق (بكسر الخاء) كالخريق بمعنى السخي او الفنى الحسن الكريم الخلقة .

(٢) الطومار الصحيفة المستطيلة نكتب وتطوى طياً اسطوانياً . (٣) أعجل وأمرع .

الصانع بأعضائه العقلية التي يستعمل فيها فكره ، فإن في الصناعات المهيئة الصياغة ، وموضوعها الذمب والفضة . وليس يجب ان يعلم مع تعلمها ، كيف يستخرج هذات الجواهران من معدنهما ، ولا ان ينظر في شيء من امرهما ، غير إقامة الصور فيهما . وكذلك لا يعلم ايضاً كيف يعمل شيء من آلاتها مثل المبرد والمطرقة والسندان وغيرها ، بل تؤخذ اخذاً مسلماً ، على ان عملها مفوض الى الحداد . وكذلك صناعة الطب فانها تنقسم جزئين علمي وعملي ، وكلا هذين الجزئين هذه حالة ، فانه ليس 'يتعلم' « صنع »^(١) المكوى ، ولا كيف يصنع الموضع ، ولا غيرهما من الآلات ، بل يتولى ذلك اهل صناعة أخرى . ولا في الجزء العلمي ايضاً يؤخذ في مبادئه ، بل يؤخذ اخذاً مسلماً فيه ، مثل انه ليس يُبحث عن الحرارة والبرودة لمكاننا فاعلتين ، والرطوبة والهبوسة لم صارنا متفعلتين .

كذلك من أراد ان يتعلم البلاغة لم يلزمه مع تعلمها ان يتعلم أدوانها التي لا تتم الا بها ، ولا ان يبحث عن معانيها وموضوعاتها التي يحتاج الى ضرورة فيها ، كما لا يلزم غيرها من الصناعات التي ذكرنا . فانه لو لزمنا البحث عن موضوعات البلاغة ، وتعلم أدوانها لاحتجنا الى النظر^(٢) في اللغة والنحو ، وتعلم القياس والجدال مع تعلمها ، فطال ذلك وأدخلنا في الصناعة ما ليس منها فنقول الآن .

انا لما قلنا فيما مضى من المقدمة عند تعريفنا ما البلاغة ، انها ليست الفاظاً مجردة ،

- (١) الكلمات الموضوعة بين هلالين صغيرين هي من زيادتنا لفهم المعنى .
- (٢) وجد في هامش الاصل ما يأتي : اقول هذا موضع النظر لان النظر سيفي اللغة واجب حتى يستعمل ما كان أدور « على اللسان » فيقع فصيحاً ، وكذلك النحو لانه لو أهمل امر النحو فلا يكون التركيب مستقيماً ، وكيف لا والبلاغة شرطها معرفة هذه الأحوال مع أشياء أخر . وهامشة أخرى في المعنى ذاته : « انظر الى قوله لاحتجنا الى النظر فان فيه نظراً لانه يصرح بعد في بحث الاستعارة بقوله : ومن عيوبها ان تكون ملحونة خارجة على غير أسلوب الاعراب فكيف يكون عيباً وهو شرط عدم معرفته اللهم الا ان يريد بالاحتياج الاحتياج التام فتأمل اه .

ولا معاني قائمة في النفس مفردة ، بل أقوالاً يعبر بها عن المعاني — وجب ان يكون الاضطرار دائماً الى التوسع في اللغة التي مجراها مجرى الموضوع لصناعة البلاغة (لتعذر للبليغ^(١) اللفظ ، ويحدث عند الحاجة) ما يستعمله في البيان عن المعاني ، على سبيل الناظم للجواهر المرصع بها ما يقصد الى ترصيعه ان يكون معه جميع أصنافها ، وكذلك سبيل البليغ في حاجته الى الألفاظ .

فاما المعاني فالاضطرار اليها في البلاغة أشد منه الى الألفاظ ، وذلك ان المعاني هي الأغراض المقصودة للعبارة بالألفاظ ، والألفاظ مرتبة في مراتبها^(٢) لان المعاني اربعة مراتب : احدها أعيان الامور ، وذوات الاشياء التي توجد تلك المعاني فيها ، ثم بعد هذه المرتبة المعقولة التي تقوم معاني الموجودات في صورتها ، ثم الألفاظ التي تعبر عن تلك المعاني المتصورة في العقل بها ، ثم الحروف الموصوفة للخط الذي يكتب تلك الألفاظ بتأليفها .

قالبليغ الكامل هو الذي تكون الألفاظ عنده عتيقة غزيرة ، والمعاني في نفسه جمة كثيرة ، فانه مع ذلك يجيش بجره ، ويسهل الكلام والكتاب عليه .

والذي يجب على البليغ في استعمال الألفاظ ان تكون سمجة سهلة ، لها حلادة وطلاوة ، وعليها رونق الفصاحة ، مع الخلوص من البشاعة ، فلا يكون متوعراً وحشياً ، ولا سافطاً عامياً ، ومن نعمتها تصير الاجزاء متناسبة الوضع ، متناسبة^(٣) النظم ، متعادلة الوزن ، متوخى في كل جزئين منها ان تكون مقاطعها^(٤) على حرف واحد في التسجيع ، او حرفين متقاربي الخرجين من القم ، فان انضاف الى ذلك ألفاظ الجزئين المتزاوجة مسجونة كان أحسن ، مثل ما قال ابو علي البصير في بعض كلامه : حتى عاد تعريضك نصر يحاً ، وتمر يضك نصيحاً ، فأقي يجزئين . مقاربين ، متوازنين ومسجوعين بالحرف نفسه ، وهو الحاء من غير استكراه ولا تعسف ومتزاجي الألفاظ مسجوعيهما حيث

(١) جعلنا العبارة التي تعذر ايرادها على وجه مفهوم صحيح بين هلالين كبيرين .

(٢) في الاصل المركب بدل المرتبة والمراد كب بدل المراتب ولعل الصواب ما صححناه .

(٣) لعله متناسقة . (٤) نخ مقطعاتها .

جعل بازاء التمريض من الجزء الاول التمريض من الجزء الثاني ، وذلك مجمع بحرف الضاد و بازاء التصريح التصحيح بحرف الحاء ، فان لم تتوجه هذه المنزلة وهي أحسن المنازل فما دونها وهو السجع بالحرف نفسه فيما ضارعه وخرج قريباً من مخرجه كما كتب بعض الكتاب :

« اذا كنت لا تؤتي من نقص كرم ، وكنت لا أوتي من ضعف سبب ، فكيف أخاف منك خيبة أمل ، أو عدولاً عن اغتفار زال ، أو فتوراً عن لم تشمت واصلح خلل » .
 فوضع نقص بازاء ضعف ، وكرم بازاء سبب ، وعدول بازاء فتور ، مناسبة في وضع الالفاظ ، وموازنة بينها ، والا فقد كان يمكن ان يقال مثلاً : مكان نقص قلة ، ومكان سبب شكر ، ومكان فتور نقصير . فلم تكن الالفاظ حينئذ تتوازن ، وان لم يتسهل ايضاً ان يكون الجزآن متوازنين في القدر ، فليكن الجزء الأخير أطول ، فان تعدى حتى تكون الالفاظ مضرسة^(١) ، والأجزاء مجتمعة ، وأواخرها غير مسجوعة لا بحرف واحد بعينه ، ولا بحروف متضارعة ، فذلك خروج عن حد البلاغة .
 ورأيت قوماً يذهبون الى كراهة^(٢) السجع والاوزدواج في الكلام ، من غير أن عرفتم لم في ذلك حجة ، فعلت انهم ذموا ماراموه فلم يصلوا اليه ، وتناطوه فلم يقدروا عليه ، والا فهذا القرآن وكلام الرسول وهما مسجوعان ، فاما الذي في القرآن فأكثر من ان يحاط ، اذ كان مبناه عليه . واما كلام الرسول فكقوله في عودة سبطته : أغيدك من الهامة والسامة ، وكل عين لامة . ألا ترى انه في أصل اللغة ملة ، فرام المقاربة فقال لامة : وقال : خير المال مؤثرة مأورة^(٣) ، وسكة مأبورة . وهو في اصل اللغة

(١) هل يريد بأُتري بقوله المضرسة ماورد في اللغة من ان المضرس نوع من الوشي فيه أشكال أضراس . (٢) في هامش الاصل : لعل قول من قال بكراحتها محمول على انه اذا كان لا يحصلان الا بتكلف لا مطلقاً فان علماء البيان قالوا : انما يقبل اذا كانت سجيّة . وحجة هذا انه بالتكلف يخرج عن السلاسة والفصاحة كما لا يخفى .
 (٣) أمر الرجل كثرت ماشيته والاصل مؤمرة على مفعلة ومعناها كثيرة النساج والنسل .

مؤمرة . فعدل عنها الى مأمورة وقال : ارجعن مأزورات^(١) من الواو الى الهجمة ،
لانه من الوزر كما كان مأجورات بالهجمة .

ومن نعوت الألفاظ الاشتقاق والمضارعة ، فالمشتق مثل ما قال خالد بن صفوان
للعبيدي : هشتك هاشم ، وأمتك أمية ، وخزمتك مخزوم ، فأنت ابن عبد دارها ،
ومنتهى عارها ، نفق لها الأبواب اذا أقبلت ، ونذلقها اذا أدبرت .

فمثل هذا في الكلام الموزون ، بازاء هذا المنثور كثير ، ويسمى المتجانس^(٢) . وقد
شرحت حاله في كتاب الشعر .

فاما المضارعة : فكالذي جاء في الاثر اياكم والمشارة فانها تميم الغرة ، وتحيي
الدرّة . وكقول محبته لمن قال : خصصتك ما خصصتني ، بل انما خصصتني . وكقول
الآخر عولت لدي على مالي وآمالي .

ومن نعوت الألفاظ التبديل^(٣) وهو ان يُقدم في الكلام جزء ألفاظه منظومة
نظاماً تاماً ، فيجعل ما كان مقدماً في الاول ، متأخراً في الثاني ، مثل قول من قال :
اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك . وكقول^(٤) الآخر : اسودّ مني
ما كنت أحب ان يبيض ، وابيض مني ما كنت أحب ان يسود ، واشتد مني
ما كنت أحب ان يلين ، ولان مني ما كنت أحب ان يشتد . وكقول الآخر :
اللهم أغنني بالفقر اليك ، ولا تفقرني بالاسغناء عنك .

ومن نعوت الألفاظ الاستعارة وهي كقول القائل : ازال يفتل في الذريرة والغارب^(٥)

(١) في الكلام نقص وهو ارجعن مأزورات غير مأجورات فعدل عن الواو
الى الهجمة . (٢) يعني المجانسة كذا في هامش الأصل . (٣) ويسمى طرداً وعكساً—
كذا في هامش الأصل . (٤) وهو قول من في مسائله معاوية كذا في هامش الأصل .
(٥) ومن الجواز قولهم ما زال من فلان في الذريرة والغارب اي يدور من وراء
خديمته . قال الصغاني : الفتل فيه اي سيفه . المثل يفعله خاطم الصعب من الابل
يخمله بذلك فجعله مثلاً للخفادعة والازالة عن الرأي . والذريرة أعلى الشيء والغارب
ما بين سنام البعير وعنقه .

حتى لفته عن رأيه . وكقول الآخر : التبيذ قيد الحديث ^(١) وكقول الآخر :
فلان أملس ، ليس فيه مستقر طير ولا شر . وكقول الآخر : لا تجدش وجه رضاك
بالتوبخ ^(٢) . وفي نعمت القلم لعبد الله بن المعتز : يخدم الارادة ، ولا يميل الاستزادة ،
يسكت واقفاً ، وينطق سائراً ، على ارض يباضها ^(٣) مظلم ، وسوادها مضيئ ^(٤) .

ومن عيوب الألفاظ ان تكون ملحونة جارية على غير الاعراب والسبيل المبني
عليه الكلام ، ثم ان تكون بشعة مستوخمة ، مضادة لما تقدم من نعوته ، ثم ان تكون
ذات تعقيد . وفي وصية بشر بن المعتمر : إياك والتوعر ، فانه يستهلك معانيك ،
ويمنعك من مراميك .

ومن عيوب الألفاظ التجميع ، وهو ان يكون مقطع الجزء الاول من الجزئين
المتالين على وزن ما ، فيؤتى بالتسالي له على وزنه ، ومنافراً في النظم له . مثل قول
حميد بن سعيد في ازل كتاب من كتبه : فوصل به ما يستعبد الحر ، وان كان قديم
العبودية ، ويستغرق الشكر ، وان كان سالف فضلك لم يبق شيئاً منه . فالمقطع على
العبودية منافر للمقطع على منه .

ومن عيوبه ان يؤتى بالجزء الاول طويلاً ، فيحتاج الى إطالة التالي له ضرورة ،
فيصيره اما مثله في القدر ، او زائداً عليه ، فيضطرب حينئذ ويظهر عليه صياء التكلف .
ومن عيوبه التكرير وهو ان تعاد الكلمات أنفسها ، او حروف الصلوات
والرباطات وما جرى مجراها في المدة القريبة . فأما إعادة حروف الصلوات والرباطات
فمثل له وعليه او منه عليه او به له . فان فصل بين الحرفين بكلمة زال فبحه مثل ان
يقال أمنت عليه شهداء به .

ومن عيوبه ان يركب من الوحشي المتروك استعماله ، الثقيل في السمع .
« لا يبحث صلة »

(١) لعل المعنى ان الحديث في مجلس التبيذ سر فكأن التبيذ قبله عن الافشاء .

(٢) في هامش الاصل والأحسن ان نقول لا تجدش وجه رضاك باظفار التوبخ .

(٣) في هامش الاصل اي بسواد المداد . (٤) في الهامش اي يباض المعاني .

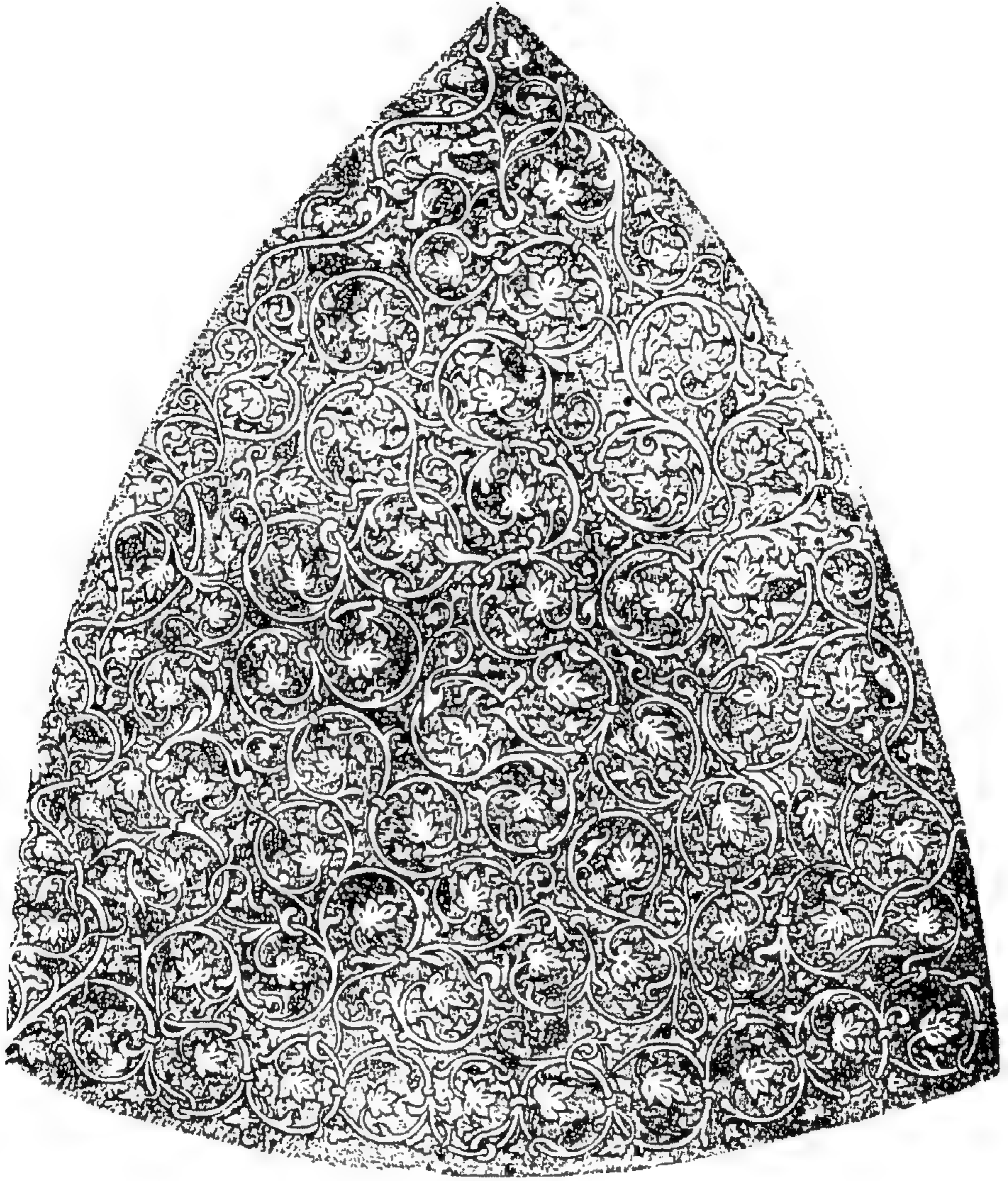
قبة جامع القيروان الكبير وسقوفه

للسيد جورج مارسه (عضو المجمع العلمي العربي في دمشق) طبع في تونس
وباريز ١٩٢٥ ص ٦٠ و ٢٨ رسم و ٣٣ لوحة مصورة :

Coupole et Plafonds de la Grande Mosquée de Kairouan -
an par Georges Marçais, Tunis et Paris 1925

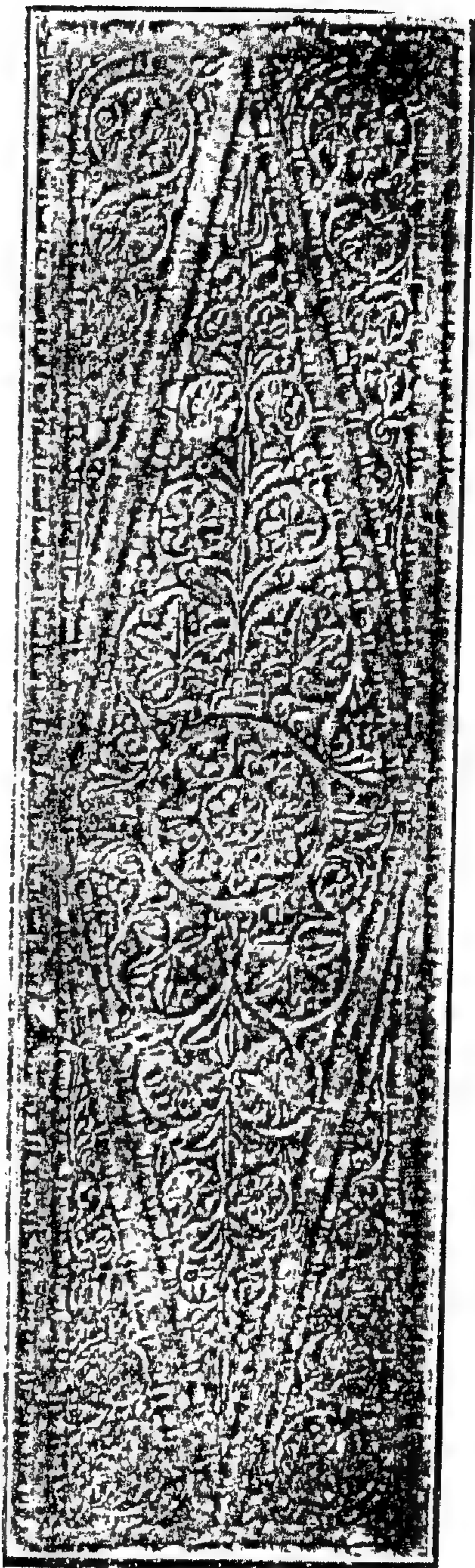
هذا التأليف هو بحث لسلسلة أبحاث أُمّني بنشرها ادارة الآثار القديمة والفنون
الجميلة في تونس وهي أيضاً تبحث في آثار تلك البلاد والمدنيات التي تعاقبت عليها
وقد وضع المؤلف تأليفه هذا ليكون احدى حلقات هذه السلسلة وضمته بحثاً جديداً
عن قبة جامع القيروان وسقوفه ذاكرة الأيدي العاملة التي تداولت عليها في أزمنة
مختلفة خلال اربعة قرون (اي من القرن الثالث الى السادس هـ) . ومع ندرة الوثائق
التاريخية من مطبوعات ومخطوطات وغموضها تمكن المؤلف باقتداره وقوة استنباطه
من ايفاء هذا البحث حقه مسترشداً بما بقي في الجامع من آثار تلك العصور من نقوش
وزخارف معارضا بينها وبين ما بقي من أمثالها في العراق ومصر والشام . وأظهر بعد
تحقيقه وتدقيقه ما كانت غامضاً وما عسر على غيره ادراكه . فجاء هذا البحث ثمة
لما نشره الاستاذان فلوري (S. Flury) وسادالان (H. Saladin) عن بناء
هذا الجامع ومحاسنه .

وبعد ان وصف المؤلف القسم العلوي من المحراب وزخرف عقده المزين برسوم
غصون الكرمه وعناقيدها (لوحة ٨) بحث - في الزمن الذي رسمت فيه تلك الرسوم
مسترشداً بما يماثلها في غير هذا البناء في سائر المدن العربية . ولما لم يهتد لشيء يستعين
به على إدراك غايته استدرك ذلك منسائلاً عما اذا لم يكن هنالك بعض الشبه بين
رسوم هذه الكرمه (شكل ١) وتلك الأخرى المذعبة التي وصفها مؤرخو العرب وقالوا
انه كان يزدان بها جدار قبلة الجامع الأموي في دمشق . وقد اكتفى المؤلف بهذا السؤال
اذ لم يجد ما يؤيد به نظريته لان الحرائق التي انتابت جامع دمشق منذ ذاك العهد ذهبت
بكرمته وجميع محاسنه حتى لم يبق فيه شيئاً من زخارف ذاك العصر حتى يسترشد بها .



شكل ١ كرمة جامع الفيروان

(كابتشة المؤلف)



شكل ٢ (لوحة جامع بني امية في دمشق)
(كابينة دار الآثار العربية)
في دمشق

كنت افضل ان امرّ بهذا البحث دون ان أقول كلمة فيه لو لم أجد مستنداً
 يؤيد نظرية المؤلف . وقد عثرت في دار الآثار العربية في دمشق على لوحة رخام
 (شكل ٢) عليها نقوش نافذة (رقم ح ٨٨) النقطت من بين أقناض الجامع الأيوبي
 ولعلها من بقايا كرمته الموصوفة ، على الرغم من تأثير الحريق الذي سودها ، فان
 نقوشها محفوظة واضحة ، وظاهر عليها اثر الذهب المطلية به . ويرى الناظر اليها
 أغصان الكرمة وعنقودها كالتّي في جامع القيروان حتّى ليخيّل للناظر اليها كأنهما
 من صنع صانع واحد ، غير انهما اختلفتا باختلاف سطح الجدار الذي رسمتا عليه .
 فبينما ترى كرمة القيروان على سطح مقعر ترى كرمة دمشق على سطح مستو ، هذا
 من جهة ومن جهة أخرى رسمت كرمة القيروان بصباغ على خشب وكرمة دمشق
 بحجر نائي على حجر . ويستفاد من كتابة المؤلف ان الفن المعماري العراقي والمصري
 والشامي ظاهر في بناء جامع القيروان وهذا يحملنا على الاعتقاد بانه كان بين عمال
 تونس من هم من تلك البلاد ولا يبعد ان يكون صانع المحراب دمشقياً متأثراً بمنظر كرمة
 بلدته فاستخذها انموذجاً نسج على منواله . ولا ريب بان كرمة دمشق هي الأصل في
 هذا الباب ، وما كرمة القيروان الا نسخة عنها ، لأن جامع القيروان أنشئ سنة
 ٢٢١ هـ . وجامع دمشق حوّل الى مسجد في سنة ١٨٧ و ١٨٨ هـ . وجميع من وصفوا
 كرمة دمشق منفقون على انها من عهد الوليد وهو الذي أتق عليها سبعين الف دينار
 كما ذكر ياقوت في معجم البلدان .

ولا يخفى انه لم يطرأ على جامع دمشق تغيير الا بعد حريق سنة ٤٦١ هـ لما دثرت
 محاسنه وزال ما كان فيه من الصناعات النفيسة ومن جعلتها الكرمة المذكورة .
 ان اللوحة المحفوظة في دار الآثار هي ولا شك قطعة من هذه الكرمة ، وان
 صح ذلك فيكون أصلح جواباً للمؤلف . واعتماداً على ما تقدم نقول بلا تردد ان كرمة
 القيروان هي نسخة من كرمة دمشق ، وهي من أقدم آثار جامع القيروان كما ان
 كرمتنا من أقدم آثار مسجدنا .

مدير دار الآثار

محمد الحسن

مطبوعات حديثة

شعراء النصرانية

« بعد الاسلام »

القسم الثالث في شعراء الدولة العباسية تأليف الاب لويس شيخو اليسوعي

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٧ م

حوى هذا القسم ترجمة اربعة واربعين شاعراً نصرانياً ، ارجع المؤلف انهم نصارى ، معتمداً على أمهات الكتب المطبوعة في الشرق والغرب من كتب العرب في التاريخ والادب . وبما نقل عنه من المخطوطات « جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام » لعبد الدين ابن الفنايم مسلم بن محمود الشيرازي و « اخبار الملوك ونزهة الملوك والملوك في طبقات الشعراء للملك المنصور صاحب حماة » المتوفى سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) وكلاهما من مخطوطات خزانة ليدن . و « دمية القصر وعصرة اهل العصر » لابي الحسن علي الباخرزي ، ومقامات يحيى بن ماري وكلاهما من مخطوطات خزانة الامة في فينا . و « بغية الطلب في تاريخ حلب لجمال الدين الحلبي . وتذكرة العلماء والشعراء للمملوك ثاني بك الخزندار وكلاهما من مخطوطات لندن . الى غير ذلك من المظان المعتبرة . وقد نسق المؤلف الاستاذ كتابه واستقصى في جلب المواد الا اننا لاحظنا عليه انه غمط حق المسلمين في الحرية التي أطلقوها لابناء ذمتهم ولو كان تعصب خصومهم المسلمين كما قال في المقدمة الافرنسية كما زعم وان النصرانية قلت في الدول الاسلامية لانقرض النصارى من الشام ومصر والعراق لا محالة ، بيد اننا رأينا خلفاء المسلمين وملوكهم وامراءهم وأعيانهم وعلماءهم ولا سيما في عهد العباسيين بفتح صدورهم وقلوبهم للمسيحيين والاسرائيليين والمجوس ، وما أهين احد لتخلته بل أهين المتطاول الى ماليس من شأنه ، على ما هو الحال في كل دولة وملة وعصر ، ولو كان التعصب الذي يذهب المؤلف الى تأصله في العصر العباسي عند المسلمين اكان اليوم يستطيع هذا المؤلف ان يدون سيرة اربعة واربعين شاعراً نصرانياً بأخذ كلامهم وتراجهم من كتب المسلمين ، والمسلمون هم الذين رفعوا من

شأنهم وعاشروهم وأدخلوهم مجالسهم واثمنوهم على حرمهم . ثم نوهوا بهم في كتبهم كما نوهوا بابناء مذهبهم . وخلدوا ذكركم وما آثرهم كأنهم ابناء عم لحكماء ، فأين التعصب الموهوم بعد هذا ؟ ولماذا نرتقي للظلم بزعمننا ولانسال عن السبب الذي دعا الى ظلمه . اذا أحببتنا الانصاف تذكر المسائل باعيانها ، ولا ترسل الكلام على إطلاقه ، مثال ذلك في كتاب الاب شيخو نفسه فقد ذكر ترجمة ابن بطلان المسيحي الذي زار بعض مدن الشام في سنة ٤٤٤ هـ ، وتقل بانثوت وابن القفطي طرفاً صالحاً من رحلته واقتبسها المؤلف ، وحذف ما قاله ابن بطلان في « اللاذقية » وكانت في يد الروم سنة ٤٤٦ هـ وخلاصة ما قال انهم كانوا يتزابدون في حلقة المدينة مدينة اللاذقية على مبيت المومسات عند الغرباء او الراغبين في الخنا ، و يأخذ كل من يريد البهر من المحتسب خاتم المطران حجة معه ، واذا وجد انسان مع خاطئة ولبس معه خاتم المطران ألزم نخانه ! فمثل هذه القصة التي عدها ابن بطلان « أعجوبة » لانه لم يرها في بلاد الاسلام ، هل يمكن ان نتخذها حجة على فساد أمة او على فساد نخلة . الشذوذ موجود في كل مجتمع ، والعبرة بالسواد الاعظم ، والعدل يقضي على المؤرخ بالانصاف على كل حال .

محمد كرد علي

بيروت

« تاريخها وآثارها »

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت

سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٧ (ص ١٤٠)

وهذا من التأليف الجديدة التي عني الاستاذ شيخو بوضعها على نسق جديد عامداً الى مصادر مهمة استقى منها ووضعها في قالب مقبول في تاريخ ثغر الشام وآثارها وقد زين كتابه بيضعة رسوم . ومما تلفت نظر المؤلف اليه ان كلامه على عمل الطوائف غير المسيحية في بيروت على عهدها الاخير ناقص قليلاً ، وقد نقل عن الجغرافي البعقوبي انه كان في عرفة وطرابلس قوم من الفرس وان اهل كور جيبل

وبيروت وصيدا، كذباً قوم من الفرس تقاهم اليها معاوية بن ابي سفيان . وأردف المؤلف هذا القول بقوله : « ولا شك ان المتأولة الشيعة والنصيريين الذين في سواحل الشام حتى يومنا من ذرية هؤلاء الفرس » . ولعل غيرنا من الباحثين يحقق هذه القضية فان لنا شكاً فيها . وثني على مهمة الاسناد المؤلف لما بعانيه في تأليفه واجتهاده من الجهد والعناية .

م . ك

كتب ورسائل مختلفة

- (١) التقرير الصحي السنوي لمديرية الصحة العامة في العراق خلال سنة ٢٥ و ١٩٢٤ و ٢٤ — ١٩٢٣ .
- (٢) حكاية ذي القرنين لابي مرثد الحميري وقصة الصنم والملك وابنته نشرها السيد (امليو غرسبه كومن) مع ترجمتها والتعليق عليها باللغة الاسبانية طبعت في مجريط سنة ١٩٢٦ .
- (٣) مملكة جهنم والخمر للفيلسوف تولستوي . نقلاً الى العربية عن الروسية السيد سليم قبعين صاحب مجلة الاخاء . والطبعة الثانية في المطبعة التجارية الكبرى في القاهرة (ص ٨٨) .
- (٤) « درر الحكم شرح مجلة الاحكام » الجزء الثاني تأليف السيد علي حيدر تعريب المحامي الاستاذ فهد الحسيني صاحب مجلة الحقوق طبع في مطبعة الحقوق بآفا سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٦ .
- (٥) « كتاب القراءة » للعلامة كراتشوفسكي لتعليم اللغة العربية لابناء روسيا طبع في لينينغراد سنة ١٩٢٦ (ص ٤٤) .



مجلد الجمع للعلم العربي

(دمشق) : شباط سنة ١٩٢٧ م الموافق شعبان سنة ١٣٤٥ هـ

اسم الآلة

« بين النخاء واللغو بين »

دارالبحث في بعض جلسات المجمع العلمي حول وضع كلمة عربية تقوم مقام ما يسمى بالتركية (صوباً) فاخترت كلمة (مدفأة) بصيغة اسم الآلة لان ال (صوباً) آلة لتدفئة البيت وتسخين هوائه . فاعترض بعض الاخوان قائلاً : ان هذا لا يجوز لان النخاء اشترطوا في اسم الآلة ان يكون مشتقاً من الفعل الثلاثي المتعدي وفعل (مدفأة) اما (دفع) اللازم واما (أدفاً او دفأً) المزيد على الثلاثي ولا يجوز اشتقاق اسم الآلة منها كليهما^(١) . فقلت له : أما وقد استشهدت بقول النحويين قالي اذكر بجانبه ما يفعله

(١) من مستملح المصادفات انني جمعت بمقالي هذا الى دارالمجمع العلمي وبحضرة رئيسه وبعض اخواننا سلمته الى عامل المطبعة بيدي وتناولت باليد الاخرى جزء آب من مجلة (لغة العرب) لمنشئها العلامة الاب أنستاس الكرملي فتصفحت افئذائه فاذا هي تقرىظ لكتاب (الفيزيا) الذي ألفه الفاضل السيد عز الدين علم الدين . وقد قرظ الآب الكرملي هذا الكتاب وأثنى عليه لكنه انتقد بعض كلمات جديدة جاءت فيه ، من ذلك كلمة (مدفأة) التي استعملها مؤلفه قائلاً : « المدفأة (بوال Poêle) آلة الدفء وهي من أوضاع الشيخ عبدالقادر المغربي » فمأق الآب الكرملي على هذه العبارة قوله : « اما نحن فنقول : لا يمكن ان تكون اللفظة مدفأة وزان مكنسة بل مدفئة (على صيغة اسم الفاعل) من فعل أدفاً لأن اسم الآلة لا يصاغ من اللازم » اهـ . فلما قرأت قوله استرجعت مقالي

العرب وهرانهم قد يشتقون أسماء آلات من الافعال الثلاثية اللازمة ومن الافعال
الازيدة بل ومن الاسماء الجامدة ايضاً ولديّ شواهد كثيرة على ذلك . ففي كلام النحاة
إذن نظر . ينبغي ان يحزر . ثم سألتني سائل آخر عن كلمة عربية تختلف كلمة
(تلكوب) الافرنجية في معناها . فقلت ان تلكوب انما هو آلة لادناء البعيد
فنسبه (مدناة) على وزن مرناة اي آلة الدنو كما ان المرقاة آلة الرقي . فعاد ذلك الفاضل
الى اعتراضه قائلاً : وهذا ايضاً لا يجوز لان (الدنو) فعل لازم لا يصاغ منه اسم آلة .
فقلت وهذه (المرقاة) اسم آلة وقد صاغها العرب من فعل (الرقي) وهو لازم . ثم اظهرت
الارتباب فيما قاله النحاة وسكت على مضمض . واخذت من يومئذ استعرض في نفسي اسماء
الآلات الواردة في كلام العرب والشائعة على ألسنة اللغويين فوجدت طائفة كبيرة
منها لم تتوفر فيها الشروط التي اشترطها النحويون : من كون الفعل ثلاثياً وكونه متعدياً .
فلم يعجني تشدد النحويين ولا تحجيرهم الواسع في هذه المسألة . وملت الى رأي اللغويين
الذين انما ينقلون الينا متون كلام العرب . فطريقتهم في إثبات اللغة وشقيقتها عملية
بمخلاف النحويين فان طريقتهم نظرية في معظم مناحيها . فينبغي إذن ان يكون كلام
اللغويين هو العمد في هذا الباب . ولا سيما ان نهضتنا اللغوية الحاضرة تستدعي التسامح
والافتاء باقوال الكوفيين ولو كانت ضعيفة شاذة ، فكيف بأمر نقله اللغويون ودونوه في
كتبهم . وقد يئماً أحفظ تشدد النحاة وتعصبهم لقواعدهم — قلوب اهل اللغة والأدب
والبلاغة حتى قال ابو العلاء المعري وقد ضاق بهم ذرعاً : « لا يسخط عليك الله ولا
الملك اذا كنت لا تدري لما ذا ضمت تاء المتكلم وفتحت تاء المخاطب » وقال ايضاً :

من يد المتضدوا لحقت به هذا التعليق لأعجب القراء من هذه المصادقة ولا أحقق لهم بانني لم اكتب
هذا المقال انتصاراً للنفي ولا تأييداً لقول السيد عمر الدين ولا رداً على العلامة الكرملية وانما
هو ابن المصادقة المحضة . ولعل في هذا الاتفاق ما يشفع برأيي لدى علامة العراق فيشايعه فيها
بسيله من خدمة هذه اللغة العربية الذي هو الحق يقال من اكبر خدماتها . العاملين على
توسيع نطاقها . ولكن هل رأيه هذا في اسم الآلة مما يوسع النطاق . او هو من قبيل شدة
الوثاق . وتزييق الحبل على الخناق ؟

(أفهم أخاك اذا نطقت ولا تُبَلِّ) يا حارٍ قلت بذاك أم يا حارٍ (بل ان شذوذ النحاة أحياناً في بعض ما ارتأوه وخالفوا فيه اللغويين أخرج صدر إمامهم سيدي به نفسه : فقد عقد في مصنفه النفيس الذي أسماه (الكتاب) باباً ترجم له بهذا العنوان « هذا باب استكرهه النحويون وهو قبيح فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب » ثم ذكر ان النحويين جروا في استعمال (تباً وويحاً) على خلاف ما جرى عليه اهل اللسان . ومما قاله ابن خلدون في صدد بيان تذمره من النحاة هذه العبارة « خرفشة النحاة اهل الاصراب القاصرة مداركهم عن التحقيق » ومعنى (الخرفشة) التخليط . ولا يعجلن القارئ في لوم ابن خلدون حتى يعلم ما كان من رأي نحاة زمانه فيه فلملمهم كانوا يعميون تصانيفه وينسبون الخطأ الى أساليبهم ويحكمون فيها قواءهم وآراءهم مع ان ابن خلدون هو الكاتب العبقرى الذي أصبح أسلوبه مثلاً يحتذى . وإماماً يقتدى . وسيتبقى كذلك على طول المدى .

وما زال يخطر في بالي هذا وامثاله وأقدم رجلاً وأؤخر أخرى في إعلان تحكما النحويين في مسألة (اسم الآلة) مذقته بالمثل الثلاثي المتمدي حتى ظفرت وانا أنقب في كناشات المرحوم الشيخ طاهر الجزائري بهذا النص الصريح : « ذكر الفخر الرازي في كتابه (المحصل) في الفصل الذي عقده للكلام على مبادئ اللغة — ان قول اهل اللغة في المباحث اللغوية راجح على قول غيرهم يعني النحاة اهـ . » فقلت في نفسي لا جرم ان هذا النص من كلام الرازي يمتد لي العذر في نصب الموازين . ومحاكمة النحويين . والاحتجاج عليهم بقول اللغويين . لا سيما أن مسألتنا (اسم الآلة) مسألة لغوية في كتبها لأنها بحث في الصيغة والاشتقاق وليست مسألة نحوية يبحث فيها عن أواخر الكلم العربية . على اننا اذا لم يعجبنا ما قرره النحاة في اشتقاق اسم الآلة فليس معناه أننا ندعو الى التمرد على كل ما قرروه ودوتونه . كيف وان لأهل كل لغة كتباً في النحر والبيان يرجعون اليها . ويعولون في تقويم أسنتهم عليها . وانما نرى ان النحويين رحمهم الله لفرط إكبابهم على قنهم وافرغهم له مدة اثني عشر قرناً قد توسعوا فيه بأكثر من قدر الحاجة حتى أصبحنا مضطرين ان نختصر مما قالوا ونوجز فيما أطلوا . وان نطلق في بعض الاحايين ما قيدوا . ونختف ما شددوا .

فاعلم أولاً ان اسم الآلة صيغة أراد العرب من وضعها اختصار التركيب الإضافي :
فقولهم مثلاً مفتاح انما أرادوا اختصار كفتي (آلة الفتح) و (منخل) آلة النخل و (مبرد)
آلة البرد و (ملقحة) آلة اللق و هكذا . وأشهر صيغة لاسم الآلة هي ما بدى بالميم .
وله وزنان (مفعول) كمقود و (مفعلة) كسجيرة وقد جاء اسم الآلة على غير هذين
الوزنين : فجاء على وزن مفعال بكسر أوله نحو (سداد) آلة السدة و (ثقاب) ما يشعل
به النار من عيدان ونحوها فهي آلة الانثقاب اي الايقاد و (ثقاف) آلة يُثَقَفُ بها
صانع الرماح رماحه اي يسويها بها و يقرمها . وما كان من اسم الآلة على وزن
(مفعال) لم يشترط فيه النحويون ان يكون مشتقاً من فعل ثلاثي متعدٍ : فان (سداد)
ان كان اشتق من (سد) الثلاثي المتعدي فهذه ثقاف مشتقة من ثقب الرمح بالشديد
وهو ثلاثي مزيد . و (ثقاب) مشتقة من أثقب النار اذا أرقدها وهو ثلاثي مزيد
ايضاً او هي مشتقة من ثقت النار اتقدت وهو فعل لازم لا متعد . فلم يبق الا ان
النحاة اشترطوا كون الفعل ثلاثياً متعدياً في اشتقاق اسم الآلة الذي يكون على وزن
(مفعول ومفعلة) وها نحن أولاء نريد ان لا نشترط هذا الشرط فيها كما لم يشترطوه
في ما كان على وزن (مفعال) وذلك لتوفر الأدلة على عدم لزوم اشتراطه .

قال النحاة في تعريف اسم الآلة : « هي ما صيغ من المضارع المعلوم لمعالجة
الفاعل المفعول به لوصول أثر الفعل اليه ولا تصاغ الا من ثلاثي مجرد » : فقولهم لمعالجة
(الفاعل المفعول به) هو نقرر لشرط تعدية الفعل . وقولهم (ولا تصاغ الا من ثلاثي
مجرد) اثر لشرط كونه ثلاثياً مجرداً . هذا ما قالوه في كتب تعليم القواعد النحوية
او الصربية وهو منقوض بالكلمات الكثيرة الدالة على معنى الآلة وليست مشتقة من
المتعدي ولا من الثلاثي المجرد بل هو منقوض ايضاً بتصرفات بعض علماء اللغة كما
يأتي بهانه . وقد اعتذر لم بعض الفضلاء فقال : ان النحويين في تأهيبهم القواعد
وجمعهم الشوارد كثيراً ما يراعون في هذا الجمع والتأسيس التقريب والتسهيل على
الطلاب . فيقتصرون من أحكام اللغة العربية على الأعم الأغلب فيضعون له الأصل
و يقررونه في كتبهم على انه قاعدة عامة لجميع الجزئيات ويكون هناك في بعض
الأحاطين مسائل وجزئيات أخرى تنطوي تحت قاعدة أعم وأشمل من تلك القاعدة

التي وضعها النحاة . كذا قال هذا الفاضل فيكون اساتذة العربية على رأيه فريقين :
(فريق النحاة) وهؤلاء أكثر اتصالاً بالناشئين الشادين من الطلاب فهم من أجل
ذلك يسارعون في التسهيل عليهم فيضعون لهم من القواعد ما كان ينبغى على الاستقراء
الناتق كفا فعلوا في تعريف اسم الآلة . ومن الغريب انهم مع هذا التعريف لم
يصرحوا بأن كل ما عدا ذلك من أسماء الآلات المشتقة من الأفعال اللازمة والمزيدة
— شاذ لا يقاس عليه .

و (فريق اللغويين) وهؤلاء يضعون القواعد المبينة غالباً على الاستقراء التام
فتكون أعم وأشمل مما وضعه النحويون بحيث تصلح ان تكون عمدة لمن أراد التنبؤ
(اي التخصص والاختصاص) في علم اللغة . وثقتي أسرارها . والتعمق في أغوارها .
ونحن اليوم معشر العرب في دور النهوض والاهتمام بتوسيع دائرة التخاطب بلغةنا
وتمهيد الطريق بين يديها لتجاري اللغات الحية . فلا يحسن ان تقتصر على ما قرره
النحاة مما يؤدي الى التجرد والنضيق وتقليل الانتفاع بالمادة اللغوية او بالارث اللغوي
الذي تركه لنا الأسلاف . وانما الواجب ان نستفيد من أقوال اللغويين الذين وسعوا
الدائرة بل من أقوال الكوفيين التي لم تشتهر في كتب النحاة ولم يبيحوا العمل بها كما
أباحوه بالنسبة لأقوال البصريين .

فكلمة (المدفأة) للصوبا و (المِدْنَة) للتسكوب اذا راعينا أقوال النحاة هجرناهما
وتحفظنا في اختيار كلمتين سواهما تكررنا موافقتين لما اشترطوه في (اسم الآلة) أما اذا
راعينا أقوال اللغويين واعتبرنا شواهدهم قبلنا تلك الكلمتين وحملناهما على نظامهما
التي سنسردها على القاري .

فعلماء اللغة يجولون من وضع (اسم الآلة) في دائرة أوسع . ويجرون على طريقة
أسهل وأنتع . فهم يجوزون اشتقاقها من الفعل اللازم ومن الفعل المزيد على الثلاثي
ومن الاسم الجامد ايضاً . كما انهم يشتقونها من الفعل الثلاثي المتعدي الذي هو والحق
يقال أكثر استعمالاً . وأوسع مجالاً .

﴿ أقوال اللغويين الدالة على جواز اشتقاق اسم الآلة ﴾
« من اللازم والمزبد والجامد »

جاء في رسالة العلامة الكسائي التي سماها (ما تلحن به العوام) ما نصه :
« وما كان من الآلات مما يوضع ويرفع مما سبغ في أوله ميم فاكسر الميم ابتداءً إذا كان على (مفعول ومفعلة) نقول : هذا مشمل ومثقب ومقود ومنجل ومبرد ومقنعة ومصدغة وبجرة ومسرحة ومشربة ومرفقة ومخدة ومحنة ومظلة فهذا كله مكسور الأول ابتداءً سوى مُنْخُلٍ ومُسْطَ ومُدْمُنٍ ومُدْقَةٍ ومُكْحَلَةٍ فان هذه الأحرف جاءت عن العرب بضم الميم اهـ » . والشاهد في قول الكسائي أنه عدد هذه الكلمات وسماها كلها آلات وهي نحو عشرين كلمة نصفها نوفر فيه ما اشترطه النحويون في اسم الآلة أعني ان تكون مشتقة من ثلاثي متعذر ونصفها لم يتوفر فيه الشرط المذكور .
فالنصف الأول : مثقب مقود منجل (من منجل الشيء إذا رمى به) مبرد مشربة (من مشرب الماء) محنة (من حسن الدابة وتسمى المحنة الفرجون ايضاً) مُنْخُلٌ مُسْطَ (من سعط الدواء) مُدْمُنٌ مُدْقَةٌ . والنصف الثاني الذي لم يتوفر فيه الشرط هو : مشمل (نوع من البرود مشتق من الاشتمال المزبد لا من الشمل) مقنعة (من لقنعت المرأة لا من قنعت) مصدغة (مشتقة من الصُدغ الجامد) بجرة (من الجبر لانه يوضع فيها) مسرحة (هي المشط من مسرح الشعر بالتشديد لا من مسرحه الثلاثي) مرفقة (المتكأ والمخدة من ارتفق المزبد لا من رفق الثلاثي) مخدة (من الخد الجامد) مظلة (من الظل الجامد او من ظلاله المزبد) مُكْحَلَةٍ (من الكحل الذي يوضع في المكحلة وليست من فعل كَحَلَ حتى تكون اسم آلة له وانما آتته تسمى المِكْحَل والمِكْحَال وهو الملول ايضاً) فهذه كلها مسرح الكسائي بتسميتها أسماء آلات وهي لم تستق من الثلاثي ولا من المتعدي كما رأيت .

وقال صاحب التاج بمناسبة ان قوماً من اللغويين ذهبوا الى ان (المحبرة) هي بفتح الميم لا بكسرها بناءً على كونها اسم مكان بمعنى موضع الحبر — ما نصه :
« والصحيح انها (اي الفتح والكسر) لغتان أجودهما الفتح ومن كسر الميم قال

انها آلة » فانظر كيف صرح بان بعضهم يسمي (المحبرة) اسم آلة مع انها مشتقة من (الحبر) الجامد وليست مشتقة من فعل ثلاثي متعد كما قال النجاة .

وقال صاحب التاج ايضاً (المقلمة) (بكسر الميم) وعاء قلم الكتابة . ثم قال « قال شيخنا : وكان المناسب لكونها وعاء الفتح (اي فتح اولها) على انها اسم مكان اذ مقتضى الكسر انها اسم آلة ويمكن ان يقال الوعاء آلة للحفاظ اهـ » اي فلا تفتح الميم بل نبقيها مكسورة وان كانت وعاء باعتبار ان الوعاء آلة للحفاظ وبهذا الاعتبار يجوز كسر ميمها . وتكون النتيجة ان (المقلمة) اسم آلة يتوصل بها الى حفظ الأقلام من التبدد والتكسر . وهي بلا ريب مشتقة من (القلم والقلم اسم جامد لا فعل ثلاثي متعد . وعقد إمام اللغة الثبوت الحجة الفيومي صاحب المصباح فصلاً خاصاً باسم الآلة قال فيه :

« فصل : اذا جعل المفعول مكاناً فتحت الميم فالمقطع اسم للموضع الذي يقطع فيه و (المقص) للموضع الذي يقص فيه و (الفتح) للموضع الذي يفتح فيه . وان جعلت (المفعول) أداة (اي اسم آلة) كسرت الميم (فالمقطع) ما يقطع به و (المقص) ما يقص به . ثم قال : « وكذلك كل اسم آلة فهو مكسور الاول نحو (المخدة) و (الملحفة) و (المقلم) و (المروحة) و (الميثرة) و (المكنسة) و (المقود) وشذ من ذلك أحرف جاءت بالضم ثم عدت منها (المسيط) و (المدخن) و (المحرضة) و (المكحلة) و (المئصل) و (الملاءة) وشذ بالفتح (المنارة) انتهى قوله . فانظر كيف سمي هذه الكلمات كلها سواء أكانت مكسورة او مضمومة او مفتوحة أسماء آلات وهي كلها او معظمها مشتقة من أسماء جامدة فلولا ان اللغويين لا يشترطون في اسم الآلة ما اشترطه النحويون لما سموها أسماء آلات بل كانوا يسمونها كما سماها بعض المتكلمين (أشباه آلات) ١١ ومعظم الكلمات التي مردها صاحب المصباح من ذكرها في عبارة الكسائي السابقة وقد بينا اشتقاقها . اما التي لم يذكرها فهي : (الملحفة) اسم آلة من الالتفاف الزيد او من لحفه بمعنى غطاء (المروحة) مشتقة من الريح الجامد و ياء الريح اصلها وار كما لا يخفى . (الميثرة) من الوثارة وهي لين الفراش ووطاءته (المكنسة) من كنس الثلاثي المتعدي وهذا كما شرط النجاة . (المحرضة) الوعاء الذي يوضع فيه الحبر وض

وهو الاثنان . (المتصل) السيف وهو مشتق من فعل فصل وكل معانيه تدور حول معنى الخروج . وأرى ان لا يجعل (المتصل) من أسماء الآلات لأن معنى الآلية فيه غير ظاهر . ومثل المتصل (الملاءة) اسم للثوب المخصوص ومعنى الآلية غير ظاهر فيها أيضاً .

مر معنا في كلام الكسائي وصاحب المصباح أسماء آلات كثيرة لم يتوفر فيها ما شرطه النحاة من كون فعلها ثلاثياً متمدياً ومع هذا فقد سمياها (أسماء آلات) مما يثبت انه لا يشترط في اسم الآلة ما اشترطه النحويون . وهاك أمثلة أخرى غير ما تقدم .

﴿ أسماء آلات مشتقة من أسماء جامدة ﴾

(ملحة) اسم للوعاء الذي يوضع فيه الملح فهي مشتقة من الملح الاسم الجامد . وليس هو (اي لفظ الملحة) اسم مكان لانه مكسور الاول واسم المكان مفتوح الاول وانما هو اسم آلة . ولا ريب ان الوعاء المسمى بالملحة آلة لحفظ الملح فيه .

(المخصرة) اسم لضرب من العصي تسند به الخاصرة فهي مشتقة من الخصر .

(المثيرة) الوعاء الذي توضع فيه الأبر وهو مشتق من (الآبرة) .

(المزود) الوعاء الذي يوضع فيه الزاد وهو مشتق منه ويكتب بالزاي . اما

(المذود) بالذال المعجمة فهو (المعلف) اي الموضع الذي يوضع فيه علف الدابة . والظاهر انه مشتق من (المذود) بمعنى الدفع والطرده ولكن لماذا سمي معلف الدابة (مذوداً) واي علاقة بينه وبين معنى الطرد ؟ ؟ .

(المعلف) المكاتب يوضع به علف الدابة فهو مشتق من (العلاف) الجامد وميمه

مكسورة . لذلك كان اسم آلة لتقديم العلف الى الدابة .

(المطر) ثوب يثني به المطر ونسميه اليوم (المشمع) والمطر مشتق من (المطر)

وهو اسم جامد .

فهذه الكلمات أسماء آلات وهي ليست مشتقة من الافعال المتعدية اللازمة فان

ادعى مدع ان كلاً من هذه المذكورات اسم مكان لا اسم آلة يصح ادعائه فيما ورد

مفتوح الميم منها او فيما يمكن ان يكون اسم مكان كالمعلف مثلاً اما المطر فلم يرد مفتوحاً

ولا يصح اعتباره اسم مكان كما لا يخفى وانما هو اسم آلة محضة .

﴿ أسماء آلات مشتقة من أفعال ثلاثية لازمة ﴾

(المراقبة) السلم وهي اسم آلة من رقي بمعنى صعد وهو فعل لازم وبعضهم يفتح ميم المراقبة ويجعلها اسم مكان بمعنى انهبها موضع للرقى لا آله . ويختل الياء الياء العرب لم ينطقوا بالمرقاة ولا بالحبرة مفتوحة الميم لتكونا اسم مكان وإنما بعض النحاة ادعى هذه الدعوى فيها إطراداً لقاعدتهم التي قرروها من إن اسم الآلة يلزم أن يكون مشتقاً من الفعل المتعدي لا اللازم .

(المعراج) بمعنى السلم ايضاً اسم آلة من عرج في السلم أو في السماء اذا صعد فيها .
(المصباح) اسم آلة مشتق من فعل (صَبَحَ) بمعنى أَمَعَ وأَنَارَ . وهو مشتق من اسم الصُّبْحَ لانه يقوم مقامه في الاضاءة وصلاح الظلام ؛

(المدخنة) اسم آلة من فعل (دَخَنَ) الدخان اذا ارتفع ودَخَنَتِ النار علا دخانها .
(المنخر) العضو المعروف وهو اسم آلة من فخر فخرأً وفخيراً .

(المزrab) اسم آلة من فعل زرب الماء سلس .

(المعارف) آلات اللهو وهي جمع (معرف) من فعل عَرَفَ اللازم .

(الملاهي) جمع (ملهي) بكسر الميم وهو اسم آلة من لها الرجل يلهو .

وكل ما ذكرنا من الكلمات أسماء آلات وهي مشتقة من أفعال لازمة كما سمعت ومبانيها مكسورات فلا يسهل ادعاء كونها من أسماء الأمكنة اللهم الا كلمة (منخر) و (مراقبة) وقد قلنا كلنا في الأخيرة .

﴿ أسماء آلات مشتقة من أفعال مزيدة على الثلاثي ﴾

(المئزر) اسم آلة وهو مبني من فعل (إِئْزَرَ) المزيد على الثلاثي .

(المطهرة) اسم للآلة الذي يتطهر به فهو من تطهر .

(المبضأة) اسم للآلة الذي يتوضأ به من توضأ .

(المسطرة) اسم لما يقع به التسطير من سطر .

(المحرك) العود الذي تحرك به النار من حرَّك .

(المعلاق) ما يعلق به الشيء من علق .

(المجداف) العود الطويل الذي يجذف الملاح به في سفينته من جدَّف .

(الملبة) خشبة تُملّس بها الأرض أي تُسوَّى .
 (المدي) على وزانٍ مفعول اسم للوعاء الذي يهدى فيه الهدية كالطبق من
 فعل أهدى .

(المواح) البومة تشدّ رجلها ليُصطاد بها البازي : وذلك ان يطيرها الصائد
 ساعة بعد ساعة فإذا رآها البازي أو الصقر وقع عليها فيأخذها . وصميت (ملواحاً) من
 لوح بثوبه اذا رفعه وحركه ليروح للناسظر فيراه . فملواح اسماً للبومة المذكورة
 مشتق من لوح المزيد على الثلاثي .

(المثذنة) بكسر الميم المنارة التي يؤذن المؤذن من عليها — فهي من أذن المزيد على الثلاثي .
 فالكلمات المذكورة مكسورات الاول أسماء آلات وهي مبنية من المزيد
 لا من الثلاثي . وما صح اعتباره منها اسم مكان كالمثذنة بمعنى موضع الأذان تحت ميمه
 وقيل (مأذنة) ولعله لم يرد مأذنة بالفتح كما وردت المنارة بالفتح . ومالم يصح اعتباره
 اسم مكان كالبراق كان اسم آلة قطعاً .

وقد يخطر في البال ان يقال : كيف يصح اعتبار (المثذنة) بكسر الميم اسم آلة
 وهي لا تمسك باليد ولا يعالج المؤذن بها أذانه كما يعالج الخياط صناعته بالمقص
 والنجار بالمشار والكتّاب بالمرق ؟ والجواب على هذا ان المعالجة التي تقع باسم الآلة
 تختلف باختلاف نوع العمل الذي يعالج بها . على ان جهة النظر في اسم الآلة انما هو
 ان يقع التوصل بها الى تحصيل غرض خاص سواء أكانت المعالجة بها حقيقية كما اذا
 قبضنا عليها بكننا يدبنا أو لا بأن تكون المعالجة اعتبارية . فالمؤذن الذي يريد ان
 يسمع الناس أذانه لا يقدر على ذلك في أرض الشارع أو بين البيوت . فيتوصل الى
 غرضه بالمثذنة فيرتقي عليها فيسمعون صوته من فوقها . فالمثذنة إذن آلة لانه يتوصل
 بها الى الغرض وهو إسماع الناس الأذان . وان لم يحصل هذا التوصل بطريق المعالجة
 الحقيقية كالمعالجة بالفتاح والمشار .

والكلمات التي سردناها على صيغة اسم الآلة ولم تتوفر فيها شرط النحويين انما
 سنحت لنا سنوحاً من دون تعمد ولا استقصاء للبحث في المعاجم وكتب اللغة ولو فعلنا
 لجمعنا من ذلك الشيء الكثير على ان ما سردناه كاف للدلالة على تخلف شرط النحويين

وانتقاضه وان الحق مع اللغويين الذين يجوزون بناء اسم الآلة من الفعل اللازم والمتعدي ومن الفعل الثلاثي والمزيد ولا أظن ان دعوى النحويين شذوذ ما ذكرنا من الكلمات مسموعة لان الشذوذ عن القاعدة انما يكون بورود كلمة او كلمتين او ثلاث لا بما يكاد يعد بالمثلث اذا اكثر . وكما ان دعوى الشذوذ غير معتبرة ولا مسموعة كذلك يجب ان لا تسمع دعوى كون كل واحدة من هذه الكلمات هي (شبه اسم آلة) لا اسم آلة : فان التسمية لا تحمل حراماً ولا تحرم حلالاً . وبديل ان نكلف الطالب تمقل اسم الآلة بشروطه ثم نكلفه مرة أخرى ان يتعقل شبه اسم الآلة وننصبه في الفرقة والتمييز بينهما نعمد توجهاً الى اختصار الطريق عليه ونقرر له ما قاله اللغويون في اسم الآلة وان الآلية تكون حقيقية واعتبارية ثم نورد له الأمثلة الكثيرة على ذلك .

وبما يلتحق بهذا الباب ايضاً ان طائفة أخرى من أسماء الآلات ووصفت بها الأشخاص كقول الشاعر : (شريب خمر مسموع الحروب) وقول الآخر : (جمع الشجاعة والخشوع لربه ما أحسن المحراب في المحراب) فان كلا من (مسموع) على وزن منبر و (محراب) على وزن مفتاح اسم آلة وقد خالف النحاة اللغويين في ذلك ولم يريدوا ان يسموها اسمي آلة ولا ان يطبقوا تعريف اسم الآلة عليهما بل سموها صيغة مبالغة . وقد اختلف نظر النحاة واللغويين في هذه المسألة شأنهم في مسائل كثيرة : فالتحوي بقول الطالب ان (مفعول) و (مفعول) من صيغ المبالغة : فمسموع حرب معناه البطل المغوار الكثير التسعير لغيره الحروب والمغشم والمحراب والمضياف والتلاف كذلك هي صيغ مبالغة ومعناها الرجل الشجاع الذي لفرط شجاعته قد يغشم غيره اي يظلمه وهو غير مبال . والرجل الكثير الحروب او الشديد القوة في الحرب . والمضياف الكثير الضيافة للناس . والتلاف الذي بكثرت من انلاف ماله في سبيل الجود .

اما علماء اللغة فلا يذهبون هذا المذهب في تحليل (المسموع) و (المحراب) وأخواتها وانما يقولون انها أسماء آلات وان المبالغة في وصف الرجل بالشجاعة (في المسموع والمحراب) وبالجود في (المضياف والتلاف) انما جاءت من صيغة الآلة نفسها : لان

الحكم على شخص بأنه آلة لامر من الامور يفهم منه بالضرورة انه متصف بذلك الامر اشد انصاف وتمكن من التخلق به فضل تمكن . فالرجل الذي جعلناه آلة حرب . وأطلقنا عليه اللفظ الذي يطلق عليها وهو (مسعر) والرجل الآخر الذي جعلناه آلة لإثارة الحروب بين القبائل فأطلقنا عليه اسم الآلة وهو (محراب) — لا يكون هذا الرجل بالضرورة جباناً ولا نكولاً عن الحرب وانما هو بالعكس شجاع لا يهاب الموت . وليس هو شجاعاً فقط بحيث يأتي بنفسه في نار الحرب بل هو آلة لإيقادها وتشجيع غيره من الناس على خوض غمارها . واصطلاء نارها . وقد لاحظ هذا المعنى في صيغة اسم الآلة الشاعر العربي مذقال : (اذا لم أجنى كنت مجنّجاني) يقول انه مشتري من الطبقة الاولى : فهو اذا لم يباشر عمل الشر بنفسه كان آلة يهد من يريد ان يعمل الشر وهذه مبالغة وإغراق في توصيف نفسه بالشر . ثمّال النظارين (نظر النحاة ونظر اللغويين) في تحليل معنى (مسعر) و (محراب) واحد لكن الطريق مختلف .

فنلخص بما تقدم ان اشتراط النحاة في اسم الآلة ان يكون مشتقاً من فعل ثلاثي متعد بنافيه وجودالكلمات الكثيرة من صيغ اسم الآلة الواردة عن العرب والتي نقابها اللغويون وسموها أسماء آلات كما سميت في تصريح الكاسي والزبيدي والفيومي (صاحب المصباح) فان بعض تلك الاسماء مشتق من اسم جامد . وبعضها من فعل لازم . وبعضها من فعل مزيد على الثلاثي . وهي من الكثيرة بحيث تصلح ان انقض بها قاعدة النحاة المذكورة .

وهنا امور نختم بها مقالنا ولا يحسن إغفالها :

(الأول) ان في العمل بقول اللغويين توسعة وتمكيناً لما من وضع أسماء للآلات الكثيرة التي لا يحصى عددها في هذا العصر : عصر الآلات والاختراعات بل يظهر انه سوف لا يحصى عددها ولا يتفد مددها في مستقبل الزمان .

(الثاني) أن رأينا في نقد ما قاله النحاة في (اسم الآلة) قد يكون رأياً فطيراً ينكره بعض اخواننا من اهل اللغة جملة واحدة وبراء بعضهم مقبولاً بالجملة لكنه ما زال محتاجاً الى زيادة تثبيت وتمحيص . ويوشك ان أكون أنا من اصحاب

الرأي الثاني . فأقترح على هؤلاء الذين يرون في كلامي وميضاً من النور وبصيصاً .
ان يزيّدوه توضيحاً ويقتلوه تمحيصاً .

(الأمر الثالث) ان التوسعة في هذه المسألة (اي في اشتقاق اسم الآلة من
مطلق فعل او مطلق اسم) ينبغي ان تقابل بشيء من التحجير والنضيق بحيث لا يباح
لاي شيء كان ان يشاق هذا الاشتقاق بل يرجع الأمر فيه الى الجامع العلمية العربية
التي أصبحت او ستصبح كثيرة بحمد الله . والا تعدد الوضع . وأدى ذلك الى
الفوضى اللغوية بالطبع .

المفهرج

—•—•—•—

الفيضان في العراق

كفى يا مسقط الرادي اندفاقا	ألا ترعى الجزيرة والعراقا
طفي الوادي كشعب أخرجوه	فما احتمل الهوان ولا أطقا
ولما قيده ليسقيدا	أبى من قيده الا انطلاقا
بربك أيها الرادي اندنا	وعلم كيف تفنك الوثاقا
ألسنا أمة فنجرت وملت	من الباغين رفاً لانمئاقا
نوخيت العماثر باذخات	وجنبت الصغار والدقاقا
كأنك اذ تخجرت المياني	هممت بهن فصدأ لانفاقا
كسا الفيضات اربنا ثياباً	مصنلة وأردية رشاقا
فآونة مضاعفة غلاظاً	وآونة مهلمة رفاقا

بغداد :

محمد رضا الشيباني

—•—•—•—

تهذيب اللغة للزهري

وملنقطه للزنجشري

« نوطئة »

دفع الناس والحق يقال الى عصر كثير الآفات جم الخرافات فقد ظهرت الآراء وعُبدت الأهواء واثرت الشهوة على الحكمة والهوى على العقل والفطنة ووطئ الجمهور أعقاب كتبة أغرار كثيري العثار وقلدوا رؤوس الفتن ودعاة البدع ممن يرون من عناوين الارتقاء . عبث الأحفاد بتراث الأجداد ومن شارات الحياة والبقاء رغبة الخلف عن طريقة السلف وذلك في أكثر الأوضاع وجل مطالب العمران والاجتماع فها نحن نرى في صميم أقطار الاسلام وسرة بلاد الشرق قوماً مفتونين أبدوا صفحتهم للغة القرآن وعيبة العلم والعرفان داعين الى استبدال أحرفها المجانية بأحرف اللغة اللاتينية او الى الاستعاضة عن القصص باللغة العامية . مضمرين من وراء ذلك ما يستعاذ بالله منه : من فساد دخلة وخبث طوية وسوء نية وهيهات يأبى الله ذلك واعلام الملة وأصحاب القبلة وكتب قيامة وصحف مطهرة بأيدي كرام بررة .

لا نريد بهذا مجرد سرد الأفاضل وإيراد الدعوى بلا دليل على غنى لغتنا المباركة وغزارة مادتها لكننا بدلاً من ذلك نتقدم بما يجمع شبهات المبطلين ومفتريات الاعاجم والمستعجمين وسائر من يقرف لغة الكتاب المجيد بضيق عطائها في المفردات والأوضاع الفنية وكل ما هو من شرط الجوامع اللغوية فاننا ظفرنا خلال تصفحننا آثار الخزانة الشريفة العلوية في العراق وعثرنا على « ملنقط التهذيب » للامام فخر خوارزم جار الله الزنجشري النقطة من كتاب « تهذيب اللغة » للامام الأزهري والنسخة ظاهرة النفاسة معتنى بضبطها جداً منقولة عن خط الزنجشري بيده عن خط الأزهري كذلك في حجم رسالة لطيفة .

يتألف معظم هذه الرسالة الفذة من ألفاظ خاصة وأوضاع مختارة ومفردات جامعة لاوسع المعاني أحياناً في أوجز العبارات والمباني ويستفاد من درس الفاظها

ان الامام الزمخشري رمى في النفاطها الى ما يتوخاه ويرمي اليه فقهاء اللغة العربية وجهابذة الجامع اللغوية وتقدمة الأوضاع الفنية فاصداً أصرار الصنعة التي قصدوها رامية الى تلك الغاية التي رموا اليها من إصلاح المنطق وتحرير اللغة وتهذيب الكلام بطرق عديدة من جملة انتقاء ألفاظ الخصوص لاستعمالها مكان الفاظ الشبوع والعوم ونحو ذلك مما لا يستغرب من امام له في هذه العربية وآدابها غرر معروفة وآثار مشكورة كالفائق والأساس وغير ذلك .

«ملتقط الملتقط»

فيما يلي نبذة التقطناها من ملتقط التهذيب للتدليل على مذهب صاحبها في هذا الباب غلق بعض لا يصادق بفتح . الكرامة رأس التخذ المستدير كأنه جوزة وموضعه التي تدور فيه من الورك . فلان عداد في بني فلان اذا كان ديوانه معهم . هذه الدراهم عديدة هذه الدراهم اذا كانت بمذمها . العذبة الحصة وجمعها عدايد . العذبة البئر يخرج على وجوه الملاح : العرار بهار البر الواحدة عرارة . العداد يوم العطاء ويوم العرض . عرارة القارورة وكاؤدا . رجل لئاعة (مشددة) يتكلف الألمان من غير صواب . العامة (مخففة) المعبّر وهو عيذان يسند بعضها الى بعض ويعبر عليها . الاطرعة شيء لا تبعث به الجارية الى صاحبها . المقطع الذي لا ديوان له . رجل مفعد الأنف هو الذي في منخر به سمعة ورفعة . القعدة دابة الركوب خاصة . المبرق حديدة تبزي العراق من اللحم يقال عرفت ما عليه من اللحم بمبرق اي بشفرة . القرع والتدب والتبقي الخط الذي يسبق عليه . القرع طائر له منقار غليظ أعقف يأتي العود اليابس فلا يزال يقرعه حتي يدخل فيه . الرقيق السماء الدنيا . المعلق ما يعلق عليه الشيء . الأعقاب خزف تجعل بين الآجر في الطي لكي يشتد . المعب الرجل يخرج من حانة الخمار اذا دخلها من هو أعظم قدراً منه . القبة طوير أبقع كالصقور يكون عند شجرة الجرذان فاذا قرع انجبر^(١) . المعني من الكلام غريب الغريب يقال انه لعالم بمعني الكلام وهو الغامض الذي لا يعرفه الناس وهو مثل النوادر قال ابو عمرو :

(١) لعل صواب العبارة هكذا : عند رجعة الجرذان فاذا قرع انجبر (المجمع)

سألت حديثاً عن حرف غريب فقال هذا كلام عُقي . الا كرع الدقيق مقدم الساقين .
« المجلدة الثانية »

المجازة والعظام ما تُعظم به امرأة عجيزتها . المساجيل مختصرات الطرق
يقال خُذْ لَهْ معاجيلَ الطرق فانها أقرب . جل معجال وناقة معجال اذا وثب
قبل استواء الراكب عليه . رجل مجاعة يحب الجميع اي التمر في اللبن . العرش
ظاهر القدم . عرش الثريا كواكب قريبة منها . الاظفر الطويل الاظفار .
المعضد سيف مع القصابين تقطع به العظام . الباضع في الابل مثل الدلال في
الدور . اللحم المعرض الذي على الجمر فيختلط بالرماد والمملول الذي غيبته في الجمر
والدُناد الذي شويته فوق الجمر . الرصعة الرعدة للاخوان . التصعان المكشوف
الرأس ابدأ حرارة . العصائب العائم الواحدة عصابة . العزيز ثمة الكلاء
سوادية يقولون هل اخذت عزيز هذا الحصيد اي هل اخذت ثمن مراعيها لانهم
اذا اجدبوا باعوا مراعيها . المنزعة بكسر الميم خشبة غريضة كالملقعة ينزع بها المشتار
النخل من الشهد اذا التصق به . معاقل المرأة مواقع حليها . القطاعة اللقمة يؤكل
نصفها ثم ترد الى الخوان وهو عيب . الناعط السبي الادب في اكله . العوطب اعرق
موضع في البحر والوطب المعتمن بين موجتين . الطباسع الذي يأخذ الحادة
فيسويها سكيناً او سيفاً او سناناً وحرفته الطباعة . اخربه على طبع هذا وغراره
وصيغته . فلان طيب الطعمة وخبيث الطعمة اذا كانت من عادته ان لا يأكل
الا حلالاً او حراماً . في بستان فلان من الشجر المَطْعَم كذا اي من السدي يؤكل
ثمره . فوس مطعمة بصاد بها كثيراً . امرأة مطماع تطمع ولا تمكن .

« المجلدة الثالثة »

العداد الملاح . العدد القبيلة الكبيرة . رجل عدلة وقوم عدلة وهم الذين
يزكون الشهود ويُعدلونهم . المعابد المساجي والمرور . دُمَاع الكرم ما سال منه
ايام الربيع . العتلة المدرة الكبيرة تنقلع من الارض اذا اثرت . رجل تلح
كثير التلث . الثبنة ما غبته من قدام السراويل اي جمعه وطويته من مقادير
الحجزة حتي تُشمر . اتخذ في كرمه عذاراً من الشجر اي سمكة . العاذور ما يُقطع

من مخفض الجارية . عَذَبَةَ الشِّيرَاكِ المرسله منه . عَذَبَةَ السُّوطِ علاقته . عَذَبَ سوطك اجعل له علاقة . العِرَّةُ شجرة على صورة الدُّلْبِ يقطع منها خُسْبُ القَصَّارِينَ التي تدفن وجهها عُرْنٍ وبايعها العرَّاث . العراب حمل الخزم وهو شجر تنقل منه الحبال الواحدة عرابة تأكله القروود والناس في الجماعة . العرابة واحدة العرابات وهي شُمْلُ ضروع النعم والعرَّاب التي يعملها . الرِّبَاع الذي يكثر ثمرى الرباع أي المنازل . يرايع المثنى لحمه . غلام مُعَبَّرٌ كَبُرَ ولم يخنن . النغانغ والغاديد اللحمات التي بين الحنك وصفحة العنق . البُشْمَةُ خروج الماء من الحوض . البرطسة اكتراء الاول والحمير للناس . البراغيل أمواه تقرب من البحر . البت القطع لما لا رخصة فيه .

« كلمة عن التهذيب المذكور »

من أجل الأصول اللغوية ومن الامهات النادرة او النادرة كتاب (تهذيب اللغة) للامام ابي منصور محمد بن احمد بن الازهر الازهرى اللغوي المتوفى سنة ٣٧٠ احد اعلام المسلمين الذين رحلوا وطافوا البلاد وتجشموا المشاق وجدوا واجتهدوا في طلب اللغة وتصحيحها وتحقيقها ، انفتحت له في هذا الباب حكاية تكاد تلحق بالوادى (راجع ارشاد الأريب ٦ : ٢٩٧) كما ان العناية والاهتمام بكتابته بلغا مبلغا يكاد يدخل ايضا في جملة الطرائف والحكايات (راجع وفيات الاعيان ٢ : ٢٣٣) وبالجملة فان التهذيب من الاصول الصحيحة المهمة لا تكاد تجد مرجعا من المراجع اللغوية المشهورة الجليلة خاليا عن الأخذ عنه والانتباس منه والاحتجاج باقوال مؤلفه فيه .

التحفي للاشراف : محمد رضا الشيبى
عضوالمجمع العلمى العربى

— ١٩٩٩ —

(١) راجع مجلة المجمع (ص ٢٧٠ مجلد ١) ترى فيه كلاما صعبا عن (تهذيب الازهرى) .
(المجمع)

قانون البلاغة

- ٢ -

أما حصر المعاني بقوانين كلية تستوعب أقسامها ، وتستوفي أحكامها ، فمسير
لأنه يحتاج فيه إلى تقديم صناعات كثيرة ، وعلوم شاقة ، إلا أن في فطر الناس
السليمة اتباع الصواب وقصده . والتميز من الخطأ والحياد عنه ، فقد يكتفي من سلم
فكره ، ولم يضطرب ذهنه ، بما معه من المعرفة التي يوقع (?) العبارة عنها . إلا أن
لهذه الصناعة خاصة أغراضاً من المعاني ، يلزم الكلام فيها ، ومقاصد لا يسع
الإحلال بها .

فأما نعتها فمنها صحة التقسيم ، وهي أن يؤتى بالأقسام مستوفاة ، لم يخل بشيء
منها ، ومختصة لم يدخل بعضها في بعض ، كقول من قال : لم تخلُ فيما بدأني به
من مجد أثله ، أو شكر تعجلته ، أو أجر ادخرته ، أو متجر اتجرته .

ومنها صحة المقابلات^(١) : وهو أن يؤتى بمعانٍ يراد التوفيق بينها وبين معاني
أخر . والمضادة فيؤتى في الموائق بموافقه ، وفي المضاد بمضاده ، كقول القائل :
أهل الرأي والنصح لا يساوهم ذرو الأفن والغش ، وليس من جمع إلى الكفاية
الأمانة ، كن أضاف إلى العجز الخيانة .

فن تأمل هذه المعاني وجدتها في غاية المعادلة ، لأنه جعل بازاء الرأي الأفن ،
وبازاء النصح الغش ، ومقابل الكفاية العجز ، ومقابل الأمانة الخيانة . فهذا التقابل
تعديل في الموافقة والمضادة .

ومن هذا الجنس قول هند بنت النعمان بن المنذر بن ماء السماء الملك للمغيرة بن

(١) وجد في هامش الأصل ما يأتي : والله لم فيها قوله تعالى : « فأما من أعطى
والتقى وصدق بالحسنى فسنيسره للعسرى ، وأما من يخل واستغنى وكذب بالحسنى
فسنيسره للعسرى » . لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والإتقاء والتصديق ،
جعل في مقابلتها التعسير مشتركاً بين المنع والاستغناء والتكذيب فانهم اه .

'شعية بعقب إحسان منه اليها : شكرتك بد' نالتها خفاصة بعد نعمة ، وغيت عن بد' نالت ثروة بعد فاقة .

ومنها صحة التفسير وهي ان نوضح معانٍ تحتاج الى شرح احوالها ، فاذا شرحت أثبتت تلك المعاني من غير عدل عنها ولا زيادة عليها ولا نقصان منها . كقول من قال : وانا اثق من مساءلتك في حال ، بمثل ما اعلمه من مشاركتك في أخرى ، لانك ان عطفت وجدت كدنا ، وان غمرت الفيت شينا .

وكقول آخر : واين يذهب بك ، مع غرير انعامك ، وشديد احكامك ، واليم انتقامك ، ان تكون مشبعا للضيف ، ومدفعا للضيف ، وممناعا من الخوف .

ومن نعوت المعاني التميم ، وهو ان توجد في المعنى كتابة او خطابة فيوفي بجميع المعاني المتممة لصحته ، المكلمة لجودته ، من غير ان يخل ببعضها ، ولا ان يغادر شيئا منها . كقول القائل : خلقت به اسباب الجلالة ، غير مستشعر فيها لنخوة ، وترامت به احوال الصرامة ، غير مستعمل فيها لسطوة ، هذا مع زمالة^(١) في غير حصر ، ولين جانب من غير خور . فقد اتى هذا التكلم بتميمات المعاني التي جاء بها من غير ان يخل بشيء منها .

ومن نعوت المعاني المبالغة ، وذلك ان يذكر معنى بما لو اقتصر عليه لكان كافيا فيما قصد له ، فلا يقتصر على ذلك حتى يؤكد معانيه ، ويعتمد المبالغة فيه . مثل قول الاعرابي : اللهم ان كان رزقي نائيا فقربه ، او قريبا فيسره ، او ميسرا فعجله ، او قليلا فكثره ، او كثيرا فثمره . فهذه مبالغات تؤكد المعنى وتزيد فيه .

ومن نعوت المعاني التكاثر وهو ان يشكلم في امر من الامور ، فيؤتى فيه بمعانٍ متكافئة ، واعني بتكافئة في هذا الموضع مقاومة اي ان كل اثنين منها متعاند حتى اذا قيل في معنى ان شيئا اسود اتي باخر ، يقال فيه ان شيئا ابيض الى غير ذلك من وجوه العناد . مثل قول من قال : كدر الجماعة ، خير من صفو الفرقة ، ومثل قول القائل : وكان اعتدادي بك اعتداد من لا انضب عنه نعمة تغمرك ، ولا يمر عليه عيش يحلو لك . فقوله بازاء انضب ، تغمر ، ويمر ، يحلو ، من التكافؤ .

(١) زمت الرجل زماته وقر .

فاما عيوب المعاني فان من كان حافظاً لما قدمناه في باب دعوت المعاني فسيهون عليه تعرف عيوبها . وجماع ذلك ان تكون المعاني معدولاً بها عن الاغراض المنتجة ، والمقاصد المتوخاة ، الا ان من تفصيل ذلك الاستحالة والامتناع والتناقض :

فاما المستحيل فهو الشيء الذي لا يوجد ، ولا يمكن مع ذلك ان يتصور في الفكر ، مثل الصاعد والنازل في حال واحدة ، فان هذه الحال لا يمكن ان تكون ولا لتصور في الذهن : واما الامتناع فهو الذي وان كان لا يوجد فيمكن ان يُتخيل ، ومنزله دون منزلة المستحيل في الشناعة مثل ان تتركب اعضاء حيوان ما ، على جثة حيوان آخر ، فان ذلك جائز في التورم ، ولكنه معدوم في الوجود .

واما التناقض فبان تجمع بين المقابلة من جهة واحدة .

والمعاني تقابل على اربعة اوجه : اما على طريق الاضافة ، مثل الاب للابن ، والضعف للنصف ، والمولى للعبد . واما على طريق التضاد ، مثل الاسود للأبيض ، والحار للبارد ، والخير للشرير . واما على طريق الملكية ^(١) والعدم ، مثل البصير للاعمى ، والموسر للفقير ، وذو الوفرة للأصلع .

واما على النفي والاثبات مثل ان يقال : زيد جالس ، زيد ليس يجالس ، فالثلاث المقابلات الاولى تكون في المعاني ، والرابعة تكون في اللفظ وحده ، ولكن هذا التقابل الأخير لما كان قد يمتقداً ايضاً ، حتي لعل من يعدم اللفظ ، يشير الى ماني نفسه منه إشارة بغير اللفظ ، كما يشير الآخر مثلاً بان يحيط يده الى أسفل في الايجاب ، او يرفعها الى فوق في النفي ، وما جرى هذا المجري — أضفنا الكلام فيه الى الكلام في المعاني . وقولي في جميع هذه المقابلات من جهة واحدة ، انما اردت به هذا هو الشنيع الجاري مجرى العيب . فاما ان يكون مثلاً في باب المضاف انسان ما اباً لزيد ، وابناً لبكر ، ومولى لفلان وعبد لآخر ، ويكون عدد ما ، نصفاً لعشرين وضعفاً لخمس ، وكذلك في التضاد مثل ان يكون الفان حاراً عند البارد ، وبارداً عند المحرق ، وفي الملكية والعدم مثل ان يكون انسان بصير القلب ، أعمى العين ،

او معسراً من عرض ، مومراً من آخر ، وفي الاثبات والنفي مثل ان يكون زيد جالس الظُّر ، ليس يجالس العصر ، فجميع ذلك جائز .

فاما المنكر المستبشع الذي اومأنا الى انه اذا وجد في معنى كان معيباً ، فمثل ان يجعل رجل ما ، اباً لزيد وابناً له ، وعدد ما ضعفاً لخمسة ونصفاً لها ، وشيئاً ما حاراً عند رجل ، وبارداً عنده بعينه ، وانسان ما ، اعشى القلب بصيره ، ويجعل زيد قائماً في هذا الوقت ، غير قائم فيه نفسه ، فهذا كله فاسد لا يجوز ، لان التقابل جعل فيه من جهة واحدة ، فيصير حينئذ تناقضاً ، وهو من أخش عيوب المعاني المعبر عنها بالكلام المنشور ، والكلام المنظوم ايضاً .

ومن عيوب المعاني فساد التقسيم وذلك يكون على ثلاثة أوجه : اما بتكرير المعاني ، اذ بان يؤتى منها ما يكون بعضه داخلاً تحت بعض ، اذ بان يخل بما يقتضي التكلم فيه استيفاءه . فاما التكرير فمثل ما كتب بعضهم الى عامل : ففكرت مرة في عزلك ، وأخرى في صرفك ، ونقليد غيرك . ومثل قول هذا الرجل لهذا العامل : فتارة تشرق الأموال وتختزلها ، وتارة تقنطعها وتحتجبها .

واما دخول بعض الأقسام في الآخر ، فمثل ما سأل بعض النواكي فقال : اخبروني عن عاقبة بن عبدة جاهلي هوام من بني تميم . ومثل قول بعض المترسلين في فتح : فمن بين جريح مضرج بدمائه ، وهارب ما يلثفت الى ورائه . فكل هذين القسمين يدخل في الآخر ، لان الجريح قد يكون هارباً ، والهارب قد يكون جريحاً . واما الإخلال ببعض الأقسام فمثل قول القائل : انك لا تخلو في هربك من صارفك ، ان تكون قدمت اليه إساءة خفت منه معها ، او خنت في عملك خيانة ، رهبت بكشفه إياك عنها ، فان كنت أسأت فأول راضٍ سنة من يسيرها ، وان كنت خنت خيانة ، فلا بد من مطالبتك بها . فكتب العامل تحت هذا ، هذا التوقيع : قد بقي من الأقسام ما لم تذكر : وهو اني خفت ظله إياي بالبعد منك ، وتكثيره علي بالباطل عندك ، ووجدت الهرب الى حيث يمكنني فيه دفع ما يتخرصه انني للظنة عني ، والظلم عمن لا يؤمن ظله اولى بالاحتياط لنفسي .

ومن عيوب المعاني ، فساد المقابلات ومن كان حائظاً لما ذكرنا من صحة المقابلات

في باب نعوت المعاني ، وقف سهولته على الوجه في فسادها ، وذلك ان يُذكر معنى يقتضي الحال ذكر ما يوافقه ويعانده ، فيؤتى بما لا يوافق ولا يشاكل ، او بما لا يقاوم ولا يعادل ، فليس المقول فيه من الناس انه خير على الاطلاق معانداً للمقول منهم انه مارق ولا موافق .

ولهذا لا يحسن في البلاغة ، وكلام اهل الحجي - لم يأتي من الناس أسود ولا أسمر - بل الأجل ان نقول ولا أبيض ، لان الاسمر ليس يعاند الأسود غاية المعاندة ، ولا يوجد منه في غاية المباعدة . وكذلك لو قال قائل : ما صاحب في هذا البلد خيراً ولا شريراً ، كان ذلك أذهب في سبيل السداد ، من قوله خيراً ولا سارقاً . ومن عيوب المعاني فساد التفسير ، ومن كان ذا كراً لما قدمناه من نعت هذا الباب ، عرف الوجه في عيبه . ومن المثالات سفي ذلك قول بعض المترسلين الى عامل من عمال الأطراف : ومن كان لأمر المؤمنين كما انت له من الذب عن ثغوره ، والمسارة الى ما يهيب به اليه ، من صغير خطب وكبيره ، كان جديراً بنصح أمير المؤمنين في أعماله ، والاجتهاد في تثير أمواله ، فليس التي قدم من الحال التي عليها هذا العامل في الذب عن الثغور ، والمسارة في الخطوب ، بما سبيله ان يُفسر بالنصح في الأعمال ، وتثير الأموال ، اذ كان الذي قدمه لا يلزم عنه ما فسر به . ومن نعوت البلاغة : ان البلاغة ثلاثة مذاهب يقصد في استعمالها : المساواة والإشارة والتذييل . فالمساواة ان يكون اللفظ كالقالب للمعنى لا يفضل عليه ، ولا ينقص عنه . والإشارة ان يكون اللفظ مشاراً به الى المعنى كاللحمة الدالة . والتذييل إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد بعينه . حتى يظهر لمن لم يفهمه ، ويؤكد عند من فهمه ، ولكل مذهب من هذه المذاهب موطن يليق به ، ووقت لا يصلح فيه غيره .

فاما المساواة فأولى المواطن بها اذا كانت المخاطبة للنظراء ، ومن ليست له مآرب تشغله ، ولا شؤون تصرفه ، عن استيفاء المعنى الى آخره .

واما الإشارة فأولى الأوقات بها الوقت الذي يخاطب او يكاتب فيه ذوا المراتب العالية ، والشؤون الكثيرة ، والهمم المنقسمة ، لان من كان في هذه الطبقة احتاج

ان لا يشغل خاطره بمعنى واحد بعينه ، ولا ينفد زمانه اهتمام بغيره ، وكان الوحي (١) عنده أتقى من الإطالة ، والإشارة إليه أولى من تطويل المقالة .

وأما التذليل فأنما سبيله ان يستعمل في المواطن الجامعة ، والمواقف الحافلة ، وقد قال بشر بن المعتمر : ينبغي للتكلم ان يعرف أقدار المعاني ، يوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، ويجعل لكل طبقة كلاماً ، ولكل حال مقاماً ، حتى يقسم أقدار المعاني ، على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين ، على تلك الحالات .

واذ قد ذكرنا من أحوال هذه المذاهب الثلاثة ما أنبأ عن صورته الأسمى ، فانا نأتي في كل مذهب منها بمثال مما تقدم استعمال البلغاء إياه في جنسه ، ليزيد ذلك من عمله شرحاً لما وعاه من معانيه ، ونبني من لم يفهمه عن حقيقة الحال فيه ، وابدأ من ذلك بمذهب الإشارة .

قال أحمد بن يوسف الكاتب : دخلت يوماً على المأمون وبيده كتاب يعاود قراءته تارة بعد أخرى ، وبصعد فيه طرفه ووضوب ، فلما مرت على ذلك مدة من زمانه ، النفث إلي وقال : يا أحمد أراك منكراً فيما تراه مني ، قلت : نعم فقال : ان في هذا الكتاب كلاماً نظير ما سمعت الرشيد بقوله في البلاغة ، زعم ابن البلاغة انما هي التباعد عن الإطالة ، والتقرب من معنى البنية ، والدلالة بالقليل من اللفظ ، على كثير المعنى ، وما كنت أتوهم ان احداً على ذلك حتى قرأت هذا الكتاب ، ورمي به إلي وقال : هذا كتاب عمرو بن مسعدة الينا . ففككته فاذا فيه :

« كتابي الى امير المؤمنين ومن قبلي من قواده ، ورؤساء أجناده ، في الانتقياد والطاعة ، على أحسن ما تكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم ، وانتقياد كفافة تراخت أعطيائهم ، فاختلفت لذلك أحوالهم ، والثالث معه امورهم » . فلما قرأته قال : استجما لي إياه ، بعثني ان امرت للجند قبلك بأعطيائهم لسبعة أشهر ، وانا على مجازاة الكاتب بما يستحقه من حل محله في صناعته .

(١) الوحي المكتوب والرسالة وكل ما ألقينه الى غيرك ليحمله كيف كان ثم غلب على وحي الانبياء . وقيل الوحي إعلام في خفاء ، فالمراد هنا اعلام في ايجاز كلام مريع التلقين .

وأمر الأُمون عمرو بن مسعدة ان يكتب لرجل به عناية الى بعض العمال في قضاء حقه وان يختصر كتابه ما امكنه ، حتى يكون ما يكتب به في سطر واحد ، لا زيادة عليه ، فكتب عمرو : كتابي كتاب واثق بمن كتبت اليه ، معتن بمن كتبت له ، وان يضيع بين الثقة والعناية حامله .

وكان جعفر بن يحيى^(١) يقول لكتابه : ان استطعتم ان يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا . وكتب ابراهيم بن ابي يحيى الى بعض الخلفاء يعزبه ، ويجري في المذهب الذي نحن بسبيله وهي : اما بعد فان أحق من عرف حق الله عليه ، فيما اخذ منه ، من عظم حق الله فيما بقاه له ، واعلم ان الماضي قبلك ، هو الباقي لك ، وان الباقي بعدك ، هو المأجور فيك ، وان أجر الصابرين فيما يصابون به ، أعظم من النعمة عليهم فيما يعانفون منه .

ودخل بعض البلغاء على بعض الامراء فقال : السلام عليك ايها الأمير ، سلاماً يتصل أمثاله بسمك ابدأ ما بقيت ، إما من وليك ، بطوع قلبه ، وصادق ودّه ، وإما من عدوك برغم أنته ، ودل خده .

ومن نعوت إشراك اللفظ والمعنى الإرداف : وهو ان يراد للدلالة على معنى ، فلا يؤثر باللفظ الخاص ، بالدلالة على المعنى نفسه ، بل بلفظ هو ردفه ، وتابع له ضرورة ، ليكون في ذكر التابع ، دلالة على المتبوع ، وهذا المذهب يوجد كثيراً في الاشعار ، وبلاغة الأعراب ، مثل ما قالت أعرابية تصف رجلاً : ولقد كان منهم عمار ، وما عمار ، لم تحمد له قط نار ، طلاباً باوتار . وانما أرادت بقولها لم تحمد له قط نار : كثرة إطعامه الطعام ، فلم تأت باللفظ الدال على هذا المعنى نفسه ، بل ذكرت إيقاده النيران ، لان ذلك تابع لا تخاذ الطعام . ومثل قول أخرى وصفت زوجها فقالت : اخذني من اهل غنيمة بشق فجعلني في اهل صهيل وأطيط ودائس ومنق . فأرادت انه اخذها من اهلها وهم فقراء لم غنم قليلة ، فجعلها في قومه ، وهم أغنياء لم خيل تصل وإبل تخط اي ترغو ومزدرع يُغزل . فأكثر هذه المعاني التي

(١) زفي الهامش : وهو قريع دهره ونسج وحده في معرفة البلاغة اه .

أنت بها ، إنما هي أرداف معات أشارت الى الدلالة عليها . وكذلك قول سائر الاعرابيات اللاتي هن في حديث أم زرع وقد ذكرنا صدراً في كتاب تقدير الشعر .
وما جاء في ذلك من بلاغات المحدثين : ما كتب به بعض الكتاب الى صديق له فقال : وكيف لا أتمسك بعهدك ، وأتثبت بعلائق ودك ، وانت ممن لا ثقل صحبته ، ولا تخشى غيبته ، ولا يكد الصديق عتبه ومعاتبته ، فهذه الألفاظ مجرأة مجرى الإرداف . فأراد بقوله لا ثقل صحبته اي لا يسي الى مصاحبه ، واذا لم يسي لم يُقل ولا تخشى غيبته ، انه ليس بشير ، ولا رقاعة في الناس ، ولا يكد ذلك انه لا يتجنى على صديقه فيعاتبه فيما لا اصل له ، ولا يسي عشرته فيموجه الى معاتبته .

ومما جاء من ذلك قول من قال حتى اذا ثار النقع ، والنف الجمع بالجمع ، واحمرت الأحداق ، وقامت الحرب على ساق . وكل هذه الاشياء تدل على معركة الحرب . ومن نعوت إشراك اللفظ والمعنى التمثيل وهو ان يراد الإشارة الى معنى فتوضع الفاظ تدل على معنى آخر ، وذلك المعنى وتلك الألفاظ ، مثال للمعنى الذي قصدت الإشارة اليه ، والعبارة عنه . وأكثر الاستعمال لهذا المذهب إنما هو في البلاغة الشعرية . وقد استعملها الكتاب في رسائلهم ، والخطباء في خطبهم ، فيكون ذلك مما يحسن موقعه ، و يبين في البلاغة موضعه .

ومن الأمثلة في ذلك كتاب يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد ، وقد بلغه «انه» بتلكو في بيئته . اما بعد فاني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، فاعتمد على أيتما شئت والسلام . فلو كتب : اذاك أناك كتابي هذا فبايع لم يكن للفظه من العمل في المعنى ، ما للتمثيل الذي اتى به .
« للبحث صلة »



الدكتور صالح قنبار

فجع المجمع العلمي العربي بموضوعه من جهابذة أعضائه الدكتور صالح قنبار فققدت الشام بفقدته أستاذاً صريباً ، وطبيباً نطاسياً ، وأديباً خطيباً ، ومخلصاً صالحاً في سيره وسيرته . هو صالح بن محمود بن صالح قنبار . ولد في حماة في حجر الطهر ومخافة الله ، من أبوين كريمين في سنة ١٣٠٥ هـ - ١٨٨٧ م فغذاء والده بلبان الفضائل ، وطبعه بطابع التدين ، وأتم دراسته الأولى في بلده ، فظهرت آثار نبوغه ، وجمال أدبه ، وانتقل بعد ذلك إلى المدرسة الأميرية في سنة ١٣١٥ هـ فدرس فيها العربية والتركية والفرنسية ومباري العلوم . وكان خلال ذلك يدرس علوم الدين واللسان على أسانذة خاصة . ولما أنجز دروسه في هذه المدرسة مربيّاً بذكائه . ودروسه على عامة أقرانه ، دخل المدرسة الثانوية في دمشق فتفتحت كنتم ذكائه وتجلت آثار قواه العقلية ، وتعرف إلى الطبقة العلمية العاملة إذ ذاك وكانت على رأسها المرحوم الشيخ طاهر الجزائري ولزم مجالسهم واخذ من علمهم وأفكارهم ، وامتناز في درس الرياضيات امتيازاً في سائر الدروس .

ولما أتم دروسه الثانوية تحوّل إلى مدرسة الطب في دمشق ثم ذهب إلى الاستانة وعاد بعد مدة لا يكال طبه فأنتمه ، وكان اختصاصه بالأمراض الباطنية ، ونال شهادته في سنة ١٣٢٨ هـ وعاد إلى بلده يطب المرضى ويؤامي البائسين ، ويخدم الأمة بمعارفه ، وينتلي بعض الدروس في المدارس النظامية ، وأهم ماغلب عليه وغلغى بأجزاء نفسه علم التربية والتعليم ، لقفه من الكتب ، وثقف أكثره بالتجربة ومعاونة التدريس ، وكانت له الرأي الجميع والقول الفصل في جميع ما وسد إليه من أمور المعارف ، وما شارك فيه بالرأي في مجالسها ومدارسها ، أو كما قال فيه أحد المترجمين له : « ولا يعرف الحمويون مشروعاً نافعا تم في بلدهم ولا حركة مباركة قاموا بها إلا كان هو رأسها أو التيار الكهربائي في أسلاكها » .

وأدخل الجيش طبيباً في الحرب العامة فطاف الغامر من بلاد الشام وزار المدينة

المنوزة . ولما وضعت الحرب أوزارها أسس بمعاونة صديقه السيد نورس الكيلاني مدرسة وطنية دعيت « دار العلم والتربية » فكانت منظمتها وعميدها ومن أفضل أسانذتها . وهذه المدرسة الوطنية الوحيدة التي غنيت ببنائها وافتانها بما اغدق من المعاونات المالية عليها . وقد تم لها ذلك بفضل بعد نظر عميدها وكثرة مساعيه مع اهل الطبقة المثلى في بلده . وانتخب عضواً في المجمع العلمي في ٤ نيسان سنة ١٩٢٣ وسيفي تشرين الاول ١٩٢٤ رحل الى باريس للبحث في المكتشفات الطبية الحديثة ومشاهدة دور الآثار والعلم فيها فانتخبته الجمعية الآسيوية في باريس عضواً فيها ، وعاد بعد ان قضى في عاصمة فرنسا نحو سنة وحج قبل ان يعود بوطنه ، فكان حجه حجاً علمياً وحجاً دينياً .

والتي لدن عودته من الديار الحجازية والاقطار الفرنسية عشر محاضرات في النادي الادبي في حماة ، افاض فيها يجب علينا اخذه من المدنية الغربية ، وما يجب التباعد عنه ، ومثل الحياة الغربية في نظامها وترتيب دورها ومعاهدها واعمالها واقتصادها ومظاهرها ، مما كان له الاثر الطيب في ناشئة بلده . وللفقيد العزيز عدة تأليف لم تمثل بالطبع ، وكان يلقي بعضها على تلامذته منها كتاب الدرس الابتدائي في الفلسفة مع نظريات تاريخها ترجمه عن الفرنسية لمؤلفه اميل بوراك ، والف عدة كتب في العلوم الطبيعية وحفظ الصحة والنباتات ودروس الاشياء والاقتصاد للصفوف الثانوية ، ورسائل في تجويد القراءة وأخرى في تعليم الف با وثالثة في علم الفرائض ، شفعها ببحث في اصول تقسيم الاراضي بحسب القوانين الموضوعية اخيراً ، هذا ندا عشرات من محاضرات في التاريخ والادب والتربية غذى بها ارواح طلاب الاستفادة . وعشرات من المقالات العلمية والأدبية والسياسة التي فاضت بها قريحته في الصحف والمجلات ، وله مفكرات تقبسة ولا سيما في دور الكتب التي زارها في مصر والشام وفروق وباريز ومكة والمدينة .

وخص الفقيد بطلاقة في لسانه ادبته في عداد الخطباء العلماء ، يخطب ساعة وساعتين بكلام ملؤه ادب ، وسداه الاخلاص ولحمته حب النهوض ، وله شعر لطيف خصه باغراض عالية من اغراض النفس ، وهالك نموذجاً منه قاله في وصف وادي

النار بين معان والعقبة والفرنديل ووصف قاطنيه من عشيرة الحويطات وغيرهم وتعرض فيه لظلم العثمانيين وفساد إدارتهم :

سهول زانها شج وعشب	وأخرى كل تربتها رمال
واودية تخدها سهول	بها رثم ورمت او سيال ^(١)
مياه نضجها نضج شحيح	وكم من مثلها غدر وآل
وغابات بوادي العرب قامت	تطل على جوانبها الجبال
تمر الشمين مشرقة عليها	فتحرقها ومغربها «القنال»
وتبدوا نجم حيناً فجري	ثقالاً ثم تغرب والهلال
بها قوم مساكنهم جميعاً	كهوف او خيام او ظلال
سميدون رهط لابن جاد	حويطات وكلهم قلال
رؤوس ملؤها عقل وجهل	ولم يمنع تقدمها العقال
عراة في اديم من سواد	حفاة الجلد أخصصها نعال
يطوفون النياقي كالجواني	وهم في عين جارية عيال الخ

وله مقاطيع واثاميد وطنية جميلة اشتهرت في المدن الداخلية في الشام . ولا ثارت الفتنة في حماة يوم ١٧ ربيع الاول ١٣٤٤ (٤ تشرين الاول ١٩٢٥) قام بواجبه الانساني في تضييد جراحت الجرحى ، ومن الغد سمع من داره صوت احد ذوي قرباه فذهب لنجدته فأصيب برصاصتين أصابتاه منه مقتلاً فاستأثر به مولاه ، حميد الاثر ، حميد الخطر .

اهم صفات المترجم له التؤدة والدؤوب ، والصبر والجد ، والسعي الى ترقية الامة من طريق التهذيب في هواة وسكون طائر ، وفي الحق انه لم يفترحياته عن بث دعونه الاصلاحية ، بالطرق العملية والعلمية ، وكانت محباً الى النفوس . وقرأ في

(١) (الرثم) نبت ابري الورق تطعمه الغنم وقد يصير شجراً و (الرمث) لا يطول كثيراً وهو ذو شوك قصير ترعاه الابل و (السيال) نبت ذو شوك ينبت في الارض الرملية ويصير شجراً وورقه ريشي صغير ترعاه الانعام فتسمن به .

الصدر ، قوي الحججة والعارضة ، ولو طالت ايامه لسمع صوت اصلاحه ومبادئه في التعليم والتهديب في الشام بآمنزها ، بل وتعداها الى الاقطار المجاورة .
وان كل من عرف الصديق الراحل ، ليقضي له بالتفرد بين ابناء جيله في علمه وتهذيبه ومراميه العالية في الاصلاح الاجتماعي الذي بدأ به من المدارس الوطنية القائمة على تقوية الملكات والعواطف القومية الشريفة . رحمه الله عداد حسناته لهذا للموطن وعزى الفضائل والآداب بهذا الرجل الصالح الذي استولى في هذا العمر القصير على خصل السبق في مضمار الجهاد العقلي والحياة الانسانية الكاملة فكان حقا وصداقا طيبا اشباح وحكيم ارواح .

م . ك

اعضاء المجمع في الغرب

« السيد يوحنا اهتينين كرسكو »

هو يوحنا بن صموئيل اهتينين كرسكو وزوجه الشرعية لوفيز كلاهما من طبقة الفلاحين . وهو استاذ للفلسفة خريج جامعة « هيلسينغفورس » قاعدة الجمهورية الفنلندية ، ومدير مدرسة بلدة كنفاسالا من اعمال فينلنديا (سوومي) . ولد في اليوم الثاني عشر من شهر كانون الاول سنة ١٨٨١ . ويدين بالسيحية على مذهب الفرقة « التقوية » المنشعبة من الطائفة الانجيلية اللوثرية .

دخل المدرسة الاعدادية في خريف سنة ١٨٩٣ وأتم دروسه في ربيع سنة ١٩٠٢ ثم التحق بجامعة هيلسينغفورس في خريف سنة ١٩٠٣ وأنجز دروسها في ربيع سنة ١٩٠٨ وأحرز شهادة أستاذ في الفلسفة في اليوم السادس عشر من شهر شباط سنة ١٩١٢ .

وفي اول سنة ١٩١٣ دخل فرع اللغات الشرقية في جامعة لينيفراد فدرس اللغات : العربية والفارسية والتركية وتمرن فيها الى نهاية سنة ١٩١٤ وتولى إدارة المدرسة الاعدادية الفنلندية في ضواحي لينيفراد الى نهاية سنة ١٩١٢ ثم تحرير صحيفة فينلندية في مدينة أبو عاصمة فينلنديا قديما .

وكان قد درس اللغات والعلوم في مدارس وطنية في سني : ١٩٠٢ — ١٩٠٣
١٩٠٥ — ١٩٠٦ و ١٩٠٩ — ١٩٢٤ .

اما اللغات الأجنبية فبحسن منها : الروسية والالمانية والاسبوعية والفرنساوية
والانكليزية ويعرف اللاتينية والسلافية وفروعها السربية والبلغارية والبولونية
وغيرها . وتزوج سنة ١٩٠٩ المعلقة أيريني ابنة انطون كرسكو ورزق منها ولدين
ذكرًا وأنثى اسمها ايلماري وروني .

وقد أحب اللغة العربية وهو صغير السن اذ كان يقرأ اخبار السباح ومذكرات
أستاذ اللغة العربية في جامعة هيلسينغفورس المرحوم عبد الولي (جورج والين) وصار
همه الشاغل نشرها بين شبان فينلنديا وفيها ينشر في صحف الاخبار والمجلات المقالات
المتعة تحقيقاً لهذه الغاية المحمودة ، ولا يني حتى اليوم يسعى في نشر هذه الضالة
المنشودة . وهذا هو تعريب شهادته :

« ما أبصر الله بإدارة الاشياء كلها .

» انه في سلطنة نقولا الثاني عاهل الروس كلهم وامير فينلنديا العظيم السامي

الجلال . »

« رُقي الرجل الجليل جداً يوحنا صموئيل أمتينين كرسكو طالب الفلسفة
الى درجة أستاذ للفلسفة وجُوز بجميع حقوق هذه الدرجة وامتيازاتها وفقاً (لنظام
اندراس — الجامعة الامبراطورية) في فينلنديا — وفقاً للامر المطلق الشرعي
لهيأة نظام الفلاسفة العظيم في هذه الجامعة . »

في هيلسينغفورس في اليوم السادس عشر من شهر شباط من سنة ١٩١٢ .

وانا المعطي شرعاً حق هذه الترقية أثبت هذا القرار بتوقيعي وبوضع طابع

أ . دونير

نظام الفلاسفة .

آراء وافكار

تعليق على رحلة ناصر خسرو القبادياني

قرأت في مجلة المجمع العلمي الزاهرة^(١) الشطر البديع الذي نقله الى اللغة العربية العلامة الرئيس الأستاذ كرد علي من رحلة ناصر خسرو القبادياني فقرت به عيني وشكرت للصديق الممنّ الممنّ ، عنايته هذه التي تناولت نشر اول رحلة قام بها مسلم في ديار الشام ، وقد استوقف نظري بعض منات ربما كان مصدرها غلط النسخ وشطط المترجم — اي الذي نقل الرحلة من الفارسية الى الافرنسية — ومن ذلك قوله (ص ٦٥) : « ومثل ذلك من حلب الى طرابلس (؟) »^(٢) وأظن انه اراد ان يقول الى جرابلس بدليل تمام العبارة وهي : « ويقال ان المسافة الى القسطنطينية هي مائتا فرسخ » وجرابلس بين حلب والقسطنطينية . أقول ان هذا الغلط نشأ عن النسخ او المترجم لان الرحلة عاد فذكر المسافة بين حلب وطرابلس ومن الغلط ذكره قرية جند قنسرين فالقرية هي قنسرين على ما ذكرها علماء تقويم البلدان^(٣) وهي قاعدة الجند المسمى باسمها .

ومن ذلك نعت ابي الملاء المعري بحاكم معرة النعمان^(٤) فلعله يريد ان يصفه بانه حكيمها وهو عند وصفه ، بل وحكيم الشرق بلا مدافع . اما قوله بان نوابه يقضون مصالح الناس فقد تنصرف هذه الجملة الى مردي شيخ المعرة وتلاميذه الذين كانوا

(١) مجلد ٦ ص ٦٤ . (٢) وهكذا ترجمها لاستراخ مترجم الرحلة من الفارسية الى الانكليزية عن نسخة المتحف البريطاني في لندن . (٣) ذكرت قنسرين في العلاقات النفيسة لابن رسته والذئب والاشراف للسعودي وصفة جزيرة العرب للهمداني والمسالك والممالك لابن خرداذبة واحسن التقاسيم للمقدمي وذكرها ياقوت في مادة اجناد الشام الخمسة جزء ١ ص ١٣٦ طبع ليبسك وذكرها في مادتها الاحلية قنسرين ج ٤ ص ١٨٤ من كتابه معجم البلدان . (٤) وهكذا ترجمها مترجم الرحلة الى الانكليزية .

يريدون الناس على الخير ويدعونهم الى الوفاق والوئام . وقد ذكر لنا الرحالة كويمات (ص ٦٦) التي وصل اليها قبل حماة ، وهذه لم يذكرها ياقوت في معجمه ولا ندرى اذا كانت لا تزال آهلة (?) فقد كتبنا لعالم من علماءها نسأله عن ذلك فلم يجر جواباً .

وقد أحسن صديقنا العلامة صنعاً في وضع لعاها البثرون الى جانب ترابرزت (ص ٦٨) ولكن هل البثرون بالتاء او بالتاء (?) فاذا كان القصد اسمها المعزوف اليوم بين العوام فهو صحيح ولكن البثرون بالتاء^(١) كما لا يخفى على الصديق الباقعة . على ان الترجمة الانكليزية نقول في الصفحة التاسعة من الرحلة ان ترابرزان هي تحريف نيو بروزيون وهو اسم رأس السقمة باليونانية وهذا الرأس هو شمالي البثرون الحديثة .

وقد استوثقنا من تسمية الرحالة عكاً بالالف (ص ٦٩) اذ كانت ابن جبير الاندلسي^(٢) وياقوت الحموي^(٣) وابن بطوطة^(٤) والامام ابن تيمية في بعض رسائله كتبوها بالتاء المربوطة ولعلمهم جميعاً فلدوا ابن جبير الاندلسي في حين ان المتقدمين من جغرافيين العرب مثل ابن واضح اليعقوبي مؤلف كتاب البلدان^(٥) والمحمدي مؤلف صفة جزيرة العرب وابن خرداذبة مؤلف كتاب المسالك والممالك وابو الفرج قدامة مؤلف كتاب الخراج وابن رسته مؤلف كتاب الأعلام النفيسة والمقدسي مؤلف كتاب احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم سموها بالالف كما انها وردت في الشعر العربي على ذلك النحو في أبيات نقلها ابو الفرج الاصبهاني الى كتابه الاغانى^(٦) من نظم شاعر من اليمن قيل انه النجاشي بن تد بقومه ويحرضهم على قيس . وقد كان معارفة بن ابي سفيان رضي الله عنه يغزو البحر باليمن و يغزو البر بقيس فلما بلغته الأبيات بعث يسترضي اليمن و يعتذر اليهم بقوله : « ما أغزيتكم البحر الا لاني أتين

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٤٩٣ . (٢) رحلة ابن جبير طبع مصر ص ٢٨٥ .

(٣) معجم البلدان ج ٣ ص ٧٠٧ . (٤) تحفة النظار في غرائب الأمصار طبع مصر

ج ١ ص ٣٥ . (٥) كتاب البلدان طبع لندن سنة ١٨٦٠ ص ١١٥ وطبع ليدن

سنة ١٨٩١ بذييل كتاب الأعلام النفيسة ص ٣٢٧ . (٦) الاغانى ج ١٨ ص ٧٠

من طبعة السامي .

بكم وان في قيس تكداً واخلاقاً لا يحتملها الثغر وانا عارف بطاعتكم ونصحكم فأما اذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس فتكونوا جميعاً فيه واجعل الغزو فيه عقبا بينكم فريضوا فعل ذلك به فيما بعد » وهو من أوقع المعاذير وأحكمها ويكفي ان يكون صادراً عن ذلك الداهية العظيم . وهذه هي الأبيات :

الا أيها القوم الذين تجمعوا بمسكا أناس انتم ام أباعر
أترك قيس آمنين بدارهم وتركب ظهر البحر والبحر زاخر
فوالله ما أدري وإني لسائل أمدان يحمي ضيها ام يحابر
ام الشرف الأعلى من اولاد حمير بنو مالك اذ تستمر المراثي
أأوصي ابوهم بينهم ان تواصوا وأوصي ابوكم بينكم ان تدابروا

ومقام النبي صالح اليوم خارج سور عكا الذي ربه الظاهر عمر الزيداني سنة ١١٦٣ هـ ١٧٤٩ م وهو في وسط مقبرة المسلمين فاذا كان المقام كان في المسجد الاعظم وهذا كان في وسط المدينة كما ذكر الرحالة فتكون عكا الحاضرة جزءاً أصغيراً من الاصل الكبير الدارس . وعكا أخت القسطنطينية العظمى ومجتمع الرفاق وميناء الحاج في القرن السادس (١) وعين البقرة لا تزال ينزل اليها بست وعشرين درجة . كأن الذين تولوا عمارتها مرة بعد أخرى قد حافظوا على هندستها الأصلية . وليست هي تنبع من مكانها وانما يتصل اليها الماء من مجرى قديم قد امتلأ بالتراب فصار يرشح الماء منه رشحاً وقد علمت ذلك بعد ان وكلت الى بعض العملة امتياح مائها والوصول الى قعر العين فظهر لي المجرى الذي يأتي اليها من الشرق ولم تمثل العين بالماء الا بعد مضي يوم كامل من امتياحه . وقد ثبتت هذا المجرى فتراءى لي انه ينفرع عن مجرى أوسع منه نطافاً يأتي من الشمال الى الجنوب الى عين اخرى اسمها عين الست . وقد كان اهل عكا يستقرون ماءهم منها لما كانت قناة ماء الكابرة مقطوعة عنها وذلك قبل اربعين عاماً تقريباً . وقد قال لي بعض شيوخ عكا ان الأهليين كانت لا تفارقهم الحميات بسبب رداءة ذلك الماء وكانت تعلق وجوههم صفرة المرض الى ان قيس الله لم حاكماً عاملاً على الخير فرم القني بين بستان البهجة وعكا واعاد مياه الكابرة الى مجاريها .

هذه هي العين التي زعموا ان آدم كان يستقي بقرته منها — تلك البقرة التي كان يحرق بها ارض مسجد عكا — وكان يحمل نفسه مؤونة التزحل والطلوع اليها ومنها يمتاح لها الماء البكافي . وقد علمت انها لم تكن عيناً وانما هي شعبة من قناة قديمة أوشكت على الانسداد .

على ان الخرافات في شرقنا لنقل من الاجيال الى الاجيال . فلا يزال الناس يعتقدون في هذه العين الكرامة ويقصدون اليها للاستحمام بها و يتبركون بزيارتها وقد لاحظت انه كان على واجهة القبة الصغيرة المبنية على العين لوح تاريخ قد رُفِع من مكانه فشر محله وقد أبدت ظني هذا امرأة اقامت نفسها قيمة على العين فهي تُعهد لها بالتردد عليها وكنس ادراجها وتنظيفها عند الحاجة ونصب الأعلام الخضراء التي ينذر لها الناذرون من الذج — وقالت ان بلاطة التاريخ قد سُرقت قبل ثلاثين عاماً وزادت على ذلك بانها تتولى خدمة هذه العين والقيام عليها بالوراثه عن والديها .

قالت وقد ظهرت منذ سنين قطعة من رخامة مكسورة بين الأتربة والحجارة التي كانت تجتمع في العين لا يقرأ منها الا كلمة «طوب» وهو اسم المدفع بالتركية واهل عكا يأنسون بهذه الآلة الجهنمية ويعرفونها حق المعرفة لان بلدهم كانت الى الابلام الأخيرة قلعة حصينة والمدافع تكشفها عن ايمانها وعن شمائلها .

اما انا فأظن ان هذه الكلمة ليست «طوب» وانما هي «طوبى» وهي اول كلمة من حديث من الأحاديث الموضوعة التي لفقوها على المدائن والأمصا وهذا الحديث هو «طوبى لمن رأى عكة» والظاهر ان بلاطته كانت ملصقة على قبة العين والاحاديث الموضوعة عن عكاء او عكة كثيرة سردها الشيخ محمد بن شيخ الاسلام جعفر الكتاني الحسيني في كتابه (شفاء الاسقام والآلام بما يكفر ما تقدم وما تأخر من الذنوب والآثام) وثقاهما ثقياً باتاً (١) .

(١) شفاء الاسقام ص ٤٣ وهذا نص* ما ورد في الكتاب :

«الخصلة الخامسة والعشرون . منها دخول مدينة عكاء بالمدن ويقال لها عكة بناء النأنث وهي بلدة مشهورة من الثغور الشامية وكأنه للرباط فيها ان صحت الرواية

وعلى ذكر الاحاديث الموضوعة عن المدن والامصار أريد ان أجاهر برأيي ربما أثار غضب الجامدين . وهو ان هذه الاحاديث قد وضعت لأغراض سياسية شريفة وألبست ثوباً من الدين والدين سلطان تخضع له النفوس وتغنى أمامه الرقاب والغاية من ذلك هو حمل المسلمين وهم في بدء حياتهم السياسية على احتمال المشاق ، وتكبد الاسفار . وإحكام الدفاع عن الثغور والبلدان التي كانت لها ميزة حربية إذ كان من الصعب ان يستعمل المسلم البدوي الضارب في عرض الارض الساكن في بيوت الشعر الدخول الى القفص والاقامة بين الجدران لولا ذلك السلطان الديني .

ولنرجع الآن الى ما كنا عليه من التعليق على الرحلة : قال الرحالة (ص ٢٠) انه اجتاز بقرية بريدة ودمون وعباين قبل ان يصل الى قرية حاضرة والقرى الثلاث الاولى لم يذكرها ياقوت ولكنها لاتزال آهلة فالاولى وتسعى البروة عدد سكانها ٨٠٧ والثانية وتسمى الدامون . بزيادة الف بين الدال والميم وسكانها ٢٢٧ والثالثة عباين وسكانها ٨١٢ نسمة . اما قرية حاضرة^(١) فأظن انها محرفة عن كفرمندة وهي التي فيها قبر امرأة موسى كما ان جهة اربيل او اربيد هي من متمات تلك القرية التي فيها ايضاً قبور بعض ابناء يعقوب . وهذا ما يقوله ياقوت عنها^(٢) : كفرمندة قرية بين عكا وطبرية بالأردن يقال

بذلك ذكرها ابن حجر والخطاب ولم يذكر السيوطي . اخرج ابو الحسن الربيعي سبعة فضائل الشام ايضاً عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مدينة بين الجبلين على البحر يقال لها عكا من دخلها رغبة فيها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن خرج منها رغبة عنها لم يبارك له الله في خروجه وبها عين تسمى عين البقر من شرب منها ملأ الله بطنه نوراً ومن أفاض عليه منها كان طاهراً الى يوم القيامة قال الحافظ بن حجر حديث منكر جداً وفي اسناده غير واحد من الجهولين قال الخطاب وفي الفاظه رككة وآثار الوضع ظاهرة عليه . وهو حقيق بذلك كما لا يخفى على من مارس السنة وعرف جزالة الفاظها ومقاصد الشرع منها وبما يشبه ان يكون موضوعاً ايضاً ما ذكره الجوهري في صحاحه من حديث « طوبى لمن رأى عكة » .

(١) معجم البلدان ج ٤ ص ٢٩١ وعدد سكانها اليوم ٤٢٧ نسمة . (٢) في الترجمة

الانكايزية اقرأ حذيرة او هذيرة .

لها مدين المذكورة في القرآن والمشهور ان مدين في شرقي الطور وفي قرية كفر مندة
قبر صفوراء زوجة موسى عليه السلام وبه الجب الذي قلع الصخرة من عليه وسقى لها
والصخرة باقية هناك الى الآن وفيه ولدان ليعقوب يقال لهما أشير وتقتالي .

واذن ان قوله (ص ٧٢) « وبلغني انه يستخرج من قعر بحيرة طبرية مادة سفي في شكل
البهضة لونها اسود وتشبه الحجر ولكن ليس لها صلابته فتستخرج وتكسر وتحمل الى المدن
والولايات » يجب ان يكون مصروفاً الى بحيرة لوط فهي التي عُرِف عنها منذ اواسط القرن
الرابع للهجرة انها تخرج ملحاً يصلح للصاغة وقبر يسمي بالحمر وهو قبر اليهود^(١) وقد اورد
الرحالة هذه العبارة بعد ذكره لبحيرة لوط وبها ختم حديثه عنها .

و يؤيد هذا الظن تعريب الترجمة الانكليزية لهذه العبارة فقد اورد المترجم
وهو يسوق الحديث عن بحيرة لوط :

« وقد اخبرني احدكم ان في مياه هذه البحيرة المالحمة مادة تجتمع من زبد المياه لونها
اسود تشبه في هيئتها جسم ثور عائم وهذه المادة (وهي الاسفلت) تشبه الحجر غير انها
اقل صلابة منه والناس يكسرونها وبعثون بها الى المدن لتستعمل في قتل الدبابت
والحشرات » .

وقبر ابي هريرة (ص ٧٢) لم يبق منه اليوم الا لوحه الذي زُبر عليه :

« هذا قبر ابي هريرة صاحب رسول الله » وهذا اللوح محفوظ في خريج السيدة
سكينة الكائن بين مدينة طبرية وبين حماماتها المعدنية .

وقد افادنا بعض العارفين ان هذه البلاطة وُجدت في الايام الاخيرة الى جانب
محراب قديم في الطابق السفلي من دار كانت لرجل يدعى عبدالله الحسين باعها من
آخر يسحق مصطفى سنجر فدرس المحراب والبناء القديم ونقلت البلاطة الى خريج
السيدة سكينة . وعلى ذكر ابي هريرة يجدر بنا ان نصح ما يذهب اليه بعضهم من ان
قبره في طبرية كما ذكره هذا الرحالة او في الرملة كما ذكره غرس الدين خليل بن شاهين
الظاهر^(٢) او في قرية بُيُني من قرى مقاطعة غزة من فلسطين كما ذكره الباد

(١) المسالك والممالك لابن خرداذبة (ص ٢٩) واحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم
للمقدسي (ص ١٨٤) . (٢) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك (ص ٤٢) .

الاصفهانى الكاتب الذي يقول انه زاره وجيش صلاح الدين يوسف بن ايوب وبادروا للتمين به اليه في طر يقهم الى عسقلان^(١) وكما كان ذكره ياقوت في معجم البلدان (ج ٤ ص ١٠٠٧) اذ يقول « فيه قبر صجانيي بعضهم يقول هو قبر ابي هريرة وبعضهم يقول قبر عبد الله بن ابي مروح » وقد نفي مجير الدين الحنبلي مؤرخ القدس والخليل (ج ١ ص ٢٣٣) وجود قبر ابي هريرة في بيتى وقال عنه هو بعض ولده .

والحقيقة ان ابا هريرة قد توفي في قصره بالعقيق وحمل الى المدينة ودفن فيها^(٢) ولكنه من أجلة اصحاب الرسول الذين كانوا يرافقونه في خلاته وجلواته ومن الذين دخلوا الارض المقدسة ابان الفتح الاسلامي .

وقرية كفر كذا (ص ٧٢) التي عاد منها الرحالة الى مدينة عكا لانزال أهله وقد ضبطها ياقوت في معجمه^(٣) بالالف خلافاً للرحالة التي ضبطها بالتاء المربوطة وهي اليوم على قارعة الدرب المسلك بين الناصرة وطبرية وعدد سكانها ١١٧٥ نسمة .

والكنيسة التي جاءها الرحالة بعد حيناً (ص ٧٢) لا وجود لها اليوم وانما في الجانب الغربي من قرية الطيرة التي كانت تسمى قديماً طيرة اللوز وعلى ساحل البحر المتوسط خرابة تدعى الكنيسة وآثارها تنطق بمرانها القديم ولعل اهل هذه القرية هم الذين انشأوا قرية الطيرة الحاذية لما اثر حادث من حوادث التاريخ فانتقلوا من الشاطئ الى سفح جبل الكرمل وتربة هذه القرية التي تحوي ٢٣٤٦ نسمة من السكان خصبة وجارة ويجود فيها البطيخ وتسبق جميع بلاد الساحل باستواذ زروعها ونفخ غلاتها لاسيما الزيتون .

اما وادي التماسيح الذي يأتي بعد الكنيسة (ص ٧٢) فعلى ما ظن هو زور الزرقاء وهناك نهر صغير تعيش فيه التماسيح وقد شغل بالي وجودها في ذلك النهر الصغير مدة طويلة وبحسب عن علة وجودها فيه فليل لي ان جيش ابراهيم باشا لما قدم الشام من مصر خيم في تلك الارض الفسيحة فأخذت المحميات الناشئة عن البطائح والمستنقعات المتكونة من مجرى النهر الهادي تفنك يحنوده مما حملته على قتل بعض التماسيح من نهر النيل اليه

(١) الفتح القديمي طبع مصر (ص ٣٠٥) . (٢) الاصابة في تمييز الصحابة (ج ٧

ص ٢٠٧) . (٣) معجم البلدان (ج ٤ ص ٢٩٠) .

لنلتقط جراثيم البعوض من البطائح فبأمن بذلك مغبة انتشار الحمى وكدت ان أقبل هذا الرأي لقربة من العقل وكانت يؤيد ذلك عندي ما اعلمه من اسم التماسيح وانها لا توجد الا في نهري النيل ومهران في مصر والهند^(١) ولكن هذه الرحلة قد كشفت لنا الغطاء وأثبتت وجود التماسيح في ذلك الوادي قبل قرون متطاولة وان لم تصرح بوجودها. الا ان تسمية المكان بوادي التماسيح لا تدع مجالاً للشك والارتياح في نسبته اليها. ولم يذكر ياقوت الحموي وادي التماسيح في معجمه.

اما قيسارية (ص ٧٣) المذكورة في معجم البلدان لياقوت^(٢) والتي حافظت على كيانها وعمرانها دهوراً طويلاً فهي اليوم قرية صغيرة عدد سكانها ٣٤٦ نسمة.

ومن المستبعد على الرحالة اي يشبه الرمل الذي بين قيسارية وبين كفر سابا برمل مكة ونرجح انه شبه برمل عكة وقد وصفه (ص ٧٢) بأنه يستعمل للصباغة في بلاد فارس^(٣).

اما كفر سابا التي ذكرها ياقوت^(٤) فهي اليوم من القرى الصغيرة وعدد سكانها ٥٤٦ نسمة وقد قرن الرحالة كفر سلام بكفر سابا ظناً منه انها واحدة مع ان ياقوت^(٥) أفرد لكل منهما مادة مستقلة ولا أثر اليوم لكفر سلام.

وقد جاء في وصف الرملة (ص ٧٣) « وتعرف هذه المدينة في الشام والمغرب باسم فلسطين » والى جانب فلسطين « كذا » مما يدل على ان المترجم لم يتثبت من هذه التسمية مع ان بعض جغرافيين الغرب ورحالتهم ذكروها بذلك الاسم ومن هؤلاء ابن بطوطة^(٦) فقد قال « ثم سافرت منها الى مدينة الرملة وهي فلسطين الخ » وقال ابن فضل الله العمري^(٧) « الرملة وهي فلسطين » وبظهر ان هذه التسمية هي من قبيل اطلاق الجزء على الكل او الفرع على الاصل.

(١) احسن التقاسيم (ص ٢٣) . (٢) معجم البلدان (ج ٤ ص ٢١٤) . (٣) في الترجمة الانكليزية يقول ان رمل قيسارية هو من النوع الذي يسمى رمل مكة . (٤) و (٥) معجم البلدان (ج ٤ ص ٢٨٨) . (٦) تحفة النظار في غرائب الامصار (ج ١ ص ٣٥) . (٧) التعريف بالمصطلح الشريف (ص ١٧٧) .

وخاطون التي ذكرها الرحالة (ص ٧٤) هي مصحفة عن أطرون المذكورة في معجم يافوت (ج ١ ص ٣١٠) وتعرف اليوم بالأطرون كما علق على ذلك العلامة الرئيس وعدد سكانها اليوم ٥٩ نسمة ويحاط بها دير يسمى دير الاطرون عدد سكانه ٣٧ نسمة .
وقرية العنب التي ذكرها بعد أطرون (ص ٧٤) معروفة اليوم باسم قرية البي غوش جد احد البهوتات القديمة وفيها من السكان (٥٤٨) نسمة وهذه القرية قد ذكرها يافوت في معجمه^(١) باسم حصن العنب وهي في الشرق من الرملة حيث طريق بيت المقدس التي سلكها الرحالة .

هذا وقد ورد في ثنايا التعريب اسماء لمقاييس فارسية مثل آرش وكوز وكز وهذان الاخيران يجب ان يكونا شيئاً واحداً — يسم القاري معرفتها ولذلك فاننا نبسط للقاري ما استنتجناه عنها السيد جاي لاسترانج (Guy Le Strange) الذي ترجم الرحلة من الفارسية الى الانكليزية فقد قال في الصفحة التاسعة من مقدمته ان الآرش والذراع متعادلان وان الكوز عادل احياناً البرد الانكليزي و احياناً الذراع العربي وانه هو والآرش في رحلة ناصر خسرو شي واحد .

قلنا والظاهر من استعمال الرحالة لهذين المقياسين في مواضع مختلفة ان الآرش للمساحات المسطحة والكوز للاطوال والعروض . اما الترجمة الانكليزية التي اخذنا عنها فقد طبعت سنة ١٨٨٨ م في المجلد الرابع من الرحلات التي نشرتها (Palestine Pilgrim Text Soc.) وهي مترجمة عن نسخة المتحف البريطاني في لندن . وقد حدثت أغلاط مطبعية في أرقام السنين في مجلة الجمع فقبل ان الرحلة ابتدأت سنة ٤٣٧ هـ ١٠٣٥ م وصوابها ٤٢٧ هـ وانتهت سنة ٤٤٤ هـ ١٠٤٢ م وصوابها ٤٣٤ هـ كما يتضح من الارقام الاخرى العربية عن الرحلة والواردة في سياق الكلام .

هذا ما اردنا تعليقه على رحلة ناصر خسرو وعلى الله قصد السبيل .

حيفا : عبد الله مخلص



مطبوعات حديثة تحت راية القرآن

« المعركة بين القديم والجديد » بقلم السيد مصطفى صادق الرافعي طبع بالمطبعة
الرحمانية بمصر ١٣٤٥ - ١٩٢٦ بعناية المكتبة الاهلية ص ٤٣٧

لما نشر المرحوم قاسم امين كتابه «تحرير المرأة» ثم «المرأة الجديدة» في مصر قام بعض المفكرين والادباء وألفوا في الرد عليه بضعة كتب ميزت الامة عقبيها الخطي من الماهيب . ولما ألف الاستاذ السيد علي عبدالرازق كتابه في الخلافة قام بعض الفضلاء فردوا عليه ونشروا ايضاً عدة كتب في تخطئته فعرف المتصفون الخطي من المصيب . ولما نشر الاستاذ الدكتور طه حسين في السنة الماضية كتابه «في الشعر الجاهلي» قلنا في وصفه (ص ٢٥٠ م ٦) : « ولا شك ان كتابه سيجد من مخالفيه مقاومة شديدة يرجع العلم الحديث عقباها كتاباً آخر يناقض هذا الرأي وعندئذ يخسر الدكتور طه قضيته او يرجحها » . وهذا الكتاب « تحت راية القرآن » احد الاسفار التي نشرت في مصر للظمن في رأي صاحب الشعر الجاهلي ، ابان فيه المؤلف بما عنده من النصوص ان خصمه بخطي كل الخطايا في رفع الثقة من جميع ما قيل في شعر الجاهلية وأظهر ما ارتآه من مخالفة اقواله للشريعة والقاء الشكوك في تاريخ الامة ، بيد انه استعمل لساناً حاداً سيف التخطئة والنقد ، كادت تحيل كتابه الى قصة يراد بها السخرية والنكسة ، لا الفائدة المبتغاة من تقرير حقيقة ، فضاع الجد سيفه تضاعف المزل . وهذه طريقة لبعض المؤلفين فلما يمد اليها الناقدون الذين ينزهون العلم عن العيب ويتوخون الاحتفاظ بجماله وجلاله . ونحن ممن يريد ان ينزه النقد عن التحامل والشخصيات ليحسن موقع القول في نفوس الموافقين والمخالفين . ولا يسمنا هنا الا الثناء على صديقنا المؤلف لعلمته وصدق عزيمته ولتبريزه في ميدان البلاغة والبيان ، فان انشاء الرائق المتين يذكرنا بعمد ارتقاء اللغة العربية في بعض قرونها الذهبية . ونحث على مطالعة كتابه فانه نموذج مهم في الادب الجديد .

محمد كرد علي

الشهاب الراصد

تأليف السيد محمد لطفي جمعة طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر

سنة ١٣٤٤ — ١٩٢٦ ص ٢١٧

هذا بحث تحليلي انتقادي ورد علي تاريخي على كتاب « في الشعر الجاهلي » وصديقهنا مؤلفه احد اركان النهضة المصرية الحاضرة وله تأليف وابحاث كثيرة ونظر دقيق في تطور المدنيات القديمة والمدنيات الجديدة . ساعده عليه تمكنه من آداب العرب والانكايز والفرنسيس وقد تلتطف بتنازل الرد على صاحب الشعر الجاهلي بأسلوب علمي جمع فيه البراهين على إسقاط دعوى خصمه بلسان الناقد الحريص على اظهار الحقيقة وذلك على الطريقة المصرية وقسم موضوعه الى ابواب وفصول بين فيها طريقته في نقده وذكر بعض نقاد الادب العربي في القديم والحديث وفن النقد في الآداب الفرنسية قديماً وعلى عهد (بسكال ودبكارث) وفي العصر الاخير وشرح مذهب دبكارث واثبت ان مؤلف الشعر الجاهلي القائل بمذهبه والداعي اليه ناقض مذهبه في كثير من المواطن وابان ان الشعر الجاهلي مرآة الحياة العربية قبل الاسلام في كل مظاهرها وان الامم القديمة واهل المدنيات الحديثة تعتقد بوجود الجن ، والشعر المنسوب اليهم عند العرب كالشعر الذي يؤلفه المصريون وبلتمسون الالهام من ربة الشعر . واستشهد على قضاياه باقوال علماء المشرقيات في معظم الامم الغريبة الذين عالجوا الموضوعات العربية والاسلامية وتعرض للعرب وشعوبهم وقبائلهم وانسابهم ولهجاتهم في جنوبي الجزيرة وشمالها وكيف كانت قريش كالجمع اللغوي تسيطر على لهجاتها ولتهذب اللغة في الاسواق الادبية . والمفضل لغة قريش على سائر لغات العرب قبل الاسلام واللهجات في اليونانية القديمة واللغة الفرنسية وغيرها وقارن بين العرب واليونان والرومان في الفتح واورد كيف كانت الشعر في صدر الاسلام وشرف الرسول وسيادة قبيلته ورد ما ادعاه الاستاذ هوار من ان أمية بن ابي الصلت أثر بشعره في القرآن الكريم ، وما كان من امر الشعوبية والرد عليهم وما قاله علماء المشرقيات في صحة الشعر الجاهلي وذكر ماهية الانتحال في الجاهلية والاسلام . كل ذلك يبحث مشبع

بانتزاعه مأخوذ من المظان المعتبرة عند العرب والافرنج دل على رسوخ المؤلف في فنه ووقوفه على روح الانم وروح المؤلفين فمنهته بهذا التأليف الذي هو الثاني من نوعه في نقد قضية الامتياز الدكتور طه حسين .

م . ك

==بمقابلة==

سورية والسوريون

« من نافذة التاريخ »

للدكتور فيليب حني طبعت سنة ١٩٢٦ في المطبعة التجارية السورية

الاميركية في نيويورك ص ١٠٧

هذه محاضرات القاها الدكتور حني احد اعضاء المجمع العلمي العربي في نيويورك ونشرت في مجلة «العالم الجديد» ذكر فيها اصول الشعب السوري ، وما استلزمه الغرب من الشرق في الحروب الصليبية في العلوم والصناعات ومرافق الحياة ، وما بلغت الشام في اعلى قم مجدها في العصر الاموي وذكر فتوحات الامويين ومدنيتهم وفتحهم الاندلس وما اليها من بلاد البربر في افرقية . وكل ذلك بلسان المؤرخ المنصف وتحقيق عودنا اياه رصيفنا العلامة حني . وشتات بين من يعمل مثل هذا المؤلف للعلم الخفص وجلاء الحقيقة ، ومن يعمل لنشر دعوة خاصة ونحلة معروفة ويسترو زاء جذرات التاريخ وقد لاحظنا عليه فقط قوله في (ص ٣٥) ان العرب المسلمين كان مهمهم في الدرجة الاولى جباية الجزية وجمع الاموال من ابناء البلاد الاصليين ، وليس من مصلحتهم الاقتصادية ان تدين الامة المغلوبة بدين الغالب اذ الجزية تسقط بالاسلام . فهذه القضية غير صحيحة لان العرب خيروا الامة المغلوبة بين ثلاثة اشياء « الاسلام او الجزية او السيف » . والدعوة دينية صرفة ولكن « لا اكراه في الدين » وقد عد بعضهم هذا التسامح المحمود ضعفاً وعجزاً الى مسائل اقتصادية . ونشكر للرصيف اجتهاده في خدمة امته وبلاده .

م . ك

==بمقابلة==

الآراء والمعتقدات

تأليف الدكتور غوستاف لوبون ونقله الى العربية الاستاذ محمد عادل زعيتر
ونشره الاستاذ الياس انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بمصر
هذا كتاب اجتماعي يبحث في مصدر المعتقدات غير العقلي والعناصر التي تتألف
شخصية الانسان من مجموعها ، وفي الارادة غير الشاعرة وفي العراك بين المنطق العاطفي
والمنطق الديني ومنطق الجمهور والمنطق العقلي ، وفي اسباب اختلاف الآراء وانتشارها
وقد قال المؤلف في آخر كتابه : وهكذا توصلت الى تاموس فلسفي مهم وهو ان مبادئنا
تشق من انواع المنطق المختلفة ، لا من مصدر عقلي مشترك ، فمن تغلب احد هذه
الانواع على الاخرى او تصادمها ظهرت اكبر حوادث التاريخ . . . وكل ما نعرفه
حتى الوقت الحاضر هو اننا مسيرون بثلاث حقائق « أعني الحقائق العاطفية والحقائق
الدينية والحقائق العقلية » وانه لا قياس مشترك بين هذه الحقائق الصادرة عن
انواع المنطق المختلفة .

هذا مغزى الكتاب ، والمؤلف من فلاسفة فرنسا الاحياء مشهور بابحاثه النفسية
والفلسفية والتاريخية لا يحتاج الى تعريف ، اما المترجم فهو من اساتذة نابلس ومن اهل
الثقافة الحديثة ترجم قبل هذا الكتاب « روح الاشتراكية » للمؤلف نفسه ، وعبارته
سهلة مقبولة أشبه بمباراة المؤلف الاصل في سلامة قلمه . فتشكر للمعرب والناشر
عنايتهما باخراج مثل هذه الاسفار النافعة للناس ، يزيدون بها مادة البحث والتفكير .
لا جرم ان المعرب المجيد لا يقل في فضله عن المؤلف مباشرة ، وكثير من المباحث
نحتاج فيها اليوم الى التعريب اكثر من الوضع .

م . ك

—————

الحديث

مجلة شيرية تصدر في حلب وتبحث في الأدب والتاريخ والعلوم الاجتماعية
لصاحبها السيد سامي الكيالي وادعون رباط قال منشئها « نحن لا نريد ان ننكر
هذا الماضي الخالد بذكر يانه الرائعة — وذكر يانه في كل ما بقي لنا من تراث الاجداد —

ولكننا نتساءل أينعنا هذا الحرص على الماضي ان نكون جامدين الى حد ان لا نفهم هذا التراث على صورته الحقيقية . وفي هذا الجزء مقالات مهمة نافعة منها مقالة في الكتابة واثرها في حياة الام احمد لطفي بك السعيد ومدارس الشام في الاسلام للسيد محمد كرد علي والمجلات واثرها لاسماعيل بك مظير . ومن المقالات المعربة « مقالة المدنية الفينيقية » و « ما افاده العلم للانسان » الى غير ذلك من الابحاث والفوائد مما مثل للقاري بذوق وأدب . فنثني على منشئها الفاضل الكيالي ونرجو زيادة العناية بمجته في تجويد موضوعاتها والتوفيق من الاخطاء والاغلاط ما امكن ، حتى تكون مجلة « الحديث » من العوامل المفيدة في نشر العلم ومرجعاً من مراجع الآداب عند العرب .

—ooo—

مراقبة المترجم

تأليف الاب يوسف علوان اللعازري طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٦ مجلدان كل مجلد يقسم الى قسمين كتاب المعلم وكتاب التلميذ هو سفر وضعه مؤلفه للصفوف العالية في اللغتين الفرنسية والعربية كسره على مسائل تجارية وقضائية وبعض أمثال وحكم وأشعار وقصص واخوانيات ليلقن الطالب روح الترجمة من الافرنسية الى العربية وقد شفع ذلك بمباحث صغيرة حوت الألفاظ التي يحتاج اليها الطالب ومصطلحات الشام والغرب في التجارة والقضاء وغير ذلك مما هدته اليه التجارب والمران على الترجمة وتعليمها زمناً ولم نلاحظ على المؤلف الفاضل الا بعض النساheel في اختيار بعض الألفاظ العربية وامله يتوخى التفهيم بالمصطاح واركان غير فصيح ذهاباً مع من يقول : « الخطأ المشهور خير من الصواب المجهور » على ان المؤلف يمدح قصده وتكرمه . وعساه في الطبعات المقبلة يضع هذا المعنى تحت النظر .

م ، ك

الجزء الاول

« من مبادي الفيزياء »

تأليف فرنان ماير وتعريب السيد ابي قيس عن الدين علم الدين الشونخي

طبع في مطبعة الفرات في بغداد سنة ١٣٤٤ - ١٩٢٦

تجسّد اللغة العربية في سبيل العلم بخطوات بطيئة غير انها مطردة تبشر بمستقبل حميد . ومن تلك الخطوات المحمودة « الجزء الاول من مبادي الحكمة الطبيعية » تأليف فرنان ماير الذي عرّبه بتصريف حسن ، السيد عن الدين علم الدين الشونخي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ومدرس الطبيعيات في دار المعلمين العليا والابتدائية ببغداد تحت عنوان « مبادي الفيزياء » وفيه ثلاثة أبواب : هي الشاغل وموازنة السوائل والحرارة . والكتاب غزير المادة جيد الاسلوب متقن الطبع جاء في زهاء ٢٣٤ ص . وفيه كثير من الرسوم التي لا يستغنى عنها في درس هذا الفن . فنشكر المؤلف الفاضل الجهد الذي بذله في تعريب هذا الكتاب المفيد الذي صد ثلثة واسعة في كليات التدريس العربي . وقد تصفحت هذا الكتاب فترائي لي في تضاعيف سطره شيء من الخطأ الصادر عن السهو مما لم يرد ذكره في صفحة التصويب منه .

ص	س	خطأ	صواب
٥٢	١٨	تقدير	تقديره
٨٦	٣	٧٢٨٠٠٠	٨٢٨٠٠٠
١٠٤	١٣	١٠٠٠×٠٠٠٠٠١٣	٥٠×١٠٠٠×٠٠٠٠٠١٣
١٣١	٣	٦٧١٥٥ م	٦٧١٥٥ سنتيمتر
١٣١	٥	١٣١٦×٧٦١٥٥	١٣١٦×٦٧١٥٥
١٤٣	٥	١٠٣٣=١٠-١٠٣٣	١٠٢٣=
١٦٥	١٣	١٨٧	١٨٨
١٨٠	٧	١٥ الى ١٠	١٠ الى ١٠١٥

وفي ص ١٢ في السطر الاخير (اي ثقل حجم من الماء يساوي ثقل الجسم) في

حين ان ثقل حجم الماء المازح لا يساوي ثقل الجسم . ولعل المؤلف يريد ثقل حجم من الماء يعادل حجم الجسم .

وفي ص ١٢٠ في مادة تدبير المنطاد ذات الرقم ١٤٥ (في بدء الامر يحمل المنطاد اكياساً من الرمل تقوم مقام الصابورة فاذا اراد الطيار الصعود التي شيئاً من صابورة منطاده) فان لفظة الصعود في هذه الفقرة مطلقة في حين ان المعنى المقصود هو غير الصعود المطلق فمما للالتباس اري ان تعين جهة المصعد .

وفي ص ١٢٢ في السطر الثالث (اذا تحرك سطح في الهواء بسرعة متر في الثانية قارمه الهواء بقوة ٧٥ غم) ولم تعين مساحة ذلك السطح المتحرك في حين ان المقاومة المذكورة مقيدة بالسطح الذي مساحته متر واحد .

وفي ص ١٤٣ س ١٣ (وبما ان ثقل هذا العمود المائي الطويل يساوي الضغط الجوي) في حين ان طول هذا العمود هو ٥٠ سم ومساحة قاعدته سم^٢ واحد فيكون ثقله ٥٠ غم وهذا الثقل لا يساوي الضغط الجوي .

وفي ص ٢١٦ س ١٢ (كانت الفراء والاقمشة والصوف والريش من اسباب توقي البرد لانها توصل حرارة الجسم الى الخارج بسرعة) والصواب هو انها لا توصل الحرارة بسرعة الى الخارج .

هذا ما وقع عليه نظري من الخطأ المتعلق في المادة اما ما هو متعلق بالقالب فاني اترك القول فيه لعلماء اللغة في المجمع العلمية . على اني لا اكتم المؤلف الفاضل رأبي في هذا الموضوع وهو : ان لغة العلم لا سيما المدرسي الابتدائي تستوجب الوحدة المطلقة في جميع الاقطار ذات اللغة الواحدة خشية عدم ثناء ابناء الامة الواحدة مما يعمل على تفرقها ويحدد فائدة المؤلفات التي توضع في كل قطر من اقطارها . وخير للامة ان تتعارف بكلمة اجنبية من ان لا تتفاهم بالفاظ فصيحة . فليت المؤلف الفاضل ألف ما بين الافكار على قبول المصطلحات التي استحسناها قبل نقشها في أذهان الطلبة لا سيما وان منها ما قد يقع الخلاف في قبول استعماله كاشتقاق اسماء الموازين والمقاييس على وزن مفعال كحمرار ومرطاب ومرواح ومرواز وملاح الخ . وذلك لاسباب منها : ان في هذه الصيغة معنى الفاعلية النوعية فاذا قلنا حمرار يفهم منه آلة تحدث الحرارة مع انها

آلة مفعولة للحرارة ومنها ان هذه الصيغة لا تدل على معنى الوزن او القياس بل هي ندل على معنى الآلة لحسب . ومنها ما يتولد من الالتباس في فهم كثير من الاسماء التي هي على هذا الوزن فلا يتبين هل يراد بها معنى القياس والوزن او الفاعلية النوعية . كمنفاخ ومصباح ومقلاع الخ . مما يفضي الى التساؤل هل حسب سياق الكلام ، وهذا توجه لغة العلم وتأباه . ومنها الخروج عن المتعارف في القطر السوري والمصري بلاهر لان الفاظ ميزان او مجس او مقياس الحرارة والضغط مثلاً الخ المصطلح عليها فصيحاً صريحاً . فعمسى ان يلاحظ المؤلف الفاضل تلك الهنات في تعريب الاجزاء الباقية التي ترقب خروجها الى حيز الوجود في وقت قريب تعميماً لخدمتها ولغة العربية وابنائها .

اسعد الحكيم
عضو المجمع العلمي العربي



اخبار الحمقى والمغلبين

للعامة الحافظ ابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي المتوفى ببغداد سنة ٥٩٧ هـ
طبع في مطبعة التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٥ (ص ١٧٢) . ويطلب من
السيد صلاح القديمي بدمشق

نشرنا في السنة الماضية ثلاث مقالات (بمجلة المجمع م ٦ ص ١٩ و ٥٥ و ١٢٢)
في وصف هذا الكتاب ، وبيننا فيه من النكات والألفاظ والمعاني ، واقتبسنا منه طرفاً
صالحاً . وبيننا ان القراء ما زال على بالهم ما قرأوه بشأنه ، وقد أحسن احد أدباء
هذه العاصمة بطبعه مأخوذاً عن نسخة دار كتبنا معارضة بنسخة ثانية كانت العلامة
الامير شكيب أرسلان استنسخها من مكتبة المدينة المنورة . وصدر الناشر هذا
الكتاب بمحاضرة الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي احد اعضاء المجمع العلمي في هذا
السفر وما حواه من البدائع . وقد التزم الناشر طبع اخبار الحمقى والمغلبين برمتة لم
يجذف منه ما ربما يشتمل منه بعض المتأديين من العصر بين فعمد الى الامانة في النقل
وهي من جيد المنازع وكنا نود لو شفعه بنهرس للاعلام والقواني والموضوعات على

الطريقة التي جرى عليها علماء المشرقيات في طبعهم كتب العرب ليسهل مثاؤها على كل مطالع ومراجع .

م . ك

— ولاحقاً —

ذكرى شكبير

نظم الدكتور احمد زكي ابو شادي طبع في المطبعة السلفية بمصر (ص ٣٣) مجموعة شعرية نظمها الدكتور الفاضل بمناسبة فتح ممثلي «نياتر» شكبير التذكارى تقديرًا لمزايا شكبير شاعر الانكليز الا عظم ، وآثاره الخالدة ، وقد مثل بعضها بالعربية ونقل بعضها ولكن من الصعب نقل شعر الى شعر وما قاله في عبقرية شكبير :

فان الحياة كموج الضياء	تثنى الفضاء وتطوي البحارا
وان يعلم الناس ما اصلها	اكانت حجي في العلي ام غبارا
ولكن لعقلك اني انصمين	فقد كان كاور حيا وزارا
فما لوئنت ذنوب الانا	م ولا كان الا السنا والارا
اشعته عمرها كالزما	ن تبث الرجاء وتقصي البوارا
وتهدى حرارتها للنور	س وجودا جديدا وكونا مدارا

م . ك



مجلد المجمع العلمي العربي

(دمشق) : آذار سنة ١٩٢٧ م الموافق رمضان سنة ١٣٤٥ هـ

تاريخ الزراعة

« في بلاد العالم العربي ^(١) »

للبلاد التي يتكلم سكانها العربية اليوم ماضٍ أغر ومدينة موطودة الأسس قامت في وجه الدهر فماركته آلافاً من السنين يوم لم يكن الا هي كوكب يسطع في حلك الجاهلية والوحشية . ومن عربية او جزيرة العرب موطن الساميين الاصلي نزلت أجيال عظيمة وأم شتي في دهور واغلة في القدم فالقت عصاها في سقي الفراتين فنشأت كلدية وعيلم وآشور ، ومنهم من اكتسح ديار الشام فنشأ الفينيقيون والكنعانيون فليس إذن من الغريب ان يقول العالم مسيو رينجلمان (Ringelmann) « ان جزيرة العرب في التاريخ المتراخي الآفاق كالكتاب كذا امتلأت سال منها الى الشمال رجال » . وتمدن كلدية أقدم من تمدن مصر ولم ينشأ تمدن مصر في القرون القديمة الا على اثر موجة بشرية امتدت من كلدية الى مصر حاملة معها الحضارة والعرفان ولذا قال مسيو مورغان (Morgan) « أبقت وانا في وادي النيل ان طلائع المدنية في اوائل عهد المملكة المصرية وردت من كلدية فيكون سقي الفراتين إذن مهد رقي البشر » . وقال المؤرخ الشهير مسيرو (Maspero) « لرؤوس المصريين الاقدمين والعرب والفينيقيين والكنعانيين روابط تشد بعضها الى بعض وليس المصريون غير ساميين انفصلوا عن مهد الساميين قبل غيرهم » . ولقد كان من الواجب ان أبدأ خطابي بزراعة

(١) محاضرة ألقاها الأستاذ صاحب الامضاء في ردهة المجمع العلمي بدمشق

بمناسبة انتخابه عضواً فيه .

أم العراق لولا ان تاريخ التمدن المصري القديم قد استبان قبل تاريخ الحضارة في بلاد الرافدين ولذا أبدأ بمصر على عهد اقدم ممالكها المعروفة اي منذ نحو ٦٠٠٠ سنة الى نحو ٥٠٠ سنة قبل الميلاد . ولا بد لي قبل ذلك من التنويه بان ما ألقيه عليكم أيها السادة ليس سنوي رؤوس أفلام لان الموضوع فضفاض يملأ كتاباً برأسه .

الزراعة في عهد المصريين الأقدمين . — اشتهرت مصر على عهد الفراعنة بزراعة الحنطة والشعير والبقول والبرسيم والكتان والقنب وكثير من البقول كما اشتهرت بفرس الكرمه واشجار الناكهة . واهم هذه الاشجار مما رسموه على هياكلهم القديمة الزمان والشمس والزيتون والدراق والتين والتخيل . وورد في التوراة ان العبرانيين بعد خروجهم من مصر اسفوا لمرافقهم ما لذ وطاب فيها من الخوخ والبطيخ الاصفر والبصل والثوم . وقال هيرودوتس : « ان المصريين كانوا مكلفين بزرع الذرة البيضاء خاصة وانهم ما كانوا يقيمون طبخ البر وزناً ، اما الفول فما كانوا يالفون زرعه ولم يزرعوه الا للتجارة والمذايعة » . وذكر غوستاف اوزه (G. Heuzé) ان المصريين كانوا يزرعون قصب السكر واللوبياء والبامياء والقلناس والنبشخاش الذي منه يستخرج الافيون كما انهم كانوا يستخرجون الصمغ العربي من السنط النيلي . ولم يجد علماء الآثار أثراً للنسوجات القطنية في اقدم ايام مصر لكن بلينيوس يقول ان القطن كان يزرع في مصر العليا ولعل ذلك في ايامه . واشتهرت مصر في نبات النيلوفر والقصب والبردي وكانت ساق البردي تبلغ خمسة امتار احياناً يستعملونها في البناء . وفي صنع أحذية الكمان وفي غير ذلك . ومن الياف سوق البردي كانوا يصنعون الورق .

وكانوا يربون البقر والمعزى والحمر والخنازير . اما الخيل والابل فما كان لها اثر في اقدم ايامهم بخلاف التمساح والكركدان ويظهر ان موجة العرب الرعاة الذين يدعون هيقسوس ساقط الخيل الى مصر في نحو القرن العشرين قبل الميلاد ولذا بدأت آثار الخيل تظهر في السلالة الثامنة عشرة . ولم تألف الخيل إقليم مصر باديء بدء فكانت تمس الحاجة الى نقلها من الشام من حين الى آخر . لكنه اتى بعد ذلك زمن كان لتربية الخيل فيه شأن كبير حتي ان الملك سليمان كان في كل سنة يبتاع من مصر عدداً عظيماً من الخيل يستخدمها في قضاء حاجاته او يبيعها من ملوك الحبشيين وغيرهم .

وكانوا يعتقدون ان الآله اوز يريس هو الذي علمهم صنع ادوات الحرث وتجهيز التربة وغرس الكرمة والاشجار المثمرة وحصد الذرة والشعير. وانت امرأته ايزيسا علمتهم الطحن والخبز والنسج وكانوا قبل ذلك نصف وحشيين يأكلون لحم الانسان و يقتاتون من ثمار الارض فالآله اوز يريس هو رب الماعول والمحراث عندم .

والمصريون الاقدمون من أقدر الشعوب على معالجة الارض العطشة بالاسفقاء والارض المستنقع بصرف النقع عنها . ولم حنكة في صنع الاسداد والحواجز لان ارضهم قحلة لا تثبت ولا تكون مغلا لا اذا رويت بجاء النيل .

وكان القسائون باعمال الحرث والزرع العبيد والحير والبقر ثم الخيل بعد حين . فالعبيد كانوا كثاراً رجالاً ونساء وجلهم أمري يساعون مع الارض و يشرون ولم حصه من المحاصيل كأنهم شركاء بالمزارعة ولكن مقسورون على العمل في الارض . ومن الغريب ان المصري بين الاقدمين كانوا يكرهون الحر و يضطهدونها . يعتقدون ان الشر متجسم فيها مع انها من ارفع الحيوانات الدواجن . اما الابقار فكانت مقدسة فلا تذبح ولا تؤكل واكن احتسبوا غيظاً من اليونانيين عقب استيلائهم على مصر اذ شرعوا بذبحون الابقار و يعتقدون من لحومها . وقد كف المصريون عندها عن استعمال السكاكين خشية ان يكون اليونانيون عاجلوا بها ذبح البقر .

ومحار يشتم ومناجلهم شبيهة بامثالها اليوم . وكانوا يحصدون بالمنجل السبل وحده دون سوق الزرع لا سيما اذا كان الزرع متأصراً او مستأسدا . ويدرسون الحصائد دوماً بارجل البقر الا الذرة فانهم كانوا ينزعون حبها بآلة لها أسنان كالمشط . وقيل انهم عرفوا النورج واستعملوه اكنه لم يعثر على رسوم قديمة ثم عنه . ومما لا ريب فيه انهم عرفوا الخميرة واستعملوها منذ أقدم ايامهم .

ومساكن الفلاحين الاولى بيوت صغيرة من قصب . ثم بنوا بالخشب فبالطين والاجر . ولا شبابيك لبيوتهم غالباً وان فتحوا شبابيك فبالسقف لجريان الهواء . وكانوا يبنون البيوت قريبة بعضها من بعض فتكون منها قرى مقسمة الى حارات . وتقدر بناؤهم بيوتاً منعزلة .

اما من حيث الضرائب فكانت تجبي غلة . وجاء في التوراة ما يستنتج منه ان

يوسف أوجد ديواناً للتموين وآخر للمساحة والإحصاء وأنه جبي الغلات ووضعها لا سيما الخنطة في مخازن عظيمة ثم فرقها في فقراء المصريين في سني المجاعة . وفي آخر سني الجذب جبي يوسف من المصريين خمس غلاتهم حتي كأن مصر صارت كلها ملكاً للدولة . وهو أول من أوجد مفتشين للزراعة وليت المال مع كل ما يتعلق به من نظار وجباة وكتاب وذلك لمعرفة مساحة المستغلات وجباة حصة الحكومة من المحاصيل على وجه الضبط .

و يفيد قبل انتهاء هذه الخلاصة في زراعة المصريين الأقدمين ان اذ ذكر اقوال بعض العلماء فيما كان يعرفه هذا الشعب العربي في المدنية من العلوم والمعارف . قال هيرودوتس ان الآلهة والعبادة والشرائع والعلوم والصناعات والنعاليم الاجتماعية كلها ولدت على شاطئ النيل . وجاء في الأساطير ان النبي موسى درس علومه في مصر وان ابراهيم هبط مصر لدرس مدنيتهما . وقال رنجلمان ان مصر مهد العلوم والفنون وأنه يعزى اختراع الحساب والهندسة الى المصريين . ويظن اصحقي نيوتن (Newton) ان الآلهة نوت وزير سيزه ستريس هو الذي اوجد الهندسة لمعرفة حدود الارض وافسامها كما عادت المياه الى مجاريها بعد فيضان النيل . وعلى ذكر ذلك اقول انه لا يزال اقباط اليوم على درجة عجيبة في معرفة مساحة الارضين بالقصبة وأجزائها دون استعمال اداة هندسية . هما تكن الارض مندرجة . وذكر اقليدس وغيره من علماء يونان غير مرة ان مصر مهد الهندسة . وقال ارسطوطاليس في فلسفته (ما وراء الطبيعة) « ان الرياضيات نشأت في مصر لان كميتهم كانوا في معزل عن شواغل الحياة اليومية فأمكنهم الانقطاع الى الدرس » . الزراعة في العراق . — قلت ان مدينة سني الفراتين اقدم عهداً من مدينة مصر لكن ما استبان منها في عهد كلدية وعيل واشور لا يمتد الى ابعد من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، فكلما اذن يختص بزراعة أقوام العراق منذ ذلك العهد الى استيلاء الفرس سنة ٥٣٩ قبل الميلاد . قلت ان سكان العراق الأصليين تزحوا اليها من جنوبي جزيرة العرب وكانوا يتكلمون لغة قريبة من الآرامية والفنيقية . وقد وجد سيفي عيلم آثار ترجع الى ما قبل التاريخ اي الى عصري الحجر النحاس .

وكان الكلدانيون يعتقدون بوجود غول أو آله اسمه غرود ار او انس (Oanès)

شبيهة بآله المهر بين اوزيريس ، منه يستمدون العلوم والآداب والصناعات والهندسة والزرع والحصاد وتشييد الأبنية والمعابد . اما الفلاحة فلها آله خاص اسمه نينيب (Ninib) . ويعتقدون بان البشر ما كانوا يعملون بما يوحيه نمرود اليهم ولذا انتقلت الآلهة فأوجدوا الطوفان . وقد نشر مستر سميت (Smith) صفاً وجد في نينوى وردت فيها قصة الطوفان وفلك نوح .

وكان سكان كلدية وعيلم وآشور يعرفون كثيراً من النباتات التي تزرع ، ويرى كثير من علماء النبات ان آسيا الغربية وخصوصاً الشام والعراق وفارس تعد المهد الاصلي لعدد عظيم من ام النباتات واعظمها فائدة للانسان كالحنطة والشعير وغيرهما ولقد نشرت منذ سنتين مقالاً في هذا الصدد ذكرت فيه انه عثر على الحنطة البرية جنوبي الشام منذ عهد قريب وانني التقطت منها كثيراً من السنبال . ومما كان يزرع في العراق الفول والعدس والحمص والحلبة والجلبان والخشخاش والكتان والسمسم والخروع والقرطم والفوة والخس والمندبا والاسباناخ والرجلة وقرة العين والجزر والبصل والثوم والباذنجان والباامياء والبطيخ . وفي آثارهم رسوم شبيهة بالآداب والسنط والسرور والطرفاء . واشتهر من الاشجار والتجويرات المثمرة الخوخ والشمش والسكرز والاوز والنفاح والرمان والتين والكمثرى والزيتون والكباد والفستق والتخيل . قال توفزاستس انهم كانوا يفرسون الكباد ويسمونه نفاح ميديا او نفاح فارس . وقال استرابون « يسد التخيل كل حاجات الأهلين لانه يصنع منه نوع من الخبز وتبيذ وخل وعسل ورب ومائة نوع من الانسجة » هذا وكل جزء من التخيل له فائدة فقد ذكرت في كتاب (الاشجار والانجم المثمرة) انهم يصنعون حصراً وسلاطاً من ورققات الخوص وأمسرة من الجريد ومكانس من مدقوق قواعد الجريد وحبالاً من الليف المحيط بهذه القواعد ثم من أعواد العراجين بعد دقها الخ .

ويعرف سكان كلدية وعيلم بسكونهم ونسكهم عن الشر وحبهم للفلاحة . وهم أوجدوا مدنيهم من أساسها . اما آشوريون فانهم اقتبسوا كل معارفهم عن الكلدانيين الا صنعة الحروب فلم فيها حذق وداء . وكانوا غزاة سفكة لا يرحمون احداً . وكان أقوام العراق في تلك العصور يعدون الارض ملكاً للآلهة ولم يمثام اي

للملك . وهوؤلاء يهبونها لأرباب الوجاهة وأفراد الشعب فيستغلونها أو يبيعونها أو يقسمونها بين وزرائهم . ومنهم من كانوا يستغلون الأرض مباشرة وآخرون بواسطة عبيد مزارعين . وكانت خربة الأرض تجبي غلة فتوضع في أنابيب شيدت في أنحاء البلاد يقوم عليها جيش من عمال بيت المال . وكانوا يخطون بالقلم المسماري علومهم واساطيرهم وما يهمهم حفظه في صفائح من طين تملأ وترسل إلى الخزافين فيشؤونها فتصلب كل الصلابة إذ منها ما مر عليها ٤٠ إلى ٥٠ قرناً وهي لا تزال جلية تسهل قراءة ما كتب عليها . قال المؤرخ مسيرو « وكان لكل أرض صفيحة من خزف دوّنت فيها مساحتها واسم صاحبها واسم أصحاب الأرضين المجاورة لها وما فيها من القنوات والأنهار والبيوت الخ . وكثيراً ما كانوا يضيفون إلى الصفيحة مخططاً يستبين به ما يشكل إدراكه . موضعه . وليس من الصعب بعدما ذكر أن يكون في مستطاع رجال بيت المال في كلدية وضع خربة الأرض على أسس وطيدة » . والكلدانيون من أمهر الأمم القديمة بفتح الأرض . هما تكن موجة فلة . كانوا يرسمون مخططات للزارع والمدن وبلغ من جرأتهم أن حاولوا رسم مخطط للكرة الأرضية أو لما كانوا يعرفون منها . وذاعت شهرة الشرائع التي سنّها حمورابي وهي ترجع إلى نحو ٢٢٠٠ سنة قبل الميلاد . ومن أبحاثها المزارعة والإسقاء ورعي الماشية وقلب المحافل مياقل واستيجار الرجال والحيوانات وأدوات الزراعة وعقاب من يعذبون الرجال والماشية واجور العمال وشراء العبيد وحقوق السادة والعبيد المتقابلة والحقوق التجارية الخ وقد ذكرت كل هذه المواضع العمرانية المهمة بعدل وحكمة . وكانوا يحفظون هذه الشرائع وأمثالها في خزانات مقدسة يتعاهد الكهان أي علماء ذلك الزمان ، ويغلب على الظن أن اليونانيين اقتبسوا منها خلاصة ما تركوه للأعقاب في هذه المواضع .

ومواشي الكلدانيين الأبقار المعروفة والأبقار ذات السنام والخليل والحمير . أما محاربتهم فتشبه بمحاربت المصريين والمحاربت البلدية في هذه الأيام . وكذا آلات الحصاد والدراس .

وأتى ملوك الكلدانيين بأعمال عظيمة في إسقاء الأرض ففتحوا الأنهار وشقوا منها الجداول لتغفل بها في الأرض يمتدة ويسرة . وافتخروا بأعمالهم هذه وأطلقوا

اسمهم على الأنهار كنهر حمر الشير . وبكفي اليوم ان تعاد هذه الأنهار والجداول الى سالف عهدها حتى يصبح العراق من اغنى اقطار العالم . وكانوا يستخدمون الاسرى في حفر مجاري الماء وانشاء السدود والقناطر . وقد لبثت كل القني والمجاري لتعاقد وبنفع بها ايام الخلافات العربية الى ان اجتاحت البلاد جيوش التتو والمغول الوحشية .

الزراعة القديمة في الشام واليمن . — هبط الفنيقيون سواحل الشام الوسطى والشمالية آتين من شرقي جزيرة العرب فأوجدوا في صور وصيدا وبيروت وجبيل وغيرها مدنية ذاع صيتها بما اكتشف العلماء من الآثار في تلك الأماكن الثامية . وكان الفنيقيون من امهر الامم في ركوب البحر والاتجار مع من جاورهم من الأجيال ولم يشتهروا بالحرف والزراع الا في شمالي افريقية كما سيحي . لكنهم زرعوا الأماكن التي حلوا بها ورووا ما امكن إرواؤه منها فكانت سهول صور وصيدا الخصبة الريا بالماء تنتج اصناف الحبوب والثمار . وحلق الفنيقيون غرس الزيتون والكرم وصنع الخمرة حتى ان اليونانيين والرومانيين كانوا يرغبون في انبذتهم . وعثر علماء الآثار في ضواحي صور على آلات زراعية اتم وافوى من الآلات الزراعية التي كانت يعرفها الشعوب المجاورون لهم . وجاء في معلة العلوم الافرنسية « ان اهم الاعمال الزراعية التي اشتهر الفنيقيون بها هو تأليفهم في قرطاجنة كتباً قيمة تبحث في ما انصل بهم من نتائج التجارب الزراعية لانهم كانوا يضعون نصب اعينهم استغلال الارض للحصول على غلات يتجرون بها . واشهر كتبهم كتاب الجنرال ماغون (Magon) الفه في القرن اخلتمس قبل الميلاد ومماه (الاقتصاد الزراعي) وهو ٢٨ جزءاً ولذا سمي ماغون اب الزراعة . «والف هاميلقار (Hamilear) ابن ماغون كتباً زراعية كأبيه . وقد نقل اليونان والرومان هذه الكتب الى لغتهم ورجعوا اليها في ابحاثهم فكانت اهم مقتبس لهم . ولا شك ان الفنيقيين لم يتوصلوا الى ذكر ما دونوه في الزراعة الا بعد ان مارسوا الاعمال الزراعية قروناً عديدة . وكنتهم هذه تدل على علو كمتهم في الفلاحة على ما فيها من ابحاث بعيدة عن الاسلوب اليقيني » .

واذا انتقلنا في بحثنا الى ذكر العبرانيين او الاسرائيليين بعد ان نزحوا من مصر واستوطنوا جنوبي الشام قبل الميلاد بيضعة عشر قرناً نرى انهم كانوا ارباب زراعة

يسرون على ما اقتبسوه من مصر ابان مدينتها الزاهرة . وقد كثر في جنوبي الشام على عهدهم غرس التين والزيتون والموز والرمان والكرمة كما كثرت غلات الحنطة والشعير والقطاني وعدد من البقول . وبالغ بعض المؤلفين من يهودا ومن يتعصبون لم ار ينقلون عنهم فيحملون فلسطين جنات تجري من تحتها الأنهار لاسيما في عهد الملك داود حتى ان احدهم جعل مساحة الارض المكسوة باشجار الناكهة في تلك الايام عشرة ملايين دونم تقريباً وهو رقم لا يقره العقل بعد محاكمة تاريخية فلسفية على أسلوب يقيني . والخليفة التي عليها اكثر المؤرخين هي ان الاسرائيليين مع اشتغالهم في الارض قليلاً لم يوجدوا في الزراعة شيئاً يذكر وكذا في العلوم التي كانت معروفة في تلك العصور .

وسكن الشام اجيال كثيرة غير من ذكرنا منهم المتوغلون في القدم كالعمو واللودانيو، وآخرون اقرب عهداً كالخثيين والاراميين والعموريين وغيرهم وقد انت الدهور على آثارهم فلم يستطع تدوين حال الفلاحة في ايامهم . ومن اقدم الامم التي حلت الشام وشادت فيها الممالك قبل الاسلام اجدادنا العرب . قال رئيسنا العلامة صاحب خطط الشام : « ان العرب في الشام منذ زها ٢٥٠٠ سنة وارصله بعضهم الى نحو ٤٠٠٠ سنة » واشهر دولهم فيها دولة النبط والفسائنة والنوخيين والايطوريين ناهيك عن القبائل العديدة التي كانت تضرب في انحاء البلاد . فالنبطيون في البتراء وان لم يشتهروا بالفلاحة فقد القوا قبل اليونانيين والرومانيين كتاباً زراعياً غاية في الجودة نقله احمد بن علي بن المختار المعروف بابن وحشية وقد صرح علماء الغرب بان هذا الكتاب هو الصلة الوحيدة بين زراعة الممالك الآسيوية القديمة وبين الزراعة الحديثة . وقال العالم الفرنسي رنجلان « ان اول من دون الأعمال الزراعية التي البستها التجارب حلة فن ثابت هم الانباط » . وقال : « ان هذا الكتاب معلمة زراعية ثمينة » . وقد طالعت في خزنة بايزيد في القسطنطينية فأنفسته سراً فبنا لم يكتف فيه ابن وحشية بذكر ما يمتنونه الاصل بل اضاف اليه كثيراً من الأبحاث الزراعية في ايامه . وام انجائه استنباط المياه وهندسها وحفر الآبار واطلاع الماء من عمق قريب واختلاف طباع المياه واصلاح الضياع وتغييرات

الأهوية ودلائل مجيئ المطر والأوقات المرافقة لفسروب الأعمال والأراضي المحتاجة إلى الإصلاح وغرس الزيتون وبعض الأشجار المثمرة وزرع الحبوب من حنطة وشعير وغيرهما وزرع كثير من البقول ومن النباتات الزيتية والليفية كالجزر والبصل والكراث والسمن والكتان والنخشاخ وزرع عدد من نباتات الأزهار والرياحين وأشجار الزينة كالبنفسج والسوسن والنيلوفر والزرجس والأشجوان والياسمين والنسرين والآذريون والبهار والخزام والدردار والآزادرخت .

ان من محبوب منكم ايها السادة مناطق الشام الشمالية الشرقية لا سيما ارباض سلمية والحراء ومنيج يشاهد في تجواله قنوات عديدة تنساب مياهها مع انحدار الارض حتى تبلغ سطوحها فتسقي ما اطمان منها، ويرى ان كثيراً من الفتي لا يزال مدثوراً يلزم كربته وارجاءه الى سالف عهده فهذه الفتي القديمة يعزي بعضهم فتحها الى الفرس على اثر اقتناحهم الشام . ولا ريب ان للرومانين ثم لأجدادنا العرب بدأ سي في تزييد عددها لان انحاء سلمية كانت بساتين وغياضاً زاهرة في عهد الممالك العربية .

وما يلفت النظر جنوبي حمص بحيرة قطينة او بحيرة قدس والسد الذي قام في وجه العاصي لتحويل قسم من مياهه الى المدينة وبساتينها . فقد ذكر الأب لويس شيخو في مجلة الشرق انه ورد في تلودي اورشليم وبابل ان الامبراطور ديوكلسيان (٢٨٤ — ٣٠٥ م) هو الذي سى بحجر البحيرة واقامة السد . لكنه يرجح ان البحيرة اقدم منه عهداً . وجاء سي في تقويم البلدان ان سد بحيرة قدس هو من عهد الاسكندر الا انه لم يقم صاحبه دليلاً على ذلك . وللا مير جعفر الحسني مدير متحفنا رأي وجيه في هذا الصدد وهو انه اذا كانت العلماء لم يستقر رأيهم على نسبة السد الى الرومانين او اليونانيين مع ما يكون في آثار هذين الشعبين من الخصائص التي لا تدع مجالاً للشك في نسبة آثارهما اليها ، فلعل هذا السد من صنع الحثين لا سيما وحمص كانت بيئة حثية محضة .

هذا في الشام . ولننظر الى قطر عربي عريق في عرويته بعيد عن الشام كل البعد وهو القطر البجائي حيث كان العرب الأقدمون يعتمدون بشؤون الزراعة فلقد ذكر بلينيوس ان المعينين يقيمون في بلاد كثيرة الغاب والأغراس . وقال استرابون ان

أخصب بلاد العرب هي بلاد سبأ وقال أن من محاصيلها المر والبخور والقرنفل والبلسم وسائر العطريات فضلاً عن النخيل والغاب . وقال الحمداي أن في وادي ظهر سبأ اليمن نحو عشرين نوعاً من الأعتاب وفيه من أصناف الأجاص الفارسي والحميري والتين والكثير ما لا مثيل له في الأرض . وقال جرجي زيدان « أن من محبوب بلاد العرب حتى يأتي حيث كانت مدائن معين وسبأ وحمير وغيرها من الدول القديمة لا يرى اليوم إلا رمالاً محرقة وجبالاً جرداء والحقيقة أن تلك البلاد كانت على عهد ذلك التمدد بساتين وغياباً فيها الأغراس من الأشجار وفيها الرياحين والحنطة والازمار » .

و يوجد نقوش كثيرة في الحجر تدل على اشتغال عمالة اليمن بحرث الأرض وآثار اسداد ضخمة شادوها لجمع الأمطار ومعالجة الأرض بالاسقاء . واضخم هذه الاسداد سد العریم اوسد مأرب الشهير ويأيه اسداد قصعان وربوان وشحران وعباد وغيرها .

الزراعة في عهد العرب بعد الاسلام . — العدل والأمن هما أساس الملك ودعامة العمران فيها استطاع اجدادنا العرب ان يذوقوا الممالك القديمة و يؤسسوا فيها مدنية عربية اسلامية سطمت انوارها يوم كان العالم سادراً في حلك الجهل وغياب المحجة ولئن عجبتم فاعجبوا لشعب بدوي جاهل ينزو بممالك عريقة في الملك فما هي الا رمشة عين في حياة الأمم واذا بهذا الشعب يحترم اديان المغلوبين وعاداتهم و يؤمن الخائف و ينصر المظلوم على الظالم و يتر الناس على اموالهم و زرعهم وماشيئهم و يسوس الجميع بعدل و حكمة و حنكة و يترجم و يؤلف و يتعلم و يعلم و يسبق من كانوا قبله و من عاشوا معه . حقاً ان الانسان اذا عمل الفكر في هذا الشعب العربي اكبره .

وسمع العرب علومهم الأصلية في عهد الأمويين والعباسيين ونقلوا الى العربية علوم اليونان والفرس والهنود والكلدان والسر يان والنبط واوجدوا مدنية شهد لهم اعداؤهم بمظاهرها فما ذا كان حظ الزراعة من ذلك ؟ هنا ما توخيت ان أوجزه في هذه العجالة . ان اول ما بهم معرفته حالة الأرض وطرق تملكها وما وضع العرب عليها من الضرائب وما سنوه من الشرائع الزراعية .

كان المجاهدون العرب في اول الفتوح الاسلامية يودون لوجعلوا الارضين التي تقع بايديهم غنيمة تقسم بينهم كسائر الغنائم لكن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حرم على المسلمين كما قال المتمرزي اقتناء الضياع والمزارع واجرى عليهم الرواتب والأرزاق من بيت المال ولم يستثن عيالهم وعبيدهم ومواليهم . وذكر ابن عساکر ان اهل الذمة اذا اسلم احد منهم صارت داره ولمكان يملكه من الارض الى اصحابه من اهل القرية وهم يؤدون خراجها . ومن السهل ادراك الغرض من هذه السياسة القويمة التي سار عليها الخلفاء الراشدون فلقد كان عدد المسلمين قليلاً وكانت البلاد التي دخلت في حوزتهم مترامية الاطراف وكانوا الزموا انفسهم فريضة الجهاد . ولهذا كانت من الواجب ألا تاهيهم الارض عن القتال في سبيل الغاية المحموده التي انتدبوا لها وفضلوا الأقوام بها . أفلسنا نرى اليوم كثيراً من الحكومات الاوربية تمنع زواج الضباط الى حد محدود وتكف عن ارسال الجنود والضباط الى المستعمرات الا بارادتهم خوفاً من ان يلهيهم الحنين الى ارضهم ومساكنهم واولادهم عن القيام بما تستلزمه الجندية من الكد والتعب ومواجهة الاخطار . وثمة غرض ثان حمل الخلفاء الراشدين على اتباع السياسة المذكورة وهو كما قال ابن عساکر ان يبقى اهل الذمة وارضهم مصدرراً للمال الذي يحتاج اليه المسلمون في اتمام الجهاد دون ان يستأثر بخراجها بعض المسلمين دون بعض اذا تملك بعضهم الارض . فيتضح مما ذكر ان العرب في صدر الاسلام لم يمنعوها عن الزراعة واقتناء المزارع احتقاراً للآكارين ومهنتهم كما ذكر بعض الشعوبيين ومتعصبى الفرنجة بل كان لا يمتهم في ذلك غرض اسمي . ولئن امتنع العرب انفسهم عن الاشتغال بالزراعة في اول عهد الاسلام فلقد كانوا عليمين بان هذه الصناعة هي ركن ثروة البلاد ومصدر الغنى لبيت المال ولذلك عطفوا على الفلاحين وابقوا دراوين الخراج اي ضريبة الارض على ما كانت عليه ايام الروم والفرس وكانوا ارفق بمقدمهم في جباية الخراج وعدلوا فيه على مقتضى الأحوال في مختلف البلاد التي دانت لهم وخضعت لسلطانهم . وسواء أكان الخراج بالمقاسمة ام بالمساحة « اي بنسبة الغلات او ضريبة مقطوعة على المساحة » فما كانت يزيد على عشر المحاصيل مطلقاً على حين نصت شرائع الدولة التركية على استيفاء ثمن المحاصيل عدا ضريبة الارض . وكان

غير المسلمين ملزمين بالجزية وهي ضريبة لم يحدثها العرب بل كانت الأُمم القديمة تعرفها من اغريق ورومان وفرس وهي توضع لقاء حماية اهل الذمة من التعدي عليهم والتصدي لهم لانهم ما كانوا ملزمين بالقتال للذب عن حياضهم . فالجزية إذن شبيهة بما يسمى « بدل العسكرية » ايام الترك اي الضريبة التي كان يجمعها الترك من المسلمين وغير المسلمين للخلاص من الجندية . ولم يضع العرب الجزية على النساء والصبيان والرهبان واهل المعاهد . وكانت مقدارها مختلفاً باختلاف درجات الناس وقلماً كانت ثقيلة الرطئة الا في حالات خاصة كانت تمس الحاجة الى المال لقتال عدو او لاغراض أخرى ذات بال .

ولم يدم اعتماد العرب عن التصرف بالارض طويلاً فان معاوية ايام كان عاملاً على الشام رأى ان جانباً كبيراً من القرى كان ملكاً لحكام الروم وقوادهم فلما قتل بعضهم وفر بعض لبثت تلك القرى بلا صاحب فكتب معاوية الى عثمان ان ما جراه عليه من الرزق لا يقوم بمؤنة رسل الروم ووفودهم ورسول امراء الجند وغيرهم وسأله ان يقطع تلك الضياع والمزارع لانها لا صاحب لها فاجابه عثمان الى طلبه : وهكذا أخذ العرب يقتنون الضياع إما باقتطاع ماليس لها مالك او بشراء التي أقرت لاصحابها من اهل الذمة . والارض التي كانوا يقطعونها هي الارض الموات والتي تسميها اليوم محولة او خالية اي التي فر اصحابها او قتلوا او كانت مستنقمة او معطلة مدة طويلة لسبب من الاسباب . وظلت ملكية الارض للامام والناس يستغلونها اي لم حق التصرف بها . ولبثت هذه القاعدة في انحاء بلاد العرب الى اليوم الا في مصر حيث أصبحت الارض ملكاً صرفاً للمصريين من ايام الخديوي سعيد باشا وهذه هي الحال في بلاد اوربا في ايامنا هذه . وبعد ان اقتطع المسلمون الارض وابتاعوها أخذوا يدفعون العشر عنها اي عشر غلاتها كما في الخراج . وما عثم العرب عثب اقتنائهم المزارع واشتغالهم بالارض حتى تغلبوا على عناصر المزارعين الا اكره الاصلين كما تغلبت اللغة العربية على لغتهم كاليونانية والسرانية والارامية والفارسية والقبطية وهكذا عثمت العربية البلاد التي بعينها امرها وانقرضت لغاتها القديمة وصارت هذه البلاد تعد بلاداً عربية محضة .

وما بلغت النظر ما في الشرع الاسلامي من القواعد الاقتصادية القويمة فضريبة

المستغلات مثلاً هي عشر المحصول من ثمار او حبوب اذا كانت الارض تسقى سيجياً اي من المطر والأنهر بلا تعب . اما اذا كانت تسقى بتعب فالضريبة نصف العشر . وما يدهش ايضاً ان هذه الضريبة (وكانت هي الصدقة او الزكاة باديء بدء) ما كانت تؤخذ الا اذا زاد المحصول ^{على} كذا من الغلة اي ^{على} المقدار الضروري لقوت الأكار وعياله اما الشرائع التي أبقاها الترك لنا فهي تلزم الفلاح بدفع ثمن المحاصيل عامة سواء كانت سنه سنة خصب او محل . أفليس يعلم كل منا ان قرية كذا أحلت في سنة كذا حتى ان زراعتها لم يحصلوا على سوى بذارهم ومع ذلك جبت الحكومة التركية حصتها بتمامها من ذلك المحصول الضئيل . ان القاعدة التي ذكرتها كانت تمنع أجدادنا العرب عن مثل ذلك . ومن القواعد الاقتصادية المهمة ايضاً ان الصدقة كانت لتضاعف أحياناً بنسبة ثروة الانسان . وهذه القاعدة بسير عاينها اليوم كثير من الحكومات الاوربية في استيفاء الضرائب فالذي يكون صاحب ثلاثمائة دينار مثلاً يدفع دينارين عن المائة الاولى وثلاثة دنانير عن المائة الثانية واربعة دنانير عن المائة الثالثة وهكذا تزداد نسبة الضريبة بنسبة ازدياد ثروة المرء وتقل بقايتها . ولم تفرض الصدقة على الخيل والحمر والبغال لما لها من الفائدة . وكانوا اذا وضعوا العشر او الخراج بالمساحة ينظرون الى بعد الشقة بين الارض والمدن فكان الضريبة تدفع في الارض التي أنتجت المحصول وذلك عدل .

وجاء في الشرع الاسلامي قواعد في استغلال الارض وعمارتها غاية في الحكمة مثل شروط المساقاة والمزارعة وكري الانهار والجاري واصلاحها وحريم الآبار والقني والانهر وإحياء الارض الموات وإباحة الانهار العامة والبحار والبحيرات . والأشجار والأشجار التي تنبت الطيبة والآبار التي لم تختر بسمي الناس الى غير ذلك مما يدل على بعد نظر في عمارة الارض واستغلالها وعلى براعة في سياسة الشعوب لا ينكرها الاكل جهول او صاحب تعصب ذميم .

يستنتج مما ذكرت أولاً ان العرب في صدر الاسلام أقروا سكان البلاد التي فتحوها على ارضهم ولم يقتطعوا لانفسهم سوى الارض الموات والتي لا صاحب لها . ثانياً انهم وضعوا على الارض ضريبة معتدلة مناسبة مع غلاتها فلما أربت على عشر هذه الغلات . وقد

كانت تبلغ نصف العشر أحياناً . وإن زادت على العشر في بعض الأحيان فما كانت وطأتها شديدة لاستيجار العمران ورخاء العيش . ثالثاً أنهم وضعوا شرائع زراعية وضع فيها حق كل اكارا و ربا راض وامتنع بها تعدي بعض الناس على بعض . فلا عجب بعد هذا ان ينشط الاهلون الى استغلال الارض وعمارة المزارع والقرى وان يبلغ ارتفاع الخراج في الأقطار التي خففت في ربوعها رايات الدول العربية أضعافه في يومنا هذا مع رخاء العمر في تلك الايام . وقد أسهب مؤرخو العرب في ذكر ما كان يجري في مختلف الأقاليم أيام الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين في المشرق والمغرب مما لا يمكن ذكره في هذا البحث الموجز . بل يكفي ان أقول ما جاء في تاريخ الثمذني الاسلامي وهو ان ما كان يرد الى بيت المال في عهد المأمون بقدر نحو ٣٦٠ مليون درهم وكان ينفق منها في مصالح الدولة نحو ٦٠ مليون درهم فيبقى ٣٠٠ مليون درهم أي عشرة ملايين جنيه تقريباً . واذا قلنا عشرة ملايين جنيه في تلك الايام فكأننا قلنا خمسين مليون جنيه في أيامنا هذه . فأني دولة من دول العالم اليوم يفيض في خزائنها هذا المال العظيم . ثم يجب ان يلحظ ان معظم واردات بيت المال كان مصدرها الخراج أي ضريبة محاصيل الارض وفي ذلك أجلى دليل على ما كان لازراعة من الشأن في هاتيك الايام الزاهرة . ولما كان الملك والمدنية وكل شيء لا يقوم الا بالمال حقاً لما ان تقول ان الزراعة ومشروعات الارض هي أكبر عامل في تكوين المدنية العربية الاسلامية بكل مظاهرها . فهي التي جعلت الخلفاء يبنون المدن كبغداد والبصرة والكوفة والقاهرة والرقّة ويشيدون القصور والجوامع والمدارس والتكايا وينفقون عن سعة على العلماء والادباء والشعراء والمترجمين ويوصعون على العمال والجنود والشرط لصيانة الملك وإقامة العدل بين الناس .

وكان لا ريب في الرعاية والمال عناية باصلاح الري . بدلنا على ذلك مثال ذكره قدامة بن جعفر وهو انه انبثقت بشرق في دجلة أيام الحجاج فلم يثنه اشتغاله في الحروب عن ان يكتب الى الوليد بن عبد الملك يخبرها وبأنها تستلزم اتفاق ثلاثة ملايين درهم فلما استكثرها قال له اخوه مسلمة بن غنيم الملك « انا أتفق على سدها من مالي على ان تعطيني خراج الأرضين المنخفضة التي بقي فيها الماء بعد اتفاق المال على ايدي ثقاتك

فرضي الوليد بذلك فحصل له ارضون وطاسيج كثيرة فحفر نهرين سماهما السيبين وتألف الأكرة والمزارعين وعمر تلك الأرضين . وجرى الناس على ذلك الى أواخر بني أمية .
 وكان العباسيون أكثر اهتماماً من الأمويين في شؤون الفلاحة وتعمير القرى والدساكر لاسيما في السواد اي بين دجلة والفرات حيث كان مقر ملكهم فلقد احترفوا الأنهر والمجاري وأقاموا الأسداد وأنشأوا الجسور حتى أصبح ما بين النهرين على انساعه شبيهاً بالقوطين من حيث اشباك الأنهار ومجاري الايسفاء . ولدينا مثال أقرب في قنوات سلمية وأطرافها فان التاريخ يثبتنا بان أرباض سلمية بين حمص وحماة كانت ايام الدول العربية رياضاً غناء تقي بقني عديدة لم تدع للاغذاء أثراً . وقد ردمت هذه القنوات كما انبثقت أسداد دجلة والفرات ودمت أنهارهما ومجاريهما بعد ان ضعف شأن الخلافة العربية وانهاك عليها من المشرق برابرته . وكانت خلاصة تقرير السير ويلكوكس المهندس المالي الشهير الذي كانت الحكومة التركية انشدته لدرس الري في العراق (وقد ترجمته بالعربية) عبارة عن إعادة فتح الأنهار والمجاري وإقامة الأسداد التي كانت ايام الرشيد والأمويين .

وكان سكان الشام والعراق أضعاف سكانها اليوم كما ان سكان مصر كانوا يقدرون بنحو ٢٠ مليوناً . وهذا لا يستغرب . أفلم يكن سكان مصر ثلاثة ملايين منذ اقل من قرن فاذا بهم اليوم نحو ستة عشر مليوناً بعد ان عدل محمد علي وذريته بين الناس وبعد ان أنشأت القناطر الخيرية وسد أصوان وفتحت مجاري الري واكتشف ان القطن الجيد الشعر بألف تربة مصر وإقليمها .

والأشجار والزررع التي كان يزرعها العرب عدد عظيم بل هي كل ما تعرفه في ايامنا هذه الا ما نقل حديثاً من العالم الجديد اي اميركة الى العالم القديم مثل التبغ والبطاطا والفواولياء وغيرها او نقل اليها من البلاد البعيدة التي استمرها الاوربيون كالقشطة والبنجر والشمس الهندي وأضرابها . وكانت لم حذق بالتجارب الزراعية واصطفاء الاصناف النباتية الجيدة وتكثيرها ولا أنواع الشمس والتين وخلافها من الفواكه اصناف تعد بالعشرات . ومن البديهي انه لا يقتني أصنافاً عدة كهذه الا الذين يعرفون مزايها كل منها ويعرفون كيف الحصول عليها .

وللعرب فضل في نقل كثير من النباتات المفيدة الى اوربا وتعريف الفرنجة بها . ذكر مؤلفو الافرنج العرب هم الذين نقلوا القطن الى الاندلس وصقلية فاقتبس الاوربيون زراعته عنهم . وقالوا ان اول من بحث في القطن فأسهب في زرعه ودوّن ما كان يعرفه فيه المصنفون المصريون والفرس القدماء هو ابو زكريا يحيى بن محمد بن العوام الاشبيلي في كتابه الشهير « الفلاحة الانداسية » واقتبس العرب من الصينيين زرع قصب السكر واستخراج السكر منه فنقلوهما الى مصر وصقلية والاندلس وهناك تناولهما الاوربيون ولا سيما البرتغاليون ثم نفشت زراعة هذا النبات في اميركة بعد اكتشافها وخصوصاً في كوبه والمكسيك . وذكر اكبر علماء النبات ان العرب هم الذين يرجع الفضل اليهم في نقل معظم أشجار الفصيلة البرتقالية من شرق آسيا ونشرها حول بحر الروم . فالأترج مثلاً مهده الاصلي في الهند وقد نقله العرب منها في القرن الثالث من الهجرة وأذاعوه في البلاد التي امتد سلطانهم عليها . ومهد الليمون الحامض هو في الهند ايضاً وقد نقله العرب الى العراق والشام والمغرب والاندلس فوجده الصليبيون متأصلاً في الشام فنقلوه الى ايطاليا وغيرها . وهكذا يقال في البرتقال والليمون الحلو الاالكباد فالليونانيون كانوا يعرفونه . اما المنذر بن (يوسف افندي) فحديث وكذا الليمون الهندي او الفراسكين . واخذ الفرنج عن العرب زرع البطيخ والشمش والخوخ كما نقلوا من مصر والشام الى بلاد الفرنجة عدداً كبيراً من العقاقير الطبية والأبازير والافاربه التي منابتها الهند وغيرها من البلاد الحارة .

وترجم العرب عن اليونانية والنبطية كتباً كثيرة في النبات والحيوان والماشية والزراعة . وأشهر الكتب الزراعية التي ترجمت بالعربية كتاب الفلاحة النبطية الذي تقدم ذكره . وثم كتاب لا يأس به وهو كتاب الفلاحة الرومية لقسطا بن لوقا البعلبي وأشهر كتاب هو الذي ألفه ابن العوام في القرن السادس من الهجرة وسماه (كتاب الفلاحة الانداسية) . قال العالم الفرنسي رنجلان « كاتب ابن العوام يسكن اشبيلية وكان يجرب تجارب عديدة على جبل الأثرف وليس كتابه معرض فصاحة وبلاغة بل هو مجموعة أجمل الأبحاث والقواعد الزراعية التي كتب فيها الأنباط واليونانيون والرومانيون عدا ما كانت يتبع في الاندلس » . وقال العالم الزراعي انطوان باسي

(Antoine passy) في تقرير قدمه الى الجمعية الوطنية الزراعية الفرنسية سنة ١٨٥٩ « ان ما لكتاب ابن العوام من عظيم الشأن لا يقتصر على كونه حاوياً للفنون الزراعية القديمة مع التي تتبع في الاندلس بل لهذا السفر قيمة ثانية وهو انه كشف القباب عن انه كان للعرب نظرات في الطبيعة والكيمياء لم تكن نرقب وجودها . وهو سفر مملوء بالفوائد بطل بنا سيفه شكل موجز على ما كانت عليه زراعة الامم القديمة ثم ما بلغته بعدها في الاندلس وفي جميع البلاد الاسلامية ابان الفتح الزاهر . وفي الاختصار ان هذه الدائرة الزراعية التي خص بها القرن الثاني عشر من الميلاد هي كاملة » .

يستخلص مما ذكرته عن الزراعة في عهد العرب بعد الاسلام انه حق لأجدادنا الفخر لا حنفاؤهم بكثير من علوم الأقدمين الزراعية و باضافتهم تجاربهم ومخترعاتهم اليها مما لا يخلو من فوائد عملية ومن حقائق علمية نقرأها عقولنا اليوم . فكما قبض التاريخ هذه الامة الكريمة للاحتفاظ بعلوم اليونان والرومان والفرس والهنود والأباط في الفلسفة والطب والملك والريابانيات وغيرها وذلك في القرون الوسطى يوم لم يكن غيرهم في عالم المدنية فلقد جعلهم ايضاً حفظة العلوم الزراعية بفروعها . وهذه الحقيقة التي لم يكتب فيها احد الى الآن على ما أعلم يجب ان ترمخ في أذهاننا حتى اذا جاء ذكر العرب اiban مدينتهم الزاهرة نقول ببلد فمنا انهم عرفوا ان يحفظوا ويوسعوا كل العلوم المفيدة التي كانت للعالم المتقدم من قبائهم بلا استثناء .

مصطفى الشهابي

عضو المجمع العلمي العربي

قانون البلاغة

- ٣ -

ومن هذا الجنس كتاب الحجاج الى المهلب يستزيده في قتال الأزارقة : فان انت فعلت ذلك ، والا شرعت عليك الرمح . فقال المهلب في الجواب : ان شرعت الي الرمح ، قلبت عليك ظهر المجن . فهذا المذهب الذي هو التمثيل معاكس لمذهب الإرداف ، اذ كان في ذلك قوة الأوسهاب والبسط . وفي هذا قوة الإيجاز والجمع ، وهو ايضا مستعمل في العبارة الشعرية . وقد ذكرنا وجه استعماله في الشعر في الكتاب الذي أفردناه في البلاغة الشعرية .

ومن عيوب اشتراك اللفظ ، والمعنى ، (الإخلال) ، وهو ان يخل من اللفظ بما فيه استيفاء المعنى وتمام المقصد به ، مثل ما كتب كاتب فقال : فان المعروف اذا زجا^(١) كان أفضل منه اذا توفر وابطا . فأرى ان هذا الكاتب انما أراد ان يقول له : فان المعروف اذا قل وزجا ، كانت أفضل منه اذا كثر وابطا ، فترك ما به يتم المعنى ، وهو ذكر القلة .

ومن عيوب هذا الجنس الإخلال بالافادة ، وهو ان يوثى في الكلام بزيادة لفظ يفسد المعنى ، كما لو قال قائل مثلاً : فان الامر والنهي ، لو ذقتها ، طيبان . فقوله لو ذقتها زيادة تفسد المعنى ، وذلك انه لو لم يذقها لم يكونا طيبين ، وليس الطيب والكريم انما يكونان كذلك بذوق الذائق لما بل هما على هذه الحال بانفسها .

ومن عيوب اشتراك اللفظ^(٢) ان تقدم الفاظاً تقتضي جواباً يأتي بعدها باعادة ما تقدم منها ، فلا يوثى بالالفاظ باعيانها ، بل ينقل المعنى الذي تدل عليه الالفاظ الى الالفاظ آخر غيرها ، مثل ما كتب بعضهم : فان من اقترف ذنباً عامداً ، واكتسب جرماً فاصداً ، لزمه ماجناء ، وحاق به ما توخاه . فنقل لفظي الاعتراف والاكتساب ، الى لفظي الجنابة والتوخي . وكان الأحسن ان يأتي بها باعيانها فيقول : لزمه

(١) زجا الامر تبسر واستقام . ولعله (وحى) بمعنى امرع ليقع في مقابلة (ابطا)

(٢) اسم هذا العيب ساقط من الاصل .

ما اقترفه ، وحق به ما اكتسبه ، اذ كان ذلك هو الذي يختاره البلاء .

ومن عيوب هذا الجنس ، الهذر والتبعيد ، عند الحاجة الى الایجاز والتقريب ، وهذا هو زيادة الألفاظ على المعاني من غير سبب يدعو اليها ، او حاجة تبعث عليها ، والمثالات في ذلك موجودة كثيرة من كلام العامة والدخلاء في الصنعة .

ان من آلة الكتاب وأداته ان يضيف الى الاحسان في الكتابة ، مثل ذلك في المحاورة والمخاطبة ، حتى تكون ألفاظه مهذبة ، وإشاراته مستعذبة ، والنفوس نحوه اذا نطق منصفته . فمن المحاورة المستحسنة قول الفضل بن الربيع فقد قال له الرشيد : كذبت . قال يا امير المؤمنين : وجه الكذب لا يقابلك ، ولسانه لا يخاطبك ^(١) ، فوصله . وقال : كذبتني فوصلته ، لحسن جوابه . ودخل سعيد بن مرة على معاوية فقال له : انت سعيد بن مرة فقال انا ابن مرة وانت سعيد فوصله لحسن جوابه . وقال السفاح ار المنصور للسيد الباقر أنت السيد . فقال : انا ابن ابي وانت السيد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمره العباس : انت اكبر مني فقال : انا أسن ، وانت اكبر مني . وقال سعيد بن عمرو بن عثمان لطويس الخثث : اينا أسن فقال : بابي انت وامي ، لقد شهدت زفاف امك المباركة الى ابيك الطيب . فلو جعل الطيب وصفاً للام قد هجن بالابن . وعلى حسب ما يستحسن هذا الجنس من الجواب ، يستقيم ما كان خلافه من الخطاب . كما يروى ان رجلاً مرَّ بابي بكر او بعمر ومعه ثوب وقال تبيعه قال : لا عافاك الله فقال قد علمتم لو تعلمون هلا قلت لا وعافاك الله .

ومما جاء من الدلالة على تفضيل البلاغة ما انا ذاكره في هذا الكتاب قال العباس يا رسول الله فيم الجمال ؟ فقال في اللسان . وزعمت الحكماء ان اعلی الخلق مرتبة الملائكة ثم الانس ، وانما صار لهؤلاء الفضل على سائر اصناف الخلق بالعقل والنطق . وقال مسلمة بن عبد الملك مروءتان ظاهرتان الرياش والفصاحة . ودخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر فاحتقره لدماثة كانت فيه . فقال تسمع بالميدي خير من ان تراه . ويقال لا ان تراه . فقال ابيت الا من ان الرجال ، لا تُكَلَّ بالقفزات ،

(١) تروى هذه العبارة لسهل بن هرون بأسلوب آخر .

وليست بمسوك^(١) يستقى فيها . وإنما المراد باصغريه قلبه ولسانه ان صال صال يجنان ،
وان قال قال بلسان . قال الشاعر^(٢) :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه سب في التكلم

وبما جاء في وصف البليغ وترتيب البلاغة ما انا ذا كره : حكى الجاحظ عن بعض
حكماء الهند انه قال : اول البلاغة جماع آله البلاغة . وذلك ان يكون الخطيب
رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم صيد الامة ،
بكلام الامة ، ولا الملوك بكلام السوقة ، ويكون معه من القوة ما يصرف به لفظه في
كل طبقة ، حتى لا يدقق المعنى اذا خاطب أوساط الناس ، ولا يدع ذلك اذا خاطب
حكماً او كاتب فيلسوفاً .

وقال الجاحظ من شروط البليغ ، ان يكون ذا كراً لما عقد عليه اول كلامه ،
ويكون تصفحه لمصادره ، سيفه وزن تصفحه لموارده . قال : وكان خالد بن صفوان
يوصف بانه اذكر الناس لاول كلامه ، وأحفظهم لكل ما سلف من منطقته ، فقال
فيه الشاعر :

علم بتأويل الكلام ملقن	ذكر لما سداه اول اول
يبذ ^(٣) فربيع القوم في كل مجمع	وان كان مبحان الخطيب ودغلا
ترى خطباء الناس عند ارتجاله	كانهم انكروا ن عاين أجدلا

وقال بعض نوّاد الكلام : جماع البلاغة حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ،
وقلة الخرق بما النبس من الماني ، او غمض بما بهد من القول او شرد . وقال بعضهم
في تقدير الكلام وترتيبه : ليكن صدر كلامك دليلاً على حاجتك ، كما ان خير أبيات
الشعر ما اذا سمعت صدره عرفت قافيته . مثال ذلك ان تفرق بين صدر خطبة
النكاح ، وبين صدر خطبة الصلح ، حتى يكون لكل فن من الفنون صدر يدل على
عجزه ، واول يشير الى آخره .

(١) المسك الجلد او خاص بالسحلة جمعه مسوك والمراد بها القرب والروايا .

(٢) وفي هامش الاصل الخزامي . (٣) في الاصل يبذ - يفوق .

وقال أعرابي في دعائه : اللهم اني أعوذ بك من فقر مَكْبَرٍ ، وَضَرَعٍ الى غير محب . وقال بليغ : بقدر السموات في الرفعة ، تكون الوقعة . وقال بعض الخطباء : لا يكن حبك كلفاً ، ولا بغضك تلفاً . وذم أعرابي رجلاً فقال : كان صغير القدر ، قصير الهبر^(١) لثيم النجر ، كثير النخر .

وسمع الحسن بن علي ان نافع بن جبير قال : كان معاوية يسكته الحلم ، وينطقه العلم . فقال : بل يسكته الحصر ، وينطقه البطور . وقال بليغ : من عرف الناس داراهم ، ومن جهلهم ماراهم . وقال علي بن ابي طالب : هل من خلاص ، او مناص ، او فرار ، او تخار^(٢) ، او منجا ، او ملجا ، او معاذ ، او ملاذ . وقال رجل لآخر : أتعرفني فقال : أعرفك كثير السماية ، قليل النكاية . قال المولب للمالك بن دينار : أتعرفني فقال : نعم انت الذي اوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة فذرة ، وهو فيما بينهما يحمل العذرة . فقال : لقد عرفني حق المعرفة . ووصف أعرابي ناقة فقال : هي كالعقرب اذا هوت ، والحية اذا تليت ، تطوي الفلاة وما انطوت . .

وقيل للاحنف : كيف تسود الناس فقال : باخلق السبيح ، والكف عن القبيح . وقيل لبنت الخُس^(٣) : اي الرجال أحب اليك فقالت : القريب الآمال ، الواسع البال ، الذي يوفد عليه ولا ينفد . وقال كاتب : الشكر^(٤) وان قل ، ثم لكل نوال وان جل . وقيل لبعضهم : اي اخوانك أوجب عليك حقاً فقال : الذي يسد خالي ، ويفقر ذلي ، ويقبل علي . وأوصى حكيم رجلاً فقال : سائل العلماء ، وجالس الحكماء ، وخالط العلماء . فان مجالستهم غنية ، وصحبتهم سليمة ، ومواخاتهم كريمة .

وخرج شبيب بن شبة من دار الخلافة ف قيل له : كيف رأيت الناس فقال : رأيت الداخل راجياً ، والخارج راضياً . وقيل لصعصعة بن معوية : هل كانت من مطر قال نعم حتى عفى الاثر ، وأنقر الشجر ، ودهده الحجر . وسأل العجاج رسوله

(١) في الاساس : فلان قصير الشبر مقارب الخلق . (٢) كذا في الاصل فليجرو .

(٣) ابنة الخُس مشهورة في الفصاحة عند العرب وهي من بني إباد جاءت عنها

الامثال تقول اين بنت الخُس ، من فصاحة قس . (٤) في الهامش الشكر عند الكريم .

الراجع من السند اليه عنها فقال : ماؤها وشل ، ولصتها بطل ، وتمرها دقل^(١) ، ان كثر الجيش بها جاعوا ، وان قلوا ضاعوا . ووصف بليغ منطقاً فقال هذا كلام يكتفى بأولاه ، ويشتنى بأخراه . وقال الجارود بن ابي سبرة : سوء الخلق يفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل . وقال بليغ : ليس بكريم من لم تذهب القدرة حفيظته ، والبلوى ضيقته .

ووصف اعرابي حرباً فقال : اولها شكوى ، وادسها نجوى ، وآخرها بلوى . ووصف اعرابي رجلاً فقال : مارأيت أضرب لمثل ، ولا اركب لجل ، ولا اصعد في قل منه . وقال عمر بن عبدالعزيز ، انما هلك من كان قبلكم بمنهم الحق حتى يشتري ، وبسطهم الظلم حتى يفترى . وقال الخدس لبننه أريد شراء فحل للابل . فقالت : ليكن أسيح^(٢) الخدين ، غائر العينين ، ارقب^(٣) اخزم^(٤) اعكر^(٥) اكوم^(٦) ان عشي غشم^(٧) ، وان أطيع تجرثم^(٨) . ولما سئلت عن الفها الغلام قالت : طول السواد^(٩) ، وقرب الوساد .

وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة اشياء لا تنقص ولا تزيد . اللفظ والاشارة والعقدة والخط والنسبة وهي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الاصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات ، وكل واحدة من هذه الخمسة صورة بائنة عن صورة صاحبها ، وحلية مخالفة لحلية أختها ، وهي التي تكشف لك عن اعيان المعاني في الجملة ، وعن حقائقها في التفسير ، وعن أجناسها وأندارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها في السار والفسار ، وعما يكون لغواً بهرجاً ، وصاقطاً مطرحاً .

وانا ذاكر لك بعض الرواية في مدح الكتابة ونعت آلائها ، وما يحتاج الكاتب

-
- (١) أردأ التمر . (٢) الامسحج البعير الرقيق المشفر . (٣) الارقب الغليظ الرقة . (٤) الاخزم المذل ، وفي رواية الاحزم وهو الغليظ موضع الحزام مع شدة . (٥) كثير شحم السنام . (٦) الاكوم المرتفع السنام . (٧) غشم الراعي البعير غشماً هنأً بالهناء اي القطران لا يترك من الهناء شيئاً الا يتهنأ . يصبه على صميحه وسقيمه . (٨) تجرثم اجمع ولعله يعني بذلك استنساخ . (٩) السواد بكسر السين مصدر ساوده اذا ساره .

ان يأخذ نفسه به فيها ، ويستعمله في احكامه وبحوثه ، من العلوم التي بها قوامها ونظامها ، ومنها موادها وعليها اعتمادها . قال احد الحكماء المنطقيين ، وزعماء الخطابة ، وفرسان الكلام : ان الله جعل للكتابة حظاً بارزاً ، ومكاناً ظاهراً ، ومحلاً بادياً ، تدركه الابصار بالروية ، وتراه العيون بالابصار ، ونسأله المشاعر بالاشتغال . يكون عند النسيان مرجعاً ، ولان عدم ثقافة الذكاء مكرراً ، وعند عوارض العلل مآباً . ثم سماه باحسن تسمية ، وحلاه باجل رتبة ، فسماه بالعربية عقلاً ، وجعل ذلك له شرفاً وفضلاً . فذلك تأويل الكتاب عند العلماء ، وتفسيره لدى الحكماء ، الذين يتأملون مخارج التدبير ، وينقدون إصابة التقدير . فتجمل في صدورهم حكمة الخلاق العليم ، ويعلم في اعينهم آثار صنع المقتدر الحكيم . فتأخذ في انقذتهم محبة امره ، ويستولي عليهم رفق معادن حكته ، والشغف بظاهر نوره ، وصمتى من أهله له عاقلاً وبالفارسية دوفير اسبي ذو كتابة^(١) ثم جعله توراً يستضاء به ، ودليلاً يعتمد على هدايته ، وشاهداً يسكن الى عدالته ، وصوتاً يبلغ الآفاق في غير اشتراك من الكل في استثنائه ، يسمع به النائي البعيد محله ، ويستتر عن الداني القريب قرينه ، وسعياً صائباً لغرضه في غير تجرم للتوسطات دونه ، ومصاحباً يدرك به الكتاتيون ما استتر على الابهين ، وهم في الحضور مشتركون ولاحضر منه (?) مشرفون ، وحارساً لحقوق المستحقين ، وديوث الفارمين ، من مقرض اهل ، ومبايع أجل ، ومتاجر آخر . هي مخاطبة غيبية ، ومناجاة خفية ، ومراسلة عقلية ، وأدعية حسية . مع دلالتها على الصانع الحكيم ، الذي جعل بين حظوظ العالمين ، على ابد الأبدين . فروقاً مميزة ، وفصولاً مميّنة . كاختلاف السننهم والوانهم ، واقتراق صورهم وابدانهم . فسبحات من ليس لقدرته شبه ، ولا يدرك لحكمته كنه ، وهو بكل شيء عليم .

ووجدنا هذا العلم الذي هو إناء الحق ووعاؤه ، وخائف الأشياء والبذل منها ، وصور الامور ومثالها ، محصلاً بالحفظ ، محفوظاً بحروساً بالعقل ، مجدداً بالذكور ، مسترجعاً بالتذكر ، مستنبطاً بالنفكر . مقبولا بالفهم ، متماقناً بالذكاء ، مستحضراً

(١) وفي هامش الاصل اي ذو خاطرين ولعل صوابه دودبير اي كاتيان .

بالذهن ، رايًا بالتمهد ، مدركًا بالطلب الذي يدعو اليه الانتياب ، ويحدو عليه
الحرص ، وتنتج العناية . وتأمر به الالباب ، وتثمر السعادة ، ويجمع امره التوفيق .
ووجدناه كثير الآفات عند الاعداء ، مستجمع الاضداد ، حاصر الانداد . فالنسيان
يذهب به ، والشغل يحول دونه . والوآنية تقعده ، والفتور يفنيه ، والرّين يعمي على
رويته . والفدامة^(١) تثبط عن ذكره ، والاضراب يعقّي سبيله ، والامراض تنهك
آلته ، والعمل تخرب محله ، والبطالة تخلّ به . والشيطان يصدّ عنه ، والآثارة بالشر
تعمي الطريق اليه . وملاك الامر فيما تأخذه به نفسك في اراغة المعاني وبساواة
الالفاظ ، ورياضة الطبع في تخير الكلام ، واستعمال التريجة في اختلاف عرر الالفاظ ،
ليتكامل حفظك من الدربة ، ويقوى مضاروك في مذاهب البلاغة . فقد قيل : ان
رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحها رواية الكلام ، وحليها الاعراب ،
وبهاؤها تخير الالفاظ ، والمحنة (كذا) مقرّنة بقلة الاستكراه .

وقد حكى عمرو بن بحر عن ابي الاشعث انه قال : قلت لبيبة الهندي ايام اجتلب
يحيى بن خالد أطباء الهند الى خدمة دار السلطان : ما البلاغة عند الهند ؟ قال ببهلة :
عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ولكن لا أحسن ترجمتها ولم أعالج هذه الصناعة فأثقي
من نفسي بخصائصها ، وتلخيص لطائف معانيها . قال ابو الاشعث : فلقيت بتلك
الصحيفة التراجمة فاذا فيها : اول البلاغة ، اجتماع آلة البلاغة . وذلك ان يكون
الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير الالفاظ ، لا يكلم سيد
الامة بكلام الامة ، ولا الملوك بكلام السوق . ويكون في قوله^(٢) . فضل للتصرف في
كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ، ويصفيها
كل التصفية ، ويهذبها غاية التهذيب . ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيمًا وفيلسوفًا
عليًا . ومن قد تعود حذف فصول الكلام ، واسقاط مشتركات الالفاظ . ومن قد
نظر في صناعة المنطق ، على جهة الصناعة ، لا على جهة الاعتراض والتصنع ، ولا على

(١) الفدامة مصدر قدم الرجل كان قدمًا اي عيبًا عن الكلام في ثقل ورخاوة
وقلة فهم وفطنة . (٢) في كتاب الصناعتين : ويكون في قواه التصرف في كل طبقة .

جهة الاستطراف^(١) والتظر . واعلم ان حق المعنى ان يكون الاسم له طبقاً ، وتلك الحالة له وفقاً . ويكون الاسم لا فاضلاً ولا مقصراً ، ولا مشتركاً ولا مضميناً . ويكون مع ذلك ذا كراً لما عقد عليه اول كلامه ، ويكون تصفحه لمصدره ، وفي وزن تصفحه لموارده ، ويكون لفظه موثقاً^(٢) ، وللقول في تلك المقامات مماوداً .

ومدار الامر على افهام كل قوم بقدر طاقتهم ، والحمل عليهم على اقدار منازلهم ، وان ثوانيد آله ، وتصرف معه آدانه ، ويكون في التهمة لنفسه معتدلاً ، وفي حسن الظن بها مقتصداً . فانه ان تجاوز الحق في فقدان^(٣) حسن الظن ، أودعها تهاون الآمنين^(٤) ، ولكل ذلك مقدار من الشغل ، ولكل شغل مقدار من الوهن ، ولكل وهن مقدار من الجهل ، وقال بعض (بلغاء) الهند : جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة . ثم قال : ومن البصر بالحجة ان يدفع الانصاح بها الى الكناية عنها ، اذا كان الانصاح بها أوعر طريقة . وربما كان الاضراب عنها صغماً ، أبلغ من الدرك ، وأحق بالظفر . وقال مرة : جماع البلاغة التماس حسن الموضع ، والمعرفة بساعات القول ، وقلة الخرق بما التبس من الممانى ، او غمض بما شرد عنك من اللفظ وتعذر .

« للبحث صلة »

— — —

(١) في الصناعتين : الاستطراف والتطرف لما . (٢) في الصناعتين بدلاً من جملة وللقول الخ هذا : ومعناه نيراً واضحاً . (٣) في الصناعتين : مقدار . (٤) في الصناعتين بعد تهاون الآمنين هكذا : وان تجاوز بها مقدار الحق في التهمة ظلماً ولكل . . .

اعضاء المجمع في الغرب

اغناطيوس كراتشوفسكي

« ترجمته بقلمه العربي »

ولدت في ٤ آذار سنة ١٨٨٣ في فيلنا عاصمة ليتوانية القديمة ، وكان والدي رئيساً لمدرسة المعلمين فيها . ولكن لم يمض من عمري سنتان حتى ارتحلت عائلتي الى بلاد ما وراء النهر ، وعين والدي رئيساً لمدرسة المعلمين في تاشكند ، وبعد مدة وجيزة عين ناظراً عاماً للمدارس في آسيا الوسطى . وابتدأت أذكر نفسي طفلاً صغيراً في تاشكند واول لغة تكلمتها لغة أوزبكية لان حاضنتي كانت أوزبكية الاصل . وكانت تأثراتي الاولى في صفري بما وقعت عيني عليه من المساجد والاسواق الشرقية ، وتنوع الامم والطوائف واختلاف الالبسة . وكان لهذه التأثيرات وقع شديد في نفسي ابام طفولتي . واكبر ظني اني غدوت سيالاً الى الشرق وان كنت غير مدرك هذا الميل الغريزي . وفي سنة ١٨٨٨ رجع والدي الى بيلنا وصار مديراً للمكتبة العمومية ، ورئيساً في لجنة البحث عن الآثار التاريخية القديمة ، ولم يزل عاملاً فيها الى ان فاجأته المنية رحمه الله في سنة ١٩٠٣ . وكنت في صفري ضعيف الصحة تتناوبني الامراض ، ولذلك كنت مع أمي الى سنة ١٨٩٣ في ملك صغير كان لنا في ولاية بيلنا ، وفيه كانت خزانة الكتب الكبيرة في أنواع متنوعة في العلم جميعها جدي وابي وقد ضاعت في الحرب العالمية سنة ١٩١٥ مع كل ملك لنا . وكنت أنعم القراءة في هذه الكتب وقرأت كثيراً من المؤرخين والقصاصين في اللغة الروسية . كتبت أصغر أولاد أبي وأمي ، ولذلك نشأت بعيداً عن العشير والازراب ، وربما صار هذا سبباً لحبي الوحدة وسوء الظن بالعالم ، والسويداء التي تعذبني أحياناً جني الآن .

وفي سنة ١٨٩٣ دخلت المدرسة الاعدادية (الجيمناز) في بيلنا ، وأكملت دروسها سنة ١٩٠١ . وكانت مدرستنا من أشهر المدارس في ولايتها من حيث تاريخها وترتيبها . قامت على أساس الكلية البولتوانية التي ألفت سنة ١٨٣٣ على اثر الثورة البولونية على روسيا . وأصبحت مكتبة الكلية مكتبة عامة ، وبقي قسم منها

سنة مكتبة المدرسة ، ولذلك رأيت فيها بعض كتب المشرقيات كمؤلفات العلامة دي سامي . وقد حاولت في الصف الاخير ان اتعلم اللغة العربية من كتابه في الصرف والنحو المشهور ، ولم يتيسر لي ذلك لفخامة الكتاب وعدم المرشد . تخرج من كنيستنا وفي مدرسة اعدد ليس بقليل من علماء المشرقيات المشهورين في روسية مثل سينكوفسكي المعلم الاول للغة العربية في كلية لينينغراد من سنة ١٨٢٠ الى سنة ١٨٢٥ ونورايف عضو اكاديمية العلوم ومؤسس الابحاث في قداماء المصريين في روسية المتوفى سنة ١٩٢١ . وقوتورينش استاذ اللغة المأرلية في كلية أرووف من بلاد بولونية الآن .

و كنت أهفو ايام الطلب الى علوم اللغات والآداب ، لاسيما اللغات « الميتة » اللاتينية واليونانية . ومما كان يلذني ويشوقني تعلم أغاني هوميروس والروايات التمثيلية التي كتبها شعراء اليونان فكنت استظفرها وارجمها . وكذلك كنت أحب علم التاريخ والاثشاء ، وكنت أتمرت في نظم الشعر ولكن لم أظفر منه بطلال . اما الرياضيات والطبيعات فلم تثق اليها نفسي ، وان كنت غير قاصر فيها ، وأحرزت نصب السبق بين أقراني ونلت نوط الذهب عقي المدرسة .

ولم أتجاوز السادسة عشرة من عمري حتى قويت أميالي ونعيت غرائزي وصرت أفكر فيما أجعله غرض حياتي ، وقد رأيت بعد بحث طويل ان العلم يجذبني اليه بقوة سحرية ، وان الشرق يكون ميدان أفكاري . ولاغربة فقد زرت الشرق في طفولتي وكان ابدأ يتأمل نصب عيني . وكان لي مثال آخر في شخص ابي فاني كنت أراه مكباً على الكتب والاذواق في الليل والنهار يبحث عن ماضي الزمان ورجاله .

وفي سنة ١٩٠١ دخلت قسم اللغات الشرقية في جامعة لينينغراد مدفوعاً بعامل الميل وهوى النفس انضمت الى سلك تلاميذ فرع لغات الشرق الاسلامي . فصرفت اربع سنوات في دراسة اللغة العربية والفارسية والتركية والتاريخية وبعض اللغات السامية كالعبرانية والاسيائية القديمة ، ودرست هذه الاخيرة على وطني العلامة تورايف ، ولطالما فكرت ان أخصي فيها وأتعمق لكن اللغة العربية غلبت ضرئها وجذبني جملة اليها . وكنت أدرس تاريخ الشرق الاسلامي برباسة العلامة برتولد الذي ترجمت بعض تأليفه الى اللغة التركية . وخرأ . وله التأثير المعم في حياتي العلمية .

فانه بأسلوبه السديد المتين وانتقاده المدقق أطلعني على أسرار فلسفة التاريخ . وكذلك درست علم اللغات العام على المالم ميليورانسكي المنتقل الى رحمة ربه سنة ١٩٠٦ وعلم تاريخ الآداب العامة على العلامة اسكندر فيسينوفسكي ، وهو من اكبر علماء العالم بأسره في هذا الفن . وكان له في نفسي تأثير قوي كتأثير برنولد في التاريخ ، وغدوت من ذلك الوقت أفكر في تطبيق أسلوبه التشبيهي على تاريخ آداب اللغة العربية ، وارجو ان اكون بلغت شيئاً من ذلك في مؤلفاتي عن العربيات .

اما العلوم العربية فدرستها على الاستاذ مبدنيقوف ، مؤرخ فلسطين المشهور المتوفى سنة ١٩١٨ الذي أثنى على تأليفه الكونت كابتاني من اعضاء المجمع العلمي العربي . اما عمدي في العربية فهو العلامة فيكتور فون روزن عضو اكاديمية العلوم الذي طارت شهرته في بلاد الغرب والشرق (راجع المشرق سنة ١٩٠٨ ص ١٧٣-١٧١ والبشير عدد ١٨٤٥ للسنة ذاتها) . وكنت ايضاً أختلف الى بعض اولاد العرب الساكنين في روسية كفضل الله صروف الدمشقي المتوفى سنة ١٩٠٣ وانطون خشاب الطرابلسي آخذ منها قليلاً من اللغة العربية الدارجة . ولقد أنجزت دروسي في الكاية سنة ١٩٠٥ نائلاً مدالية الذهب مكافأة لتألفي عن خلافة المهدي العباسي آخذاً عن المصادر العربية كالطبري وابن الاثير واليعني والمسعودي وغيرهم .

وبعد انتهاء دروسي في الجامعة كنت أواصل دروسي تحت انظار ألبارون روزن الموماليه خلال سنتين . وفي أواخر سنة ١٩٠٧ قدمت الفحص لنيل رتبة الماجستير في الآداب العربية . وبعد اشهر قليلة توفي استاذي البارون روزن وكانت وفاته ضربة هائلة علي ، شوشت صمغي وحركت المرّة في ، ولا شرو فاني كنت آخر تلاميذه وكان يسميني بلطفه المشهور بنيامينه الصغير .

وفي صيف تلك السنة نفسها أرسلتني نظارة المعارف وجامعة بطرسبرج الى الشرق العربي لتعلم اللغة العربية الدارجة والتعرف الى علماء العربيات والنظر في عوائد ابناء الشرق وآدابها . وقد قضيت سنتين بعيداً عن الروسية زرت خلالها مدن سورية وفلسطين ومصر وتوغلت في ربي لبنان وغاباته وسروج الجليل وصحاري مصر أزور حينئذ المكاتب المشهورة وحينئذ أجلس أمام العلماء المكرمين ، وتارة أختاف الى المدارس

الكبيرة كالكلية اليسوعية في بيروت والجامع الازهر والجامعة المصرية في مصر وزرت في سياحائي مكتبة الملك الظاهر في دمشق والمكتبة الخالدية في القدس ومكتبة الموارد في حلب والمكتبة الخديوية في القاهرة وغيرها مما تسنى لي الدخول والاشتغال فيه وجمعت المواد العديدة وكتبت بعض المقالات والانتقادات والاشعار المنشورة في الجرائد والمجلات العربية والروسية .

وتعارفت خلال إقامتي في الشرق العربي الى كثير من علماء العرب وأدبائهم وصحافهم ولا أنسى لطفكم وعنايتكم مدى الدهر . وكان هذا اللطف العربي المشهور من ام الاسباب التي جذبتني الى الشرق جذبة لا اتخلص منها ما دمت حياً . تعرفت الى كثير من العلماء الذين صاروا من اعضاء المجمع العلمي المكرمين فيما بعد . ففي القاهرة عرفت جرجي زبدان الذي اخترعته المنية سنة ١٩١٤ واحمد زكي باشا عضو المجمع العربي الحالي والاستاذ نايف الطلياني ، وفي فلسطين السيد خليل السكاكيني والشاعر الفاضل اسماعيل النشاشيبي ، وفي بيروت حضرت دروساً للاب العلامة لويس شيخو ، وفي دمشق زرت إدارة مجلة المقتبس الفراء . واستفدت في هاتين السنتين اكثر مما استفدت طول حياتي . ولا ازال ارجو ان يرزقني الله رؤية تلك البلاد المحبوبة ومسامرة اعيان علمائها مرة ثانية ، ثم الله أمني بالخير فهو السميع المجيب .

وبعد رجوعي الى الروسية عيّنت في صيف سنة ١٩١٠ مديراً للمكتبة فرع اللغات الشرقية في كلية لينينغراد ، وفي خريف هذه السنة صرت معلماً ثانياً للعربيات فيها وفي سنة ١٩١٤ صافرت الى اوربا للدرس بعض المخطوطات في مكائنها المشهورة مثل ليبسيك وهالة ولا صيا ليدن من بلاد هولاندا التي طارت شهرتها في الدنيا بسبب مجموعتها في الكتب . وقد اغترف منها كثير من علماء المشرقيات في اوربا . وعيّنت سنة ١٩١٧ معلماً اول للعربيات في المدرسة المذكورة ، ولم ازل اجتهد في هذه الوظيفة حتى الآن على قدر الإمكان في ثقلات الزمان . وقد اصاب الدهر المستعربين غيري في لينينغراد . فمات الاستاذ الاول ميدنيكوف سنة ١٩١٨ وتوفي الاديب كوزمين احد تلاميذي سنة ١٩٢١ وقد كان مدة سنتين معلماً ثانياً في جامعنا . وعين صديقي

الفاضل الاستاذ شميدت سنة ١٩٢٠ مديراً لمدرسة اللغات الشرقية في تاشكند من بلاد ما وراء النهر وبقيت الى الآن اداًب وحدي في التعليم .

وفي سنة ١٩٢١ انتخبت عضواً عاملاً في اكاڤيية العلوم الروسية في قسم التاريخ واللغات فجلست في مجلس كان فارغاً بوفاء استاذي البارون روزن منذ سنة ١٩٠٨ .
وفي السنة التالية انتخبت كاتماً لاسرار القسم المذكور .

وفي سنة ١٩٢٣ انتخبت عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي في دمشق ، وكان ذلك اكبر شرف نلته مدة عمري وصار هذا التشريف مساعداً لي ومشجعاً في احوالنا الصعبة . ورأيت فيه تقديراً أنفاخر به لاتماني في التعليم والبحث والتأليف منذ عشرين سنة .

اما مؤلفاتي العلمية التي بدأت بكتابتها وطبعها من سنة ١٩٠٤ فجأها ان لم اقل كلها في آداب العرب من بحث و ترجمة وشرح وانتقاد ، وكتاب ومقالة ومحاضرة وملاحظة وعددها يربو على المائتين ولذلك لا يمكن وصفها بتدقيق . وقد طبع فهرستها سنة ١٩٢١ وقت انتخابي عضواً في اكاڤيية العلوم الروسية وتكلم في تقدير عملي العلمي ثلاثة من اعضاء الاكاڤيية الاخصائيين في علوم المشرقيات ، وقد طبع تقريرهم مع الفهرست المذكور ولذلك اكتفيت بالإشارة اليه . ودوائر ابجائي ثلاث : الاولى منها تاريخ الشعر العربي وتقدمه منذ قديم الزمان الى ايامنا هذه . والثانية آداب اللغة العربية بين نصارى العرب . والثالثة تاريخ آداب اللغة العربية منذ نهضتها الاخيرة في القرن التاسع عشر . وهذا الموضوع الاخير مما افتخر به فإني اول من كتب بالروسية فيه ، وقل من كتب عنها من المستشرقين في اوربا . ولذلك قرظ مؤلفاتي تقريباً حسناً المرحوم مارتن هارثن الذي كان مطلعاً على احوال العرب الادبية بمشاهداته الشخصية والاقامة بين اظهرهم .

ورجائي الآن ان اواصل ابجائي في هذه الدوائر الثلاث وان ييسر لي طبع ما تراكم لدي من الآثار الادبية والابحاث والمقالات . فهذه هي أمنيتي الوحيدة والرجاء ان يبلغي تعالى سؤلي وان مع العسر يسراً وكل ضيق فإني فرج قريب .

الاستاذ كليمان هوار

فجع المجمع العلمي العربي بعضو عظيم من اعضائه . ونابغة مع نوابغ المشرقيات في المغرب المرحوم العلامة كليمان هوار . ولد في باريز يوم ١٥ شباط ١٨٥٤ وتخرج في مدرسة اللغات الشرقية ونال شهادتها وشهادة مدرسة الدروس العالية (شعبة العلوم التاريخية واللغوية) ثم عين ترجماناً مبدئياً في قنصلية فرنسا بدمشق في ١ آب ١٨٧٥ ثم ترجماناً ثالثاً في سفارة الاستانة ١٨٧٨ - ١٨٨٥ فترجماناً ثانياً ١٨٨٥ - ١٨٩٧ ففصلاً من الدرجة الثانية في ٩ آذار ١٨٩٧ فكاتم اسرار مترجماً في باريز ١٠ تشرين الاول ١٨٩٨ فمندوباً عن وزارة الخارجية في مؤتمر المستشرقين في الجزائر ١٩٠٥ فكاتم اسرار مترجماً من الدرجة الاولى في ١ نيسان ١٩٠٧ فمندوباً عن وزارة الخارجية في مؤتمر المستشرقين في كوبنهاغن عن سنة ١٩٠٨ ففصلاً عاماً في ١١ تموز ١٩١٢ . وقد انتخب عضواً في المجمع العلمي الافرنسي (Institut) في ١٧ كانون الثاني ١٩١٩ وكاتم اسرار مترجماً من الدرجة الاولى للحكومة لدى وزارة الخارجية في اللغات الشرقية وكان استاذاً في مدرسة اللغات الشرقية الحية ومدير الدروس في مدرسة الدروس العالية العملية (شعبة العلوم الدينية) ونائب رئيس المجمع العلمي الافرنسي^(١) ثم انتخب باجماع الاصوات رئيساً له لسنة ١٩٢٧ .

وله عدة تأليف منها ما احياء بالنشر ككتاب البدء والتاريخ للمختار بن طاهر المقسدي المنسوب لابي زيد احمد بن سهل البلخي وهو في ست مجلدات نشره مع ترجمته بالافرنسية . وكتاب الآداب العربية باللغة الافرنسية وتاريخ بغداد وكتاب الخطاطين والنقاشين في الشرق الاسلامي وكتاب دين الباب وكتابات عربية في آسيا الصغرى . وقونية مدينة دراو يش الملووية . ومختصر نحو اللغة الفارسية . وائيس العشاق مترجم عن الفارسية . ووثائق فارسية عن افرقية وكتابات عربية وفارسية في جامع كي فونغ فو وسينكان فو في الصين . وتاريخ العرب في مجلدين

(١) Académie des Inscriptions & Belles - Lettres

(وقد ترجم هذا الاخير الى الالمانية) وكلها باللغة الافرنسية الى غير ذلك من الكتب والرسائل والقوائم والفهارس والنقاربظ والانتقادات والمقالات التي نشرها في مجلة العالم الاسلامي والمجلة الآسيوية ومجلة تاريخ الاديان ومجلة الانتقاد والمجلة السامية والمجلة الفرنسية الكبرى والمجلة الاسلامية وهو يحسن من اللغات الشرقية العربية والفارسية والتركية . وتقديراً لعمله ومنح عدة اوسمة من حكومته والحكومات العثمانية واليونان ونونس والمغرب الافصى والعجم .

وانتخب الفقيه عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق . وكان عالماً بلغات الشرق الاسلامي ودينه وآدابه وفنونه . وكان غيره متخصصاً باحدى اللغات العربية او الفارسية او التركية اما هو فكان عالماً بكل منها ويدرّس جميعها . ولكن اللغة العربية اجتذبتة فكان يفضّلها على سواها فاخصها باثمن اوقاته واستغرقت اكثر جهوده لانه ممن يمتدنون بما للعربية من التأثيرات المستمرة في منازع الشعوب الاسلامية وآدابهم وفنونهم ويرى بانه لا ينسر لاحد معرفة احداها الا اذا كان ضليعاً من العربية . ولذا كان يلقي درسه في تفسير القرآن الكريم في مدرسة العلوم العليا يبارز باللغة العربية وان قل المستفيدون منه لعدم معرفتهم لغة الكتاب العزيز .

كان السيد هوار آية في بعد المهمة ومضاء العزيمة والدؤوب المتواصل في التأليف والنشر مشهوراً بسعة المادة واختيار الموضوعات الطريفة المفيدة . وقد كانت له صلات علمية متصلة مع المجمع العلمي العربي بدمشق منذ اول انشائه وعما نشره في مجلته يبحث ممنع في « الدروس العربية في فرنسا » (مجلة المجمع م ٥ ص ١٥٧) دل به على بعد غوره وفضل تحقيقه وانه من اساطين المشرقيات العربية في فرنسا .

بعد فقد الاستاذ هوار خسارة على علوم المشرقيات في الغرب والشرق ، وهو معروف جداً المعرفة في بلاد العالم الغربي . وقل من ضرب في العلوم الاسلامية بسهم الا وطالم كتبه واخذ منها . لاجرم انه كان في طليعة اعيان علماء المشرقيات لا في فرنسا فقط بل في اوربا واميركا ايضاً . وقد ظل على متابعة ابحاثه وتآليفه الى آخر ايام حياته . اجزل الله ثوابه وعوض العلم عنه خيراً .

محمد الحسني

آراء وافكار

« الشام » في معلة الاسلام

كتب الاستاذ الاب لامنس (Lammens) في آخر جزء صدر من معلة الاسلام (Encyclopédie de l' Islam) بحثاً في « الشام » وقعت له فيه هنات لا يحسم الاغضاء عنها ، فمنها (ص ٣٠٢) في فتح الشام ان الأعراب بعدة الردة وقيام ابي بكر الصديق تألفوا عصابات عملاً بإشارة الرسول او بغية غزو بلاد خلت من حماها فرحلوا الى الشام وقابلهم مرجيوس قائد قيسارية للروم فغلبوه في دائن وكان في قلة من المتطوعة ثم ذكر ان خالد بن الوليد خف من العراق وهزم الروم في أجنادين بين ايليا وبيت جبرين ثم انهزم العرب سنة ٦٠٠ فحل الخ . ومعنى هذا ان مبدأ الفتح كان بعصابات على عهد ابي بكر فقط ، مع ان جميع كتب التاريخ مجمعة على ان صاحب الرسالة (عليه الصلاة والسلام) انتد في حياته الشريفة خمس غزوات الى الشام وهي غزوة دومة الجندل (في اول تخوم الشام) وغزوة مؤتة في ارض الشام وغزوة ذات السلاسل وغزوة تبوك وغزوة آبل الزيت . وفي عهد الخليفة الاول أرسلت الجيوش تبعاً درا كاً بقيادة جلة من الصحابة ومنهم خالد بن الوليد وكانت وقعة اليرموك هي الوقعة الفاصلة ، ولم يكن جيش العرب اقل من ٣٥ الفاً وجيش الروم نحو ٢٠٠ الف أنجد صرات . وأراد الاب لامنس ان يصغر من شأن هذا الفتح فنسبه الى عصابات مع انه كانت حربهم حرباً منظمة ولم يترك الروم في قوس المقاومة منزعاً . وما كان يقصد من الفتح الغزو والغنائم فقط كما قال .

وقال (ص ٣٠٤) ان الحركة العقلية كانت في العهد الأموي قاصرة على الشعر وفي رأسها الشاعر النغلي الأخطل النصراني والخليفةان يزيد الاول والوليد الثاني . مع ان شعراء الأمويين عدوا بالعشرات . والحقيقة ان الحركة العقلية لم تكن أدبية فقط فان خالد بن يزيد الأموي في دمشق امر بان تترجم له كتب الطب والنجوم والكيمياء وجلب فلاسفة من مصر والروم وأغدى عليهم الاموال لذلك . وأنشأ اول خزانة للكتب في دمشق بل في بلاد الاسلام . ثم جاء عمر بن عبد العزيز فأمر ان تترجم كتاب

(اهرن بن اعين) . فالحركة اذا لم تكن أدبية صرفة بل علمية فنية ولم يكن الا خطل النصراني والخليفتان الأمويان متأثرين وخدم بهذا الفضل (راجع كتابنا خطط الشام ج ٤ ص ١٨ — ٢٤) .

وذكر (ص ٣٠٤) ان القدرية اخذوا مبادئهم الفلسفية من مواطنيهم النصارى وليس لهذا القول مستند يركن اليه وكان ادعاءه في كتابه مختصر تاريخ سورية فرددناه عليه (مجلة المجمع م ٢ ص ٢٧١ و ٣٣٧) . وقال ايضا ان زراعة الشام ظلت زاهرة رغم إرهاب السكان بالضرائب مع ان الروم من اهل البلاد كما ثبت في التاريخ كانوا راضين عن هذا الحكم العربي اكثر من حكم الروم : تبين لم الفرق بين الإدارتين العربية والرومية .

وزعم ان نصارى لبنان حاولوا التخلص من مظالم عمال خلفاء بغداد فلم يفلحوا . مع ان نصوص التاريخ صريحة في ان الذين قاموا من اهل لبنان لم يكن قيامهم لمقاومة الظلم بل كانوا عمالاً لصاحب الروم وما كان لبني العباس ان يفضوا العارف عمن يعمل لاعدائهم ويكيد لهم في ملكهم .

وقال (ص ٣٠٥) انه كان في دمشق معمل للورق في القرن العاشر للميلاد مع ان معامل الورق كانت في دمشق وطبرية وطرابلس وحماة وحلب ومنبج وبدأت منذ اواخر القرن الثامن . وتدل القرائن على ان الوراقة كانت معروفة في الشام في اوائل الاسلام (خطط الشام ج ٤ ص ٢٤٢) .

وقال (ص ٣٠٦) ان الصليبيين فتحوا طرابلس في جملة ما فتحوه من الساحل لاول انهيالم على البلاد مع انه ثبت في التاريخ ان ابن عمار صاحب طرابلس وقاضيا هادنهم على ان يجتازوا من وراء مدينته وبقيت طرابلس بيد ابن عمار بضع سنين اوائل دخول الصليبيين . فكانت طرابلس آخر ما اخذه الصليبيون من مدن الساحل . ومما قاله ان مدن الداخل قبلت ان تدفع الجزية للصليبيين وكان ما ادوه اموالاً تصالحوا عليها حتى لا تخرب البلاد . ودمشق لم تذكر انها أدت شيئاً من هذا القيل . . وغلا في تقدير عدد الاجانب في دولة دمشق اليوم فأوعلمهم الى ٤٩٠٠٠ في حين جعل عدد الاجانب في دولة حلب ٣٠٠٠ واعلمه يريد ان يحذف صفرين فيكون عدد الاجانب في دولة دمشق

٤٩٠ . وذكر ان الشام اليوم تناخم مملكة العراق من الغرب والصحيح من الشرق . وادعى ان العباسيين ظلوا على عدائهم للعلماء من الشاميين ولذلك كان عملهم من العوامل التي حالت دون تقدم الافكار على ان العباسيين لم يضطهدوا من الشاميين او من عقلائهم وعلمائهم الا من جاهرهم في محبة الأمويين ومن عداهم نزلوا بغداد على الرحب والسعة وشاركوا في الحركة العلمية ومنهم بضعة من التراجمة والعلماء النصارى ، على ما ذكر ذلك القفطي وابن ابي أصيبعة ، ولكن كان الادلى ان يقال ان الحركة العلمية في الشام انتقلت الى دار السلام وذلك بطبيعة الملك لان الخلفاء واهل الدولة كانوا في العراق وبعد الدور الثاني للعباسيين اخذت الشام تستقل عن بقي العباس الا قليلاً .

وكان عليه ان يشير ولو بكلمة الى المدارس التي أنشئت في أمهات مدن الشام منذ القرن الخامس الى التاسع للهجرة ليندل بها على مدنية القوم كما حرص على الامم عجب بالبيع التي أقامها الصابيون مثل بعة جبيل وبعة طرطوس وبعة بيروت التي هي اليوم الجامع الكبير . فان هذه المدارس هي التي نشأ منها للشام رجال الشريعة والادب والتاريخ والجغرافيا والفلك وناعميك بانه كان في دمشق فقط اربع مدارس للطب وواحدة للهندسة .

وكما قال ان الزراعة انحطت بدخول العرب الى الشام زعم ايضاً ان التجارة لم ترق لها قائمة منذ عهد يوستنيانوس الرمي حتى جاءت مراكب البنادقة والجنوبيين والبيزنطيين في الحروب الصليبية . وانه ذكر اساطيل معاوية بن ابي سفيان وأخلافه ثم الطولونيين والفاطميين التي كانت مدة اربعة قرون تنقل التجارة - في اكثر مواني البحر الشامي كما تغزو اعداءها من الروم وجنوبي ايطاليا .

ولم يتعرض لذكر بعض المهندسين والفلكيين والرياضيين الذين قاموا في الشام على عهد الاسلام . بل ذكر بعض المؤرخين والجغرافيين والادباء واثنين من حملة الشريعة فقط . اما في العهد الاخير فلم يدون سوى اسماء اليازجيين ناصيف وابراهيم ، وبطرس البستاني . وهذا كما ترى غمط لحق عشرات من الادباء والعلماء من المسلمين والمسيحيين الذين كانوا مادة المدنية الجديدة في الشام منذ أواسط القرن الماضي الى اليوم وهو ولا شك يعرفهم لكن يرقن عليهم لمقصد هو أعلم به .

هكذا يكتب الاب اليسوعي تاريخ الشام في هذا العصر ولينه يقتدي بمن يكتبون

في هذه المعلقة على بلاد الشام ايضاً أمثال سوبرنهايم من يتجددون عن الغرض و يبعدون عن الاهواء المذهبية و يتصفون كل انسان وكل مجتمع ودولة . ومن الغريب ان هذا المؤرخ اذا نُبه الى خطاياه لا يناقش في الموضوع بل يقول ان ناقديه يحاولون ان تكتب لهم شهرة كشهرة ، وهم مغرورون خاملون جاهلون و بكيل له بكيل السخرية والمطاعن ، يخرج عن حد النقد الادبي الذي هو حياة العلم والآداب ، فهو ابدأ شعوبي من الطراز الاول يغمط حتى العرب والمسلمين من خدمة الحضارة ، وسلاحه السفسة يضعف كل حقيقة اذا جاءت على ايدي العرب والمسلمين ، و يصور الشام في ماضيها وحاضرها في بشاعة وان وجدت فيها الحسنات فهي لغير الفاتحين وأخلافهم .

وبينا نكتب هذه السطور قرأنا في رسالة « آراء غربية في مسائل شرقية » تعريب الاستاذ عمر فاخوري جملة للمسعودي وسليمان بن ابراهيم في نقد كتابات الاب لامنس وتحامله على الاسلام فيما قاله : ان الاب لامنس في علم المشرقيات كبطرس الناسك في الحروب الصليبية وقد جهز بهمة لا تعرف الكمال صليبية دعوية في العلم فمعاً بصرع الاسلام صرعة لا قيام منها . وقال فيه ايضاً : كلما ذكرت الاحاديث والايخبار خلة حسنة ممدوحة في محمد وصحابته رأيتهم يؤكد انهم كانوا مصابين بالعيوب المتناقضة لتلك الخلال وبكلمة موجزة نقول ان طريقة الاب لامنس تقدم على « عكس » المنقول عكساً مطرداً مقصوداً . وقال في الحاشية : لا يعدل الاب لامنس عن هذا الاسلوب الا حينما يجد أسلوباً أشد مكرراً في سوق الخبر الى معاني السوء اه سامحه الله .

م . ك

فَعَالٍ فِي اللّٰغَةِ

« كل او جل ما ورد منه في كتب اللغة »

(بَلَّال) اسم مصدر من بَلَّ الرِّحْم اذا وصله يقال هو يراعي بَلَّال اي صلة الرِّحْم ومنها « تَبَلَّك بعدها عندي بلال » (بَلَاء) البلاء (بَوَار) اسم الهلاك . ومنه « نزلت بوار على الكفار » . (تَرَاك) اسم فعل معناه اترك كقوله :

ثراكها من ابل تراركها اما تري الموت لدى ادراكها

(جَدَاعِ) السنة الشديدة التي تجدد بالمال ونذهب به ومنه «اجتفت بهم جداع» وهي السنة لانها تجدد النبات وتذل الناس . (خَرَّاجِ) كلمة يقال في الخرج وهي لعبة لهم . (حَسَّاسِ) كلمة بقولها من طلب شيئاً فلم يجده . (خَزَاقِ) شتم للمرأة معدول عن الخزق بمعنى الذرق وهو مما يلزم النداء . (دَرَاكِ) اسم فعل بمعنى ادرك . (خَدَادِ حُدَيْه) كلمة يقال لمن تكره طلعت اي اصرفه ومنه قوله «وحُدَيْ حُدَادِ شراجنحة الرّخم» . (حَزَامِ) اسم امرأة تلقب بزرقاء اليامة يضرب بها المثل في حدة البصر يقال هو ابصر من الزرقاء . (خَنَاثِ) وصف للاتني وهو مما لا يستعمل الا في النداء يقال لما يا خنث اي يامتكسرة . (دَبَابِ) دعاء للضبع وهو اسم فعل بمعنى دُبِّي . (دَفَارِ) الدنيا والآمة ويقال للآمة اذا شمت بادفار وعن عمر انه قال للآمة التي عنك الخمار بادفار أنتشبهين بالحرائر واكثر ما ترد في النداء . (عَرَارِ) اسم بقرة ومنه باءت عراري بكحل وهما بقرتان انطوتتا فائتا جميعاً اي باءت هذه بهذه يضرب اكل مستوپين . (فَجَارِ) اسم للفجور وهو معرفة كقوله فاحتملت برة وحملت فجار ويقال للمرأة يا فجار اي يا فاجرة وهي معدولة عن الفاجرة لا يستعمل الا في النداء . (فَسَاقِ) شتم لما يقال يافساق للنداء فقط . (يَافِشَاشِ) فشيته من استه الى فيه اي انعلي ما شئت به فما به انتصار يضرب لمن يأتي امراً لا يقدر على اجرائه . (فَيَاحِ) اسم للغارة تقول فيحي فَيَاحِ اي اتحي يا غارة وهو من قول مغايرهم . (قَنَامِ) انثى الضبعان سميت به لانها تطلق بجرها ويقال الامة يا قَنَامِ . (تَرَافِ) اسم فعل للامر يقال تراف ماء البئر اي استخرجه . كله . (هَجَاجِ) ركب هجاج اي رأسه كقوله «وقدر كبوا على لومي هجاج» . (مَمَامِ) لا همام اي لا اهُمُّ بذلك ولا افعله وجاء زيد همام اي بههم . (وَبَارِ) ارض بين اليمن ورمال يدرين . (يَعَاطِ) زجر للذئب والخليل وقيل كلمة ينذر بها الرقيب اهله اذا رأى جيشاً قال :

وهذا نتم قد علموا مكاني اذا قال الرقيب الا يعاطر

(جَمَارِ) قومي جمار شتم للامة على تشبيهها بالضبع (حَلَاقِ جذاب جبار) الموت

قال عمرو بن جميل :

فاجتنبذت أقرانهم جباذ . أبدي صبا ابرح ما اجتباذ
ومعيت المنية جذابر لانها تجتذب النفوس وحلاق . لانها تحلقها (جباقر) شتم لها
لازم للنداء . (جداير) السنة لجدة — وموضع . (حذار) اسم فعل بمعنى احذر كقوله
«وحذار ثم حذار عند محارباً» . (حضار) اسم فاعل بمعنى الحضر — ونجم يطلع قبل
سهيل فيظن انه سهيل . (حناذر) من اسماء الشمس لحرارتها ومنه :
تتركك العالج به حناذر . كالارمد استقضى على استيخاذا

(جبارد فلان) يقال للخبيل دعاء عليه اي لازال جامدا الحال (جبارد) له يقال في المدح
اي حمداً له . (خنارز) المننة . (ذمار) اسم فعل للحض على الحرب . (رغال) الامة
(سبارط) الحمى تقول قتلهم سباط . (خباث) معدول عن خبيثة شتم لها لازم للنداء
تقول يا خباث (خصارف) فرس مشهور وفي المثل اجراً من فارس خصارف . (وقاع)
كية مدورة على الجاعرتين . (پارس) السواة او الفندورة (يسار) اليسرة يقال انظرني
حتى يسار . (براح) الشمس يقال دكت براح . (خطاف) من اسماء كلاب الصيد .
(سمارج) اسم فعل بمعنى اسمع . (سجارج) اسم امرأة ادعت النبوة قال الحريري
«انها ورسول الرياح . لا كذب مني سجارج» . (مراب) اسم ناقة البسوس التيممية التي
قُتل كليب فيها فثارت الحرب بين البكر بين والنظيرين اربعين سنة لاجله فثارت مثلاً
في الثرم يقال هو اشأم من مراب . (شجاذ) المطرة الضعيفة معدول عن الشجاذ بمعنى
الانغلاق . (شلل) اسم للشلل يقال في الدعاء له لاشلال اي لا تشلل بذلك . (حرام)
من اسماء الحرب . (ظفار) بلد باليمن قرب صنعاء . (عفال) شتم لها يقال يا عفال .
(عقاق) اسم للعقوق بالوالدين . (علاق) اسم فعل للامر بمعنى تعلق . (غدار) شتم
لها يقال يا غدار خاص بالنداء (نباء) اسم فعل للامر بمعنى اذع قال الاصمعي كانت
العرب اذا مات منها ميت له قدر ركب راكب فرساً وجعل يسير في الناس ويقول
نعا فلاناً اي انعم واظير خبر وفاته . (يارطاب) كلمة تسب بها الامة . (ظفار)
كل ارض ذات منقعة^(١) . (زام) يقال سبة زام وضربة زام اي لازمة . (مساس) اسم

(١) كذا بالتشديد وصوابه مغرة بالتحفيف وهي الطين الاحمر يصنع به وتسمى
هذه الارض ايضاً (المنقرة) (المجمع)

فعل بمعنى مس • ولا مساس اي لا تمس • وهو من الشواذ • (عواد) اسم فعل بمعنى عد
(كرار) خريزة للتأخير نقول الساحرة يا كرار كرتيه وباهمة امهريه ان اقبل فسرته
وان ادبر فصره • (بداد) جاءت الخليل بداد اي متفرقة ومنه قوله :

وذكرت من لبن المحاقى شربة والخيل تعدو في الصعيد بداد

وباقوم بداد او بداد بداد اي لياخذ كل رجل قرنه • (خفاق) شتم لما خاص
بالنداء • (خلاح) علم لمكة وقد تعرب • (صمام) علم للداهية الشديدة • وصممي صمام اي
زيدني ياداهية • وصمام صمام بمعنى الامر اي نصادوا سيفه السكوت • (طبار) الداهية
وبنات طبار الدواهي • (غثار) علم للضبع • (فعال) اسم فعل بمعنى افعل • (فغار)
طعنة فغار اي نافذة • (قشاح ثقث) الضح • (ملاع) اسم ارض • (نضاد) جبل
بالعالية وبؤنث ونميم تجريه مجرى مالا ينصرف • (مناع) اي امنع • (نظار) اسم فعل
للامر بمعنى انظر • (قثام) اي اقم اسبه اجمع مطرد عند سيبويه وموقوف عند ابي
العباس • (ضراح) اسم فعل بمعنى اضرح • (كلاح) السنة الجديدة • (امراة لكاع)
لثيمة لا تستعمل الا في النداء وهي معدولة عن لا كمة • (كفاف) معدولة عن الكفاف
بمعنى المثل يقولون دعني كفاف اي كُف عني واكف عنك • (قثام) الغثيمة الكثيرة
(قطان) علم للامة • (خفاس) الامة اللثيمة الرديئة • (نزال) اسم فعل للامر بمعنى انزل
للوحد والجمع والمؤنث • (آبارب آبارب) اي لا بأس وهي لغة حميرية وقيل آبارب
الكلام مأخوذة من هذا (جمار وام جعار) علم للضبع • تبسي جمار او عيشي جعار
مثل يضرب في ابطال الشيء والتكذيب به وانشد ابن السكيت

فقلت لما عيشي جمار وجر رسي بلعم امريء لم يشهد اليوم ناصره

«روعي جعار وانظري اين المفر» مثل يضرب لمن يروم ان يغلب ولا يقدر على ذلك •

(لطاط) السنة الحاجة عن الخير السائرة • (طار) المكان المرتفع يقال هوى من

طار وانصب عليه من طار • بنات طار الدواهي • (ازام) الشدة • (لخاص) اسم للشدة

والاختلاط والداهية — وخطة تلتصك اي تلجئك الى الامر • (سكاب) اسم فرس •

النبك سالم خليل وزق

مطبوعات حديثة

ماقي السبيل في مذهب النشوء والارتقاء

« تأليف اسماعيل مظهر طبع في المطبعة المصرية بمصر في ٣٤٢٠ صفحة »

« بالقطع الوسط »

الاستاذ اسماعيل بك مظهر من الذين خربوا في الفلسفة بسهم وافر وهو واسع الاطلاع عليم بكثير مما صنفه الأرنج في ضروب الفلسفة . وفوق ذلك فهو جاد يستعمل القلم في ثقل معلوماته الى العربية فيخدم بذلك ابناءها . وبما نشره اخيراً هذا الكتاب المفيد فجاء في اثني عشر فصلاً وهي « تمهيد ومقدمات ، الرأي المادي ومذهب النشوء ، دارون والماديون ، مذهب النشوء ازاء الدين والآداب ، نظرة عامة في الرد على الدهريين ، اختلاط المقاصد في الرد على الدهريين ، الانقلاب الجيني واثره في تأييد مذهب النشوء ، قدم الأنواع وعلاقة الجيولوجيا بمذهب النشوء ، علاقة المتحجرات بمذهب النشوء ، اثبات مذهب النشوء بتعاقب المتحجرات خلال العصور الجيولوجية ، اصل الانسان ازاء مذهب النشوء ومذهب دارون في العصر الحاضر » .

طلعت هذا الكتاب فرأيت ان ألفت نظر المؤلف الفاضل الى الامور الآتية :
 أولاً . — طعن بالماديين في الصفحات ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ وسفه رأيهم واتهمهم بالاحاد . ولو أنصف لطنن بالمخدين وحدهم ولفرق الفلسفة المادية عن الاحاد لان الاستاذ لا ينكر ان عنوان كتابه قائم على بحث من ابحاث العلوم المادية وان العلوم لم تتقدم الا لما اخذ الانسان يبحث عن النواميس الطبيعية بأسلوب مادي او يقيني تاركاً البحث عن العلل الاولى والماهيات الى ارباب الدين وأصحاب الفلسفة الغيبية . فالفلسفة المادية تقضي بعدم البت في حادث لا يقره العلم ولا يقع تحت الحواس . فإذا اتيتها ببراهين علمية ملموسة صدقتك والا بينت لك وجه الخطأ . فاما اذا رأت نفسها قاصرة عن ان تحيط بحقيقة ما تبديه فسرعات ما تعترف بجهلها وبان العلم لم يدرك بعد حقيقة هذا الحادث . وهنا بيت القصيد اي ان الفلسفة المادية لا تلزم صاحبها بانكار وجود الخالق بل تدعوه الى عدم البت فيما لا يقوم عليه دليل علمي وهو بعد حر بان يعتقد بالخالق

او بالادبات عن طريق المحاكاة العقلية اذ لا يعتقد . وكثير من الفلاسفة الماديين يعتقدون بآله عاقل في تعليل الكون ومنهم دارون نفسه وليس كل فيلسوف مادي ملحدًا ولكن يكثر عدد الفلاسفة الماديين الذين انت سألتهم رأيهم في المبدأ والنهاية والملة الاولى أجابوك بلا ادري لانها لا تلمسها الحواس بل لانها تخرج عن دائرة أبحاثهم هذا مع اعتراف الجميع بفوائد الدين الاجتماعية والادبية . وصكأنني بالمؤلف الفاضل اخذ على نفسه معاكسة الدكتور شمبل في مذهبه في حقيقة الدين حتى استرسل في آراءه فلسفية لا علمية قدر ماتمسك الدكتور في محدودات مادية .

ثانيًا . - ذكر في الصفحة ٤٩ الى ٥٣ وظيفة الدين الاجتماعية فبين تأثير الادبان اي « وازع ما بعد العقلية في ضبط سلوك الانسان تجاه الجماعة » وقال : « بعدم امكان قيام نظام اجتماعي على اساس الشرائع الوضعية » وبألت المؤلف انصف ونحن في القرن العشرين فاعترف بتأثير كثير من الشرائع المادية والمباني الاجتماعية غير الدينية في تنظيم حياة الجماعات ومدنيتها ، دون ان يكون في اعترافه ادنى مس للادبان او لتقيص لفوائدها الاجتماعية والادبية .

ومن الغريب انه ختم بحث وظيفة الدين الاجتماعية بقوله : « ذلك هو الدين واثره فهل يمجده بعد الماديون » . فمضى جعد أصحاب الفلسفة المادية الفوائد الاجتماعية العظيمة التي أفادتها الأدبات منذ أقدم العصور الى اليوم . وهذا او غوست كروت نفسه مؤسس الفلسفة المادية قد أطنب في فوائده الدين الاجتماعية اطنابا عده كثيرون اغراقا .

وفي تضاعيف الكتاب جمل كثيرة منه بها الاستاذ المصنف آراء الماديين لا سيما في بحث الاعتقاد بالله . اما انا فلا يمكنني ان أعل طعنه واستنتاجاته الا بكونها مقصودة اي انه توخى الطعن لغرض او لاعتقاد لا حقيقة ملموسة ماديا يقرها العلم او تقرها الفلسفة المادية التي لا تتركز على الفرضيات البعيدة عن الحس ولا على الجدل والوهم والخيالات الفلسفية . هذا وقد كانت بإمكانه إثبات وجود الملة الاولى وكونها عاقلة مدبرة بالاستنتاجات العقلية التي ما برح أصحاب الفلسفة الدينية يطرقون أبوابها ، دون ان

يطعن بالفلسفة المادية لان هذه الفلسفة لا تخالفه الا بكونها تعترف بجهل الانسان عن إدراك الماهيات بطريقة علمية مادية وهذا ما لا ينكره احد .

ثم ان من يطالع الكتاب ليحار في تبين مذهب المؤلف الفلسفي خصوصاً من حيث الأديان ، فهو بينما تراه يدافع عن الدين كل الدفاع واذا به يسكت عن معظم تعاليمه لانه لا يعتقد على ما يستتبع الا بوجود علة الملل اما اكثر القواعد الدينية الاخرى فهو يضرب صفحاً عنها لاسباب اذا كان العلم المادي لا يقرها (صفحة ٥٣ و ٢٩٥) .

ثالثاً — ذكر « حظ العرب من البحث اليقيني » فعزا اليهم نقائص وذنات كثيرة وكاد يجردهم من كل أثر علمي او ادبي او فكري كل ذلك تمهيداً للرد على الشيخ جمال الدين الافغاني ولدحض ما ورد في رسالته « الرد على الدهريين » .

وهنا ايضا حاد المؤلف الناضل بنظري عن جادة الانصاف لانه لو سار في محاكمته على أسلوب يقيني محض لوجب ان يذكر ان العرب لم ينفردوا بأسلوبهم الغيبي (ثم بما يسميه الشك التقليدي) بل كان هذا الاسلوب طابع مدنية من عاشوا معهم ومزدرجوا قبلهم ، وانه لا يرجي من شعب عاش في القرون الوسطى ان تكون جميع أبحاثه في مختلف العلوم يقينية باعثة الى إعجاب أساتذة القرن العشرين ، وان العرب حسبهم ان يكونوا في التاريخ حفظة العلوم القديمة وموسعيها على قدر ، ابلت طائفة البشر في هاتيك الايام . ولم ادر كيف خص المؤلف العرب وحدهم بالنقائص التي ذكرها مع انه قال في الصفحة الثامنة « زمان انطوى فيه كتاب مديننا العربية تلك المدنية الشرقية الجملة التي ظلت منارة العالم المتحضر وكعبة سياسة الشعوب ومهبط وحى العلم والآداب و منبع الفلسفة النياض طوال القرون الوسطى » حقا انني كدت اتهمه بالشعرية لو لم أعد الى تلاوة ما أورده في الصفحة الثانية .

رابعاً — أظن ان الذي لا يكون قد درس دروساً اعدادية على الاقل ووقف على آراء العلماء في نواحي النشوء لا يقوى على فهم كثير من أبحاث الكتاب لان المؤلف لم يصنفه وفقاً للطريقة المدرسية (Classique) فانا ارى انه كان من المفيد بل من اللازم ان يتلافى الاستاذ ذلك فيعمل في اول الكتاب بحثاً موجزاً في تعريف النوع والعنف والرس (العرق) ، وحصول التبدلات (التغيرات) في النبات والحيوان والشكال

هذه التبدلات وما يدعو الى حصولها ، ثم نظرية الوراثة وأشكالها وما ينتج عنها ، واخيراً الانتخاب الطبيعي فالانتخاب الصناعي وأشكاله وقواعده . ولا مشاحة في ان يبحثنا كهذا يجعل فصول الكتاب أقرب منالاً على القارئ لا سيما اذا لم يكن له سابق عهد بهذه الموضوعات .

خامساً . — لم يكن الاستاذ بلغة الكتاب قدر عنايته بمعانيه ولذا جاء فيه من الجمل التركيبية والألفاظ المغلوطة عدد كبير وهذا بعضها :

١ — تراكيب في المنسوب والمنسوب اليه لا بأنهما الذوق كالاتقلاب الاسلوبي والانحرافات التركيبية والاورثقاء النشوي والمالية الأخلاقية والحركة التنبؤية والسببية العلمية والتقليد الشكي والشك التقليدي (للمعنى الواحد) والأطوار الانقلابية والمستكشفات التشريرية والعضويات الحفرية ، الى كثير من أمثالها في حين ان كتاب العرب في صدر الاسلام كانوا يمدلون حتى عن المستساغ من هذه الألفاظ الى استعمال المضاف والمضاف اليه فيقولون مثلاً انقلاب الاسلوب وانحراف التركيب الخ .

٢ — ألفاظ لم ترد في كتب اللغة بتاتاً او بالمعنى الذي يريد كالاتعماق والاستكشاف (بمعنى الاستكشاف) والنمف والاورثكاز والايستخواز والاوردحاض وموضوعية العلم والاحتراز والأسبقية والخثث .

٣ — أفعال عداها بغير الحروف التي تعدى بها مثل أثار على وهو يتعدى بحرف في . وباع على (صفحة ٤٤) وهو يتعدى بنفسه او بحرف من . وتأمل من وهو يتعدى بنفسه او بحرف في . وبحث الموضوع بدلاً من بحث عن الموضوع اوفيه . وأهل بالباحثين الى معرفة كذا بدلاً من اهلهم لمعرفة كذا . واضطر للعمل بدلاً من اضطر الى العمل .

٤ . — مسميات علمية لم يترجمها باستاء عربية سليمة او بالألفاظ التي اتفق كتاب العرب عليها فقال اتقع بدلاً من الطلع او غبار الطام . والاستنجانة بدلاً من المهبل او المتك او السمة . والحفريات بدلاً من المتحجرات (Fossiles) . والتوزيع بدلاً من الصنف (Variété) والصفة النافرة (Caractère dominant) عوضاً عن الصفة السائدة او البارزة (واتى فعل تفر بمعنى غلب) . والصفة المنفورة (C. recessif) عوضاً عن الصفة المنفية او الكامنة .

٥ — غلطات شتى لا تغنر وهي كثيرة . مثل ليس سوى جسم (ذو) تركيب ، ينكرون للعالم الخارجي (وجود حقيقي) في ذاته ، لم يجعل لأثر الحالات الخارجية (شأن) يذكر ، لا (يؤيهون) بالبراهين ، مرة على تاريخ الأرض (عصوراً) ليقام له بين عشية وضحاها (تمثالاً) .
والخلاصة ان كتاب الاستاذ اسماعيل مظهر بك على ما فيه مما يؤخذ به هو من أمتع الكتب الفلسفية . ولا أشك ان المؤلف الفاضل اذا تعاهد لغة ، وثقافته بعناية واستقر على اتباع فلسفة بعينها فانه يخدم العربية خدمة كبيرة عن طريق الفلسفة لغزارة مادته فيها .

عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى الشهابي

— «X» د «X» —

المروءة

« في آخذ العلماء على الشعراء »

تأليف أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزوباني الموفى سنة ٣٨٤ هـ عنيت
بنشره جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ و طبع بالمطبعة السليمانية
ويطلب من مكتبتها في مصر (ص ٤٧٧)

أحسن هذه الجمعية كل الاحسان . بنشرها مثل هذا الكتاب المفيد لمثل هذا
الامام المحقق في مثل هذا المظهر اليديع . فان العلامة المرزوباني لم يطبع له فيما
علمنا شيء حتى الآن مع ان تأليفه بالغت خمسة وخمسين مصنفاً ومنها ما وقع في خمسة
آلاف ورقة او في عشرين مجلداً وهو واسع المادة ، جيد التأليف ، امام في اللغة والنحو
والأدب والتاريخ ، حتى قيل انه من محاسن الدنيا وانه كان في عصره أحسن تصنيفاً
من الجاحظ . ومعنى المرزبان عند النجم الرجل المتقدم العظيم القدر او حافظ الحد .
اما تصنيفه هذا فهو مجموع ما رواه عن أئمة هذا الشأن عن وقفوا للشعراء جاهليهم
ومخضرميهم واسلاميين قدمائهم ومحدثيهم ، يقومون لم كلامهم ويتقدرون اشعارهم
ويختلجون جيدهم عن رديتهم . وقد اخذ المؤلف بالواسطة عن القاسم عبيد بن سلام
الجمحي صاحب طبقات الشعراء (المطبوع في لندن) وروى ايضاً عن قدامة بن جعفر

صاحب نقد الشعر (المطبوع في الاسنانة) واقتبس من الأثنان في صاحب معاني الشعر (المطبوع في دمشق) الى غيرهم من العلماء والباحثين . وروى السيد المرتضى في اماليه عنه كثيراً . وكذلك ياقوت الحموي في معجم الادباء . وكتابه بعام من يندارسه عيوب الشعراء ومنهم من لم يجز لم ذكر الا في مطولات كتب الادب ، واكثرهم من المشهورين النابيين . ومن وقف على العيوب انقاما ، ومن عرف السقطة تبا مدعتها ، ولا يسلم من يأخذ نفسه بالاليب البيان شعراً كان او نثراً او خطاباً الا اذا اطلع على ما اورده حذاق النقاد في نقد من عانوا هذه الصناعة من فحول الشعراء ورتوتهم في كل جيل . والكتاب نافع في بابيه لكل اديب ومؤدب ، زادت به مادتنا من الامهات خصوصاً وهو من الكتب التي تقام بخطه من اصول صحيحة نقلت عن خط المؤلف اللغوي الكبير في عصره محمد محمود بن التلاميذ الشنيطي وعلاق على الاماكن المشككة منها ، ثم تعاورتها زمرة من الادباء في مصر بالتصحيح والشكل وجعل للسفر فهرس جميل باسماء الاعلام فجاء الكتاب مسروقاً من كل وجه لا تجد فيه المغامر التي تعثر بها في اكثر ما يطبع لعهدنا من كتب الاقدمين لقلة العناية بنقوهم وخدمتهم ومعارضتهم بالاصول واتباعها بالفهارس التي تدل على مضامينها . وحبذا لو اكثرت هذه الجمعية من طبع مثل هذه الاسفار التي تقر بنا من الفصحى وتعلمنا مناحي البلغاء في تأليفهم واوضاعهم وتحبي آثاراً طالما أسهر فيها مصنفوها اجفانهم خدمة للعالم العربي وهذه الامة محمد كرد علي

==«X * X»==

الازهر

« ماضيه وحاضره والحاجة الى اصلاحه »

تأليف السيد محب الدين الخطيب طبع في المطبعة السلفية بمصر في ٥٥ صفحة

بالقطع الصغير

لم يفكر احد في موضوع الاصلاح الاسلامي والنهضة الاسلامية الا وجهه نفسه وأعمل قلبه في بيان فضل الأزهر ومبلغ تأثيره في الاصلاح المنشود فهو بالنسبة الى العالم

الاسلامي كالقلب بالنسبة الى الجسد . وصلاح الجسد بصلاح مضفته كما ان صلاح الاسلام بصلاح ازهره . ولكن توجد صعوبة في امر فهم ذلك الاصلاح والاتفاق على طريقة الوصول اليه بين المفكرين من فضلاء الكتاب المسلمين وبين القائمين بشؤون الأزهر واول من عالج هذه القضية وقامى منها ما قامى هو أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده وقد نام على أثره اليوم احد محبيه المتبعي طريقته في الاصلاح الاسلامي صديقنا السيد محب الدين الخطيب صاحب مجلة (الزهراء) والمطبعة السلفية فوضع هذا الكتاب الموجز في حجمه المسهب في فائدته . فأتي اولاً على تاريخ ازهر وما هي أوضاعه وأردفته وكنبه ومشائخه من القرن الحادي عشر الهجري الى اليوم ثم ذكر مبلغ تأثيره في التجدد او النهضة الاسلامية اذا أصلحت مناهجه وطرق التعليم فيه فاليبحث جليل في موضوعه عظيم في الهدف الذي يرمي اليه .

المقرر لـ

— تاريخ —

اتجاه الموجات البشرية

« في جزيرة العرب »

تصنيف السيد محب الدين الخطيب ايضاً طبع في المطبعة السلفية بمصر

في ٧٢ صفحة بالقطع الصغير

السبب في وضع هذا الكتاب ان المستر توينبي كتب مقالاً علل فيه اندفاع الموجات العربية من جزيرة العرب حيناً بعد حين — علله بما لا ينطبق على الحقيقة ولا يتفق دائماً مع الاسباب التاريخية للهجرات العربية الكبرى . فألف الاستاذ السيد محب الدين هذا الكتاب وعرض على أنظار القراء صورة صحيحة لاتجاه الموجات العربية منذ سنة آلاف سنة نحو العراق والشام خاصة والبلاد السامية عامة وأثبت فيه ان اصل الكلدانيين والفينيقيين من العرب . فالكتاب كما ترى من أجود ما كتب في تاريخ العرب وفلسفة نهضاتهم والحامل لهم على انبعاث موجاتهم الكبرى لاسيما الموجة المحمدية الاخيرة التي غمرت وجه العالم المتمدن في عصر ظهورها . ولا جرم ان يحل الكتاب محله اللائق به من نفس كل محب للتاريخ العربي المجيد .

(له)

كتاب تحفة الارب

« بما في القرآن من الغريب »

تأليف ابي حيان الاندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ طبع في مطبعة الاخلاص

بجاء سنة ١٩٢٦ في نحو ١٥٠ صفحة

لا تخفى منزلة مؤلف هذا الكتاب بين أئمة اللغة والأدب كما لا تخفى الحاجة الى هذا الكتاب على احد من الفضلاء اليوم . لاسيما فتولي شؤون التربية والتعليم في البلاد العربية فان الطالب اثناء مدارس القرآن وتلقينه معناه قد تمر معه كلمة من غريبة تخفى عليه او على اسناذه والرجوع الى هذه الكلمة في كتب اللغة ليس من الحزم بل في شيء اذ ان لغرب القرآن معاني لا يسمح الرجوع اليها الا في كتب التفسير ، ومراجعة ذلك في كتب التفسير فيه صعوبة لا تخفى . فلم يبق امامنا الا ان نضع كتب خاصة في تفسير غريب القرآن تفسيراً موجزاً يناسب الطلاب وقد وضعت عدة كتب في هذا المعنى ولكن اوناها بالحاجة كتاب ابي حيان هذا الذي سماء تحفة الارب . لاحظ كل ما ذكر الاساذ العلامة الشيخ محمد سعيد النمسي مفتي حماة فانبرى لنشر هذا الكتاب وزاده فائدة بان كتب عليه تعليقة يبين فيها اوجه اقراءات السبع مع ذكر ما أغفله المصنف من غريب القراءات . وعهد الى اخيه العاضل الشيخ طاهر النمسي بتصحيح الكتاب وضبطه والوقوف على طبعه . فالتشكر لما مذكراً هذا الكتاب . الى المحتاجين اليه من اسانذة وطلاب .

(له)



كتب ورسائل مختلفة

(١) رواية الثورة الدرزية في الاراضي اللبنانية للسيد الياس جرجس شبل ابي نادر طبعت في المطبعة التجارية السورية الامريكية في نيويورك ١٩٢٦ ص ٦٢ .

(٢) ابنة المملوك رواية . مصرية تاريخية تمثل فجر نهضة مصر ايام محمد علي بين سنتي ١٨٠٤ — ١٨٠٧ جزآت في مجلد واحد تأليف الاساذ السيد محمد فريد ابو حديد طبعت بمطبعة الاعتماد بمصر ١٣٤٥ — ١٩٢٦ (ص ٤٣٥) .

(٣) «بساط الطيران» تأليف الدكتور احمد عبدالسلام الكرداني طبع مصوراً بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٤ — ١٩٢٥ (ص ١٧٦) .

(٤) «خاضرات الماضي واحلام المستقبل» مجموعة أدبية اجتماعية أخلاقية تأليف السيد عزت مقدم طبعت بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام ١٣٤٥ — ١٩٢٧ (ص ٤٨) .

==*«X»*==

هدية مطبعة المعارف

أهدى السيد نجيب منري صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر الى المجمع العلمي العربي واحداً وعشرين كتاباً من مطبوعاته التي ظهرت حديثاً منها :

- (١) كتاب وصف الآثار المصرية وسير مشاهير الرجال تأليف السيد محمد عبدالحليم عامر وفهمي فرح داود طبع سنة ١٩٢٦ في ١٢٠ صفحة صغيرة مصور . (٢) النيل في عهد الفراعنة والعرب تأليف السيد انطون زكريا طبع سنة ١٩٢٦ في ١٢٦ صفحة متوسطة مصور . (٣) السعادة والسلام تأليف اللورد افبري وتعريب السيد وديع البستاني وهو الطبعة الثانية سنة ١٩٢٦ في ٢٣١ صفحة صغيرة . (٤) معنى الحياة تأليف اللورد افبري وتعريب السيد وديع البستاني وهو الطبعة الثالثة سنة ١٩٢٦ في ١٢٧ صفحة صغيرة . (٥) جناية اوربا على نفسها والعالم تأليف السيد احمد فهمي طبع سنة ١٩٠٦ في ١٩٧ ص متوسطة . (٦) أبطال الحرية بقلم انطون الجميل طبع سنة ١٣٢٧ هـ في ٤٩ ص متوسطة مصور . (٧) رواية الصديق الجوهول تأليف السيد نقولا حداد في ٢٤٨ ص متوسطة . (٨) رواية الايمان تعريب صالح جودت طبعة سنة ١٩١٤ وهي في ١١٥ ص . (٩) رواية فناة مصر تأليف الدكتور يعقوب صروف في ١٩١ ص متوسطة . (١٠) رواية القضاء السري تعريب فيصر شميل طبعة سنة ١٩١٠ . (١١) رواية السموأل او وفاء العرب تأليف السيد انطون الجميل طبعة سنة ١٩٠٩ في ٩٥ ص متوسطة .

وغير ذلك من الروايات الأدبية العصرية فالمجمع العلمي يشكر اريحية هذا الفضل لهديه النفيسة في سبيل العلم والأدب .

مجمع اللغة العربية

(دمشق) : نيسان سنة ١٩٢٢ م الموافق شوال سنة ١٣٤٥ هـ

شيء عن اناطول فرانس (١)

سير العلم — القديم والحديث — الكلام عن اناطول فرانس — تراجم الكتاب —
مذهب اناطول في الشك — التناول — الحزن واسبابه — المسامحة — الحب —
الاسلوب المدرسي — الاسلوب الوجداني — طراز اناطول في النقد — لغة لافونتين —
ميل اناطول الى لغته — حرصنا على اللغة .

قال الاستاذ شارل ريشه احد اعضاء معهد باريز في كتابه (العالم) :
« بسير العلم في سبيله سيراً تحار ثواب الانظار في سرعته ، على ان العلم لا يزال في
عنفوان امره ورمان عمره ، فالعالم (ارخميدس) على نبوغ فضله وبراعته كان يجهل
ما يملأه المعلمون اليوم في المدارس الابتدائية ، وأجهل تلميذ من تلاميذ المدارس التجهيزية
يعرف من العلوم اموراً يحياها العالم (غليله) نفسه ، ما بين العالم (فرانكلان) وبين العالم
(انشتين) مائة وخمسون سنة ، فتصور سير العلم في مائة وخمسين سنة ! ما أعظم انقلاب
الأفكار ! لم يكن من قبل علم الاحافير ولا علم الجراثيم ولا علم التصوير ولا الطيران
ولا خطوط الحديد ولا حل الطيف الشمسي ، فلا يتجاوز عمر علوم البشر قرناً ونصف
قرن وما هو قرن ونصف قرن . المشي غير وثيد ، اننا نسير الى معرفة الاشياء على
سلسلة هندسية متزايدة ، وفي يوم من الايام سيكون للرجل بفضل ما يتيسر من العلوم
سلطان عظيم على المادة مما اختلفت اشكالها » .

(١) محاضرة الاستاذ المحقق السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع القاها في

ردهة المجمع يوم ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٢٢ م .

هذا ما ناله الاستاذ (ريشه) فلم يتجنب نهج الصواب في وجيز كلامه ، لقد ظهرت علوم في ايامنا لم تظهر من قبل ، فانبسط آفاق العقول فتبدل بانبساطها طراز التفكير وتغير نمط القدر ، وطلق الكتاب يتغلغلون في حقائق الامور ، فظهرت على كتاباتهم آثار هذا الانقلاب واختلفت اصولهم في التعمير عن الاصول التي كانوا يبنون عليها من الف سنة ، لقد تبدلت الارض غير الارض والسموات ، واستفحل العمران واستفاضت مذاهب الحضارة فأصبح الجهد على القديم متلفه للقرايح ، الا انه ما صكل قديم فاسد ولا كل حديث صالح ، واذا جازلنا ان نستعجن البكاء على الاطلال او وصف مراياض الغنم ومعادن الاوبل في عصر طارت فيه الطيارات ودبت فيه الديابات ، او اذا جاز لنا ان نستشنع الكلام عن قبة من اديم او مظلة من شعر او خباء من صوف او بجاد من وبر او خيمة من شجر او قنة من حجر في دهر ذهبت فيه القصور في السماء فلا يجوز لنا ان نشذ عن لغة نسجت أفوافها اللبالي وطرزت أبرادها الايام فوسعت ما بين السموات والارض .

لقد انقلبت العقول والافكار قنشاً النشط الحديث في الادب وليس في هذه الثورة الفكرية شيء يستكره اذا لم يكن معها ثورة تذهب بمحاسن اللغة والاسلوب فان الحياة تستلزم الحركة ولا ريب ، قال ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا المقيم :

« ومن ذا حذر على المتأخر مضادة المتقدم ، وله تأخذ بقول من قال : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، وتدع قول الآخر : كم ترك الاول للآخر ، وهل الدنيا الا ازمان ولكل زمان منها رجال ، وهل العلوم بعد الاصول المحفوظة الا خطرات الاوهام ، ونتائج العقول ، ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ، وله لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ، وما نقول لفقهاء زماننا اذا نزلت بهم من نواذر الاحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ، او ما علمت ان لكل قلب خاطراً ولكل خاطر نتيجة ، وله حجرت واسعة وحظرت مباحة ، وحرمت حلالاً وسددت طريقاً مسلوكة ، ولوافتنصر الناس على كتب القدماء لضع علم كثير ولذهب أدب غزير ولضلت افهام ثاقبة ،

ولمكات السن لسنة ولما نوشي احد خطابه ، ولا صلك شعباً من شعوب البلاغة ولجأت
الأسماع كل مررد مكرر وللفظت القلوب كل مرجع ممضغ .

ابو الحسين هذا حفظه الله من المجددين او المتجددين على ما يستنبط من كلامه ،
الا انه نشأ في عصر انتهت فيه اللغة الى ابعاد غايات الحسن وبلغت أقصى نهايات الجودة
والظرف ، فكانوا اذا نزعوا عن اللغة برذاً قشيباً خلعوا عليها برذاً أقشب ، واذا
جرّدوها من دهباجة طريفة ألبرها دهباجة أطرف ، وحسبي ان أذكر من أئمة ذلك
العصر ابن العميد والخوارزمي والصائي والصاحب والبديع والتمالي وأمثالهم من الذين
حدث بهم صناعة الانشاء ، وما بينهم وبين الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد الا فينة
من البصر ، فكانت اللغة في حصن حصين وركن ركين فلم يكن في تجديدهم خوف
عليها ، وما انحطت اللغة عن طبقتها الا لما ذهبوا بين سمع الارض وبصرها . اما
المجددون في هذا العصر فقد بالغت طائفة منهم في الامر ، حتى أصبح جديدهم تخالفاً
رئيسياً . فذهبوا الى إطراح كل قديم ومحدث ، وجاهلي ومختصرم ، واعرابي ومولد ،
فلم يستلج ذوقهم كلام الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد وأشباههم من اصراء البيان .
وزعموا ان أساليب المتقدمين لا تسع علوم هذا العصر ولا تستوعب طرائف الحضارة
وبدائعها فاذا بدّلوا أنماط التفكير لزهمهم ان يبدّلوا أساليب الكلام ، وهذا موطن القلور
في آرائهم . لأن ارتقى الفكر البشري في هذا العصر فان كلام العرب منخط عن طبقتة
في الجاهلية والاسلام . فاذا لم يبالغ كلامنا اليوم مبالغ كلام المتقدمين فأبي عذر لنا
في الشذوذ عن أساليبهم ، وكيف نزع ان لغتنا اعلى من لغة القرآن والمنسحبين على
أذبال القرائن .

ترجم الدكتور اردروس القرآن الى لغته الفرنسية بعد ان استعد لهذا الامر
عشرين سنة وقد كتب عن هذه الترجمة الاستاذ بارلوسكي مقالة في مجلة
(Les Annales) جاء في خاتمتها ما يلي :

« لقد بلغ من تأثير القرآن في قلوب الثلاثمائة مليون مسلم مبلغاً أجمع معه المبشرون
على الاعتراف بانهم لم يستطيعوا ان يردوا مسلماً عن دينه حتى اليوم . واستنتج الدكتور
من ذلك ان الحكمة اذا وضعت مواضعها وأنزلت منازلها كانت سحرأ حلالاً » .

فمن الذي يتجرح اليوم بان يأتي بكلام ينزل على أكباد ثلاثمائة مليون رجل نزول الماء الزلال على الكبد الحارتي . فاللغة التي تخرج عليها طائفة المجددين هي لغة جمهور من الكتاب والخطباء والشعراء تدارسوا كلام القرآن حيناً من الدهر طويلاً حتى وصلوا الى ما وصلوا اليه من شعاب البلاغة . يزعم هذه الطائفة انها نذهب مذاهب الغربيين في كتابتها فكأنما خيل اليها ان أدباء الغرب لا يبالون بقدماء كتابهم وشعرائهم . هذا اناتول فرانس باقعة دهره !

تحدثت اليه بلاغة المتقدمين فخل في الاوتشاء المحل الارفع حتى اطبق أدباء وطنه وفيهم عدوه وصديقه على الاعتراف بان اناتول حفظ اللغة في القرن العشرين ، فلم يتطرق اليها الفساد ، فلولا حرص اناتول على اللغة القديمة وتعلقه باهلهائها لم يكن له المنزلة الرفيعة في الأدب .

وما اللغة القديمة التي يحرص عليها اناتول الا لغة المدرسين اي لغة القرن السابع عشر والقرن السابع عشر أطيب عصور الأدب الفرنسي ، فقد بلغت فيه اللغة المبالغ وبينها وبين لغة كتابنا البلغاء امثال ابن المقفع شبه عظيم وان رجلاً حفظ لغة قومه لجدير بان نعرف سيرته ، وننقل طريقته .

الكلام عن (اناتول فرانس) بعيد الشقة ، مترامي الاطراف ، فلا يأمن الغائص على هذا الاولو المكثون ان يغرق في لجة خضم ملتطم الأمواج . واني أخاف اذا حاولت ان اقول عنه كل شيء ان لا انول شيئاً . واني لأخشى اذا اردت ان اعرض على الجمهور كل طرائفه ان لا اعرض طريفة . فأثرت ان أتم باناتول المائتاً دون الافاضة في مطولات اخباره وآرائه . ولو اردت ان أشبع القول في عبقريته لعمدت الى كتب ومجلات وصحف شتى توغل اصحابها في هذا الافق المبسط كل متوغل . بيد اني احببت ان أبرز آثاراً بقيت في نفسي ورسوماً رسمت في ذهني من مطالعة بعض كتب ألفها اناتول فرانس . واني ارى ان الباحث عن ادب من الادباء اذا اجتمعت له عناصر البحث وتوفرت لديه مواد الشقيب لزمه ان يكون مستقلاً في حكمه ، حتى يكون هذا الحكم صادقاً ، ولكنه اذا تقل ما قاله الناس دون اعمال فكره كانت الصورة التي يعرضها مزورة مرقشة .

ولد اناتول فرانس في باريس سنة ١٨٤٤ فكان لمشاهد جواد باريس الجميلة تأثير كبير في ذهنه فقد كانت هذه الجواد يومئذ هادئة مخضلة فكان اناتول يسرح الطرف في قصر (الوفر) و يصبو النظر و يصعد في قصر (مازاران) فلأت هذه المباني عينه ، وغمرت قلبه فتمتع خلقه بروقتها وخرج فر يحمته برقتها ، ولم يصدق إنها من آثار البشر . فكان الشك يخلج في صدره ، وقد بعثه تأمله هذا على الشغف بالفنون والحسين الى الماضي وكان ابوه كتيباً فأبقت فيه هذه الحرفة وأما بالادب القديم و بالكتابة .

من محاسن ادب الافرنجة انك اذا تفرغت للكلام عن اديب من أديبهم او شاعر من شعرائهم او خطيب من خطبائهم الى غير هذه الطبقات من الناس الذين يقبلون العالم بنسج طبائهم وصبك افهامهم وصوغ اذهانهم وجدت في بعض الاحايين مجال القول ذا سعة ، فانك لا تشاء ان تعرف شيئاً عن اخلاق هذه الطبقات وآرائهم وعاداتهم وثقافتهم وادبائهم ونشأتهم ومخفائهم وحياتهم الا عرفت . وقد بالغوا في ذلك فوصفوا في كتبهم كيف ولدوا وكيف عاشوا وكيف رباهم ادبهم . ووصفوا اخلاق آبائهم وأمهاتهم فيعيدون كل شاردة و يبدون كل نادرة وقد يتولى اديباؤهم وصف حياتهم باقلامهم ، والمرء اعرف بيواطنه وكوامنه من غيره ، وهذا النمط قليل في ادب العرب . من هؤلاء الكتاب الذين وصفوا في كتبهم بدأة حياتهم وميعة شبابهم اناتول فرانس فهو يرى ان اتقان الكتاب لهذا الطراز اشد من اتقانهم لغيره فانهم يجدون لذة في هذا الوصف فيحملون القراء على مشاركتهم في اللذة ولما ينزل الوحي على كاتب مثل ما ينزل عليه وهو يكتب عن خزانة ولواعجه ، فأجمل كتب روسو « اعترافاته » واجمل كتب شاتو بريان « مذكرات ما وراء القبر » .

الف اناتول فرانس اربعة كتب رائعة تصرفت به الكلام في تصوير حياته كل منصرف ، واناتول فرانس كلف بالاستطراد في كتاباته فهو يخرج من الجد الى المزل ، ومن الحزن الى السهل تقياً للكل وبعداً من الملل فكثيراً ما يجب ان يلهو في سبيله ، فاذا مضى لطيفته ولم يلو على شيء وصل الى غرضه في طرفة عين وهذا

ما لا يريد ، فانه يرى اللذة في الجيئة والذهوب لان الثقل في الكلام مدرجة الى الله وهذا هو طراز الجاحظ في الكتابة والتأليف .

كان والد اناتول يرى في اول نشأة ولده ان عقل كلبه يتموا اكثر من عقل ابنه ، فلم يقع في خلده انه يأتي يوم يصبح فيه اناتول مفرداً علماً يملأ الدنيا ويشغل الناس . وقد كان بين اناتول وابيه ١٠٠ ثلاث في المعتقد والذوق فكان والد اناتول يؤمن بالله يختلف عن هذا العالم ، و يروح يختلف عن هذا الجسم ، اما اناتول فانه لم يمتع بما وراء الطبيعة ولم يصدق كل ما يقال له . وقد شرع وهو طفل صغير في تعلم الكتابة فحاول ان يكتب في اللاهوت والاخلاق فافتتح كتابته بهذا الكلام « ما هو الله » وعرض البارة على أمه فأوعزت اليه في وضع علامة الاستفهام بعد كلمة « الله » إشارة الى انه يسأل عن امر يحمله ، فاستعصى وقال : اني اعرف الله ولا استفهم وطال الجدل بينهما وامتنع عن وضع العلامة .

قال اناتول : وقد تغير نظمي من ذاك الحين فاني لا امتنع عن وضع علامة الاستفهام في كل مقام مناسب وقد أعرض لوضع هذه العلامة في كل ما اكتب واقول وفي كل ما أفكر فيه . ولو تراخى اجل أمي لقالت لي « لقد تجاوزت الحد يا اناتول » وفي هذا الكلام إشارة الى ان اناتول يشك في كل شيء في العالم . فان فلسفته الشك ، ووضع علامة الاستفهام بعد الكلمة المانع الى الشك ، على انه يقول معها كان شكنا الفلسفي فانا مضطرون الى ان نعمل في الحياة كأننا لم نشك في شيء . فلم يكن مذهب اناتول الشك المطلق فهو يخشى مائتين السكتين الجافتين « انا اشك » لان المرء اذا كان شك في الامور وجب عليه ان يسكت فالكلام اثبات واناتول لم يجرأ على السكوت والاعتزال فقد شاء ان يؤمن بآمن الا انه آمن بان الامور نسبية في هذه الدنيا .

كان اناتول يرى ان ايمان ابيه بالله هو الذي جعله متفائلاً بالحياة ، الا ان هذا الوالد كان مع تفاؤله سوادواً قليل الضحك قليل الميل الى الميزاة ، اما اناتول فقد اخذ عن ابيه مذهب التفاؤل الا انه كان فرحاً في حياته على خلاف ابيه ، فقد نظر الى الحياة من وجهها الصحيح فلم تغلب عليه السواداء التي غلبت على ابيه ، ولا مثلت له

الأوهام أموراً لا حقيقة لها ، فليس في الدنيا على ما يقول حياة حسنة ولا حياة سيئة ، لا شيء شريف أو معيب في ذاته ولا شيء عادل أو غير عادل ، لذبح أو أليم ، صالح أو فاسد . وإنما الرجل هو الذي يجمل صفات للأشياء كما يجمل الملح طعاماً للآكل . هذا هو رأي اناتول في الحياة وهو يقول من عاش طمحت نفسه فطلب المطالب وبقدر ما يحسب المرء أن مطلبه حل أو مرّ تكون الحياة في نظره حسنة أو سيئة . يألم الرجال لأنهم ليس في أيديهم ما يظنون أنه خير أو إذا صار إليهم هذا الخير خافوا ضياعه ، ويألمون أيضاً لأنهم يكابدون ما يظنون أنه شر من الشرور فإذا بطلت هذه المعتقدات ذهبت آلامهم ، والناس سواء في عجزهم عن عمل الخير والشر فإن الخير والشر لا أثر لهما إلا في الرأي . والعامل من الناس يرى العادة والمصطلح أملاً كل شيء . هذا هو معنى كلامه « الأمور نسبية في هذه الدنيا » . وقد قذف أبو الطيب المتنبي هذه الفلسفة في بيت فقال :

راعتك رائعة البياض بفرقي ولو أنها الأولى لراع الاسم

البشر في نظر اناتول هم الذين يستجلبون العذاب إلى قلوبهم ويدخلون الآلام على نفوسهم فاسمع ما قاله في الحزن وكيف علله .

« أشد ما يكون حزننا باستجلاب العذاب إلى قلوبنا ، وأعظم ما تكون مهارتنا في جر الألم إلى نفوسنا ، لقد ضا غمنا آلامنا ونمنا نقصها نازلاً اللذة لحواسنا . لقد ظهرت منذ بدء الخليقة ونشوء العالم امرأة مقنعة اسمها «الوידاء» ولكن فلنعدل دون شيء من الاشتطاط فقد أضفنا ولا ريب بعض الشيء إلى احزان النفس ولكل منا نصيب في إنشاء هذه الآلام ، آلام الروح .

العلم لا ينشي شيئاً من السعادة ، فقد قطعنا ثمر شجرة العلم واكتناه ، ولم يبق منه في الأفواه إلا طعم الرماد . لقد مشينا في مناكب الأرض وخانطنا أمتنا حتى منها السود والحمرة والصفر ، وبأن لنا اختلاف البشرية ، ورأينا أن هذا الاختلاف أعظم مما كنا نتصوره ، ووجدنا أنفسنا أمام أخوات اجانب لا تشابه أرواحهم أرواحنا إلا بقدر ما تشابهها أرواح الحيوانات ، ثم جلنا في الفكر كل مجال فقلنا ما هذه البشرية التي نغير سماتها وأرواحها وألحيتها بتغير مبادئها ، كنا لا نعرف من الأرض إلا حقولها التي كانت تخرج لنا الحبرات وكانت هذه الأرض كبيرة في أعيننا فلما عرفنا مقامها

في العالم تصور لنا صفرها ، فقد علمنا انها ما كانت الا قطرة طين ، فوضع هذا العلم منا ، وكنا محوئين على الظن بان اشكال الحياة والعقل كانت اعظم مما تمثل لنا ، وان في الكواكب والعوالم بمجامعها مخلوقات تفكر ، ففهمنا بعد ذلك ان عقلنا صغير . ان الحياة في ذاتها لا هي طويلة ولا هي قصيرة . والاعترار الذين يقيسونها بالنسبة الى مدتها الوسطى يقولون والحق يقولون ان المرء اذا مات بعد ان يخطه الشيب فقد قضى لبائنه من الحياة ، اما نحن فما ذا صنعنا ؟ فقد شئنا ان نحزر عمر الارض القديم وعمر الشمس وما نحن الآن تقبس حياة البشر على ادوار طبقات الارض وعلى اعمار العوالم فرأينا بعد هذا القياس ان الحياة قصيرة ، غرقنا في بحر الزمن والمسافة فتبين لنا اننا لم نك شيئا فنثقل علينا هذا الاثر ولم نشأ ان نقول شيئا بسبب كبريائنا فتجبلنا واصفرت وجوهنا والخطب الجلل ان ايماننا ذهب بذهاب جمالتنا الحسنة ذهب رجائونا واضمحل املنا فلم تؤمن اليوم بالذي كان عزاء لآبائنا وهذا شديد علينا ، فقد كانت الايمان يجهن انفسها يطيب ويمذب .

ومما زاد في يؤمننا ان تكاليف الحياة المادية اصبحت اثقل من قبل ، فان الجماعات الحديثة قد جوّزت ضرور الأثاماني فاستثارت بذلك كل مجهود . واصبح التزام على الحياة والنزاع فيها اشد من كل دهر وصار الظافرون احمق ، والمتكسرون اعظم انكساراً ، لقد اضعننا حب الخير بضياح الايمان والرجاء . وكانت هذه الفضائل الثلاث تحمل الأرواح البائسة على ظهر هذا البحر ، ببحر العالم ، فمن الذي يأتينا اليوم بالايمان والرجاء وحب الخير ! »

كان انا تول سعيداً في حداثة سنه ولكنه يقول : السعداء لا يعرفون اموراً كثيرة عن الحياة فالألم هو مهذب الرجال الأكبر والألم هو الذي علمهم الفنون والشعر والأخلاق وهو الذي اوحى اليهم البطولة والشفقة وهو الذي جعل قيمة للحياة عندما يغامر الناس في حياتهم . ومن كان متفائلاً بالحياة فأخلق به ان يكره الموت ، ويخاف شدته ، وانا تول من الذين يكرهون الموت قال :

كان الموت في كل دهر من الدهور مخوفاً فظيماً ، ومهما قالوا لك لا ينبغي لمرة ان تأخذه المخافة من ظلمة اللحد وضيق الأرماس فما الموت الا العذم فالرجل يجيب عن مقامه هذا بان الساعة الأخيرة تملأ القلوب خوفاً ورعباً . كان الاغريق يرهبون غم الصريح ويخشون هول الموت الا انهم لم يقبضوه ولا تشعروه ، فان مخيلاتهم فسدت زينت كل امر من امور الدنيا وجعلت لقلع الحياة بهجة ورونقاً اما القروى الوسطى فقد هوت عليهن بنار جهنم وخوفنا بمخيلات كثيثة مستكرهة فصورت لنا شياطين تمر بنا فتتزع من بين جوانب المذنبين ارواحهم ورعبنا بصور المقابر الحزينة واشكال الهياكل العظمية والديدان التي تأكل لحم الاجسام الفاسد وعلى هذا كان الموت شديداً .

ولم يذهب هول المقابر الا في القرن الثامن عشر فقد كانوا يعملون في اعالي القبور الاواني المستظرفة والرياحين والأزامير فكانت هذه القبور زينة بساتين الانسكيز وحدائقهم .

لم نجمع باريز وحدها باناتول فرانس وانما فجعت به البشرية برمتها ، لان اناطول رجل الانسانية وليس حظ وطنه منه باوفر من حظ العالم بأكمله . يقول اناطول : لا يكون الواحد منا انساناً الا اذا أشفق على أخيه ، فلا يليق بنا ان نستحيل جلود صخر فلنشقى على الضعفاء لانهم يألمون من الأتربة ولنأف بالسعداء في هذا العالم فقد جاء في الكتاب « ويل للذين يضحكون » .

كان اناطول شقيقاً على الضعفاء وقد بلغت به شفقة المبالغ فكان عطفه على الضعفاء الذين يألمون من الضمء مثل عطفه على الضعفاء الذين ينشأ ضعفهم عن أعصابهم فيذهبون في الحب كل مذهب ، ألف الكساندر دوما رواية يبحث فيها عن مقتل رجل لزوجته لخروجها عن العفاف . قال اناطول « لو كنت قاضياً لما برأت القاتل من جنائنه اللهم الا ان يطبق اطباء الشرع على انه مصاب بفالج في جملة اعضائه ، ولا عجب في ذلك ، فان قتل المرأة لأمر عجاب وهيئات ما يطاق الذين يجترؤون على اشياء هذه المذامح . لا ريب في ان زوجة هذا القاتل كانت فاسدة الخلق ، ذات غرائز سيئة ، ولكن هل نسأل عن غرائزنا ، ألم بك للتربية والميراث تأثير في اعمالنا . فمن موجب الاسف اننا نولد معوجين لا سبيل الى تقويم اعوجاجنا ، اننا نولد شبيهاً لا شبهاً . لو فكر القاتل

في العناصر التي تؤلف جسم زوجته اللطيف لما حطم هذه الآلة الدقيقة ، ولكن غفر لهذه الروح المظلمة جناية أعصابها ودمها . اسمع ما نقوله الفلسفة الطبيعية في شعرها « ان لأمر الحب أسراراً غامضة ، ان غرائز المتقدمين التي كانت في الاصل تجمع في بطون الغاب بين أطراف الأبدان المرأة هي نفسها التي تقلق اليوم المرأة تحت ثيابها النفيسة . ما فتئت المرأة تحفظ دم حواء الغابات الكبيرة على علمها بالخفر ، وحرصها على القوانين » .

يعرف انا تول كل ما يستوجبه الأدب ومعاذ الله ان يذهل عنه ، ولكنه يرى ان الرأفة هي احسن الفضائل وان الفلسفة الطبيعية تعلم المسامحة وفضلاً عن ذلك فاذا جاء امر الحب فلا نجد الى التمييز سبيلاً — حبك الشيء يعني ويصم — الحب في رأي انا تول فرانس هو اللذة التي تحمل الأنواع الحيوانية على التزاوج والناسل ، فهو عنده بمنزلة بقاء النوع عند علماء التاريخ الطبيعي ، وقد آله في كتاباته ، فهو في نظره أقدم الآلهة .

لما ولد هذا الآله لم يكن في العالم اثر من آثار العدل والعقل فلم يجد هذا الآله النمس شيئاً يخلق به دماغاً وعيوناً وآذاناً . ولد أعمى فهو الآن على الصورة التي ولد عليها وسيبقى على هذا الشكل في كل دهر ، يعمل فيخبط في اعماله خبطاً دون شيء من الروية ، التي نظرة على اعماله انها عظيمة ! لقد خلق كل شيء ولكنه خلق بغير عقل ولا فهم ، لقد برأ في اول الامر . حيوانات الله درها من حيوانات ! انه خلق أصدافاً وأسماكاً وزواحف ، وقد كان هذا الآله يومئذ يعيش في الماء ثم حدث على سبيل الاتفاق والتدرج طرائقه فخلق الحيوانات اللبونة ، التي اتعبته وأجهده ثم خلق القردة فبعث القردة زمناً طويلاً آياته الرائعة ، وقد خلق الانسان بعد القردة فلم يغير هذا الآله من طبيعته ، ولم يبدل من طريقته ، فبقي اعمى كما كان ولم يستعن بالعقل ولن يستعين به مبخيس اليبالي وهو محق في ذلك لان الحياة سرعات ما تنتهي اذا كانت نشرها معقوداً بالعقل .

ان هذا الآله اعمى ولكنه يفردنا والشر كل الشر في ذلك ولكنه شر ابدى ، لان الحب بدوم ما دامت العوالم ، اننا نقاومه ونستولي عليه اذا كانت اخضع منا ،

ولكنه اذا اشتد استولى علينا وهذا ما يسمونه : منازعة الهوى ومثل الارادة والعزيمة كمثل كفتي ميزان فالكفة الثقيلة هي التي ترجع وتميل .

هذا هو الحب في نظر اناثول فرانس فقد كان سبب حياة الحيوانات من أدناها الى ارقاها ، وهو غريزي في البشر من مبدأ الخليقة الى منتهاها . وهذا ما حمل اناثول على الرأفة بالفاجرة التي خرجت عن العفاف لانها لم تخرج عنه الا بعوامل غريزية ممكنة من لحمها ودمها وأعصابها فلا سبيل لها الى التخلص منها . . .

قلت في صدر المحاضرة كانت بين اناثول وبين ابيه اختلاف في المعتقد وقد امتد هذا الاختلاف الى الذوق فقد كان اناثول يميل الى النمط المدرسي ، ما هو النمط المدرسي ؟ بعد ان همت شآبيب الثورة الفرنسية ولعبت عوارضها انفجرت ثورة أدبية خلقية قلبت طرائق التفكير والحس واسمها النمط الوجداني بدأ بها مدام سنال وشانويريان وتجسست في اربعة شعراء كبار وهم : لامارتين وموسه وفيني وهوغو كان المدرسيون أمثال الشعراء بوالوراسين يرون ان يمثلوا في فنهم جمال الحياة ويعتبرون العقل في الشعر الملكة الغالبة ويفتخسون عن التاريخ القديم نماذج فيهم ويستنزلون وحيهم من سماء الامم المقدمة تخرج الوجدانيون على هذه القواعد بمخاديفها وهدموا بناء المدرسين ، فرأوا ان يمثلوا في فنهم كل ما هو شنيع ومضحك في الحياة ، وان يكون الخيال الملكة الغالبة ، وان يستنزلوا وحيهم من ادب الامم العصرية فيأخذوا عن غيتي وشار وبايرون وشكسبير ، فبدلاً من ان يكتبوا عن اساطير الاولين كتبوا عن الفن النصراني في القرون الوسطى .

فاناثول فرانس كان يميل الى الفن المدرسي اي انه كان على النمط القديم ، وله في النقد أسلوب خاص فهو من فرقة النقد الذاتي فانه يعتنق فرصة ظهور كتاب من الكتب فيفصح عن خواج نفسه ، ويعرب عن رأي يخامر ضميره وقد جمع رسائل نقده في اربعة كتب سماها « الحياة الادبية » تكاد هذه الكتب تكون ممثلة . يرى اناثول ان النقد انما هو ضرب من الروايات على نحو الفلسفة والتاريخ تستعمله العقول النطنة الطلعة وكل رواية اذا فهمناها كل الفهم انما هي ترجمة المؤلف بقلمه ، فالناقد الحاذق هو الذي يروي خواج نفسه في اثناء روائع المؤلفات وهذا الطراز في النقد يسمى النقد الذاتي ،

قال اناتول : « لا يوجد نقد موضوعي اكثر مما يوجد فن موضوعي ، وكل الذين يتجحون بانهم يظهرون في مؤلفاتهم شيئاً غير لواعج انفسهم فهم واهمون ، فالحقيقة ان المرء لا يخرج من نفسه ابداً وهذا من اكبر شقاء الانسانية . »

اننا محبوسون في انفسنا فكأننا في حبس ابدى ، فالذي يليق بنا ان نعمله هو ان نعترف بجلالتنا الفظيعة ونقر باننا نتكلم عن انفسنا كل ما عجزنا عن السكوت فاذا كان الناقد حراً وجب عليه ان يقول :

« سادتي اني اريد ان اتكلم عني في اثناء كلامي عن شكسبير او راسين او باسكال او غيتي فان في ذلك فرصة جميلة . »

قال اناتول تعرفت الى المسيو كوفيليه فلوري وقد كان ناقداً قديماً ، وفي ذات يوم انطلقت نحوه وهو في داره الصغيرة فأراني مكتبته الحقبيرة التي كان يفخر بها وقال :

« سيدي انك لتجد كل الأنواع ممثلة في هذه المكتبة كالبلاغة والآداب الرفيعة والفلسفة والتاريخ ما خلا النقد فانه يحيط بكل الأنواع ، نعم ياسيدي فالناقد يكون نارة خطيباً ، ونارة فيلسوفاً ، ونارة مؤرخاً . لقد أصاب المسيو كوفيليه فلوري في كلامه فالناقد يجمع كل هذه الصفات او انه قد يمكنه جمعها فاذا أراد ان يبرز اندر القوى العقلية واشدها تنوعاً واختلافاً امكنته مناهض القرص ، وهو يعمل تاريخ البشر العقلي من دون ان يخرج من نفسه ، فالقند من حيث التاريخ هو آخر صيغة من الصيغ الادبية كلها وربما وصل الى استغراق هذه الصيغ كلها فانه يليق كل اللياقة بالجماعة الممدنة التي تكون ذكراً كثيراً وثقلايدها طوبلة وعلى الخصوص فانه مناسب للجماعات الطامة ، المتعلمة ، المصقولة ، ونقدم النقد يستلزم ثقافة اكثر مما تستلزمه كل الصيغ الادبية الباقية . ابتدع النقد مونتان وبانتوف وهبل ومونتسكيو فانه يتجذر من الفلسفة والتاريخ وقد استوجب انتشاره وثرقيه جيلاً اطلقت فيه الحرية العقلية . »

هذا هو نظر اناتول فرانس في النقد وقد كان نقده اشبه شيء باحاديث بطارحها اهله وخطائه وكان يسير فيه سير المتنزه . فيقف حيث يطيب له الوقوف ويستمرسل الى اذواقه وخیالاته على شرط ان يكون في هذا كله صادقاً ، أميناً ، رؤوفاً فلا يريد

ان يعرف كل شيء ولا يشاء ان يفسر كل شيء ويعتقد باختلاف الآراء وتباين
العواطف ويتكلم عما يجب ان يجب .

شغف اتانول فرانس بالنمط القديم شغفا عظيماً ، فانظر الى رأيه في هوغو وهو
من اكابر الشعراء المجددين .

« لا جرم ان علاج هوغو للكلمات كان اكثر من علاجه للالفاظ فقد ظهر انه
أدجج في أسس الفلسفات طائفة من الخيالات والاحلام منقطعة مبتذلة ، واندي بولنا
وينزعنا اننا لا نرى في تأليفه الكبيرة بين الكثير من اشخاصه الفظيعة صورة بشرية .
قال الأندريه : الرجل مقياس كل شيء الا ان فيكتور هوغو جاوز كل قياس لانه
غير انساني ولم ينكشف له قط سر النفوس . لم يخلق هوغو ليفهم ولينجب ، وقد شعر
بذلك من غريزته ولهذا فقد أراد ان يدهش الناس وقدر على ذلك حيناً من الدهر
طويلاً ، ولكن هل يستطيع المرء ان يدهش غيره في كل وقت . عاش فيكتور هوغو
ثلاثاً تسكره الألوان ورنات الأصوات وقد أسكر العالم بذلك . هذه هي عبقريته
كلها انه ذوافكار غريبة وانه متفنن منقطع النظر وهذا شيء كثير ولكنه ليس بكل شيء .
هذا هو رأي اتانول في هوغو فان اتانول شغف بلغته القديمة ، ذاهب في الحرص
عليها كل مذهب ، ولع بفردات اللغة لانه يرى في هذه اللغة صورة وطنه وقومه من
قديم الدهر وحديثه ، ومראה تنعكس فيها حضارة أمته ، فاللغة ملكة عليه عقله ولبه
فهو يحب معجمات اللغة لانها تحتوي على شيء جميل نفخ فقد قال :

« انظر الى معجم غازيه او غيره من المعجمات ، وتصور انك ترى روح وطننا في
هذا المعجم ليتصور ذهنك ان في هذه الصفحات عبقرية فرنسية وطبيعتها . ليتصور ذهنك
ان فيها أفكارنا وأفكار اجدادنا ، وأفراحنا وأفراحهم ، وأعمالنا وأعمالهم ، وآلامنا
وآلامهم . لينظر يبالك ن في هذا المعجم آثار الحياة العامة وحياة الدور والمنازل ،
وآثار الذين استنشفوا الهواء الصالح وشموا النسيم الرقيق الذي تشمه اليوم . لينظر
يبالك ان كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الأفكار كان فكر طائفة من البشر
لا يعلم عديدهم ، وعاطنة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم ،
ليحس في صدرك ان كل هذه الكلمات المجموعة انما هي لحم الوطن والبشرية ودمها وروحها . »

بحث اناطول فرانس في كتابه «العبرية اللاتينية» عن لغة الشاعر لافونتين فقال :
 كان لافونتين يولع بالكلمات ويعرف كيف ينتخبها ، ولا يكون المرء كاتباً الا اذا
 حسن اختياره للألفاظ . فالمكلمات هي افكار ، ولا سبيل الى الإصابة في الحكم
 الا بالتمكن من النحوي والمفردات الصحيحة . واخذ ان الشعب الاول في العالم انما هو
 الشعب الذي يملك احسن الاصول في النحوي وتنسيق اللفظ . قد يقع في أغلب الحالات
 ان الرجال يتساحرون بسبب كلمات لا يدركون معانيها ، ولو فهم بعضهم كلام بعض
 انما اتقوا . ولا شيء يعمل على رقي العقل البشري مثل معجم بضيء طلمة كل شيء .
 اني لا اجد عناء في بيان المآخذ التي أخذ عنها لافونتين أسلوبه ، لقد أخذ عن
 المتقدمين من الشعراء والنصائص ، يحب لافونتين العبارات القديمة فاذا وقع نظره على
 كلمة قديمة بجزلة المعنى استخرجها من موضعها واستعملها في شعره في المقام المناسب .
 وقد استعمل ايضاً في أشعاره عدداً كبيراً من التعابير التي استعملت في عصر غير
 عصره ، ولكنه اعاد الى هذه التعابير شبابها .

فلا ينبغي لنا ان نضع شيئاً مما يمكن ان ينفعنا ، وهذه حكمة اقتصادية تنطبق على
 كل الخيرات ، فهي تنطبق على خيرات اللغة كما تنطبق على غيرها فاذا أضاعت كلمة
 طيبة الأصل معناها الاول واصبحت لا تستعمل الا في معناها الخاص او في معناها
 المحرف ، فجدير بالكاتب الحكيم ان يعيد الى هذه الكلمة سعة معناها الاول ونسحقته
 وعلى هذا مشى راسين ولافونتين . ثم قال :

يتبين لنا ان لافونتين الذي استعمل هذه الكلمات كلها لم يختبر شيئاً منها وليعلم
 الانسان ان مذاق الكتاب هم في الأعم من الأحوال قليلو الميل الى توليد الألفاظ ،
 فان كنز اللغة المشترك كاف وهذا الكنز لا ينقب فيه الذين يكتبون على السواء ،
 فكثير منهم لا يجدون فيه ما يحتاجون اليه اما لكسلهم واما لفقدان عبقريتهم .
 اما لافونتين فقد استخرج منه كنوزاً .

وبعد ان اشبع اناطول الكلام في لغة لافونتين قال :

« اتنى لو ان آرائي هذه تقوي في بعض العقول محبة لغتنا ، لقد تغيرت هذه
 اللغة مرات كثيرة ، ولكن لم تتغير الا بحاسنها . لقد قوي امرها ، وانبسط أفقها »

واغناها كل نشء من عنده بكلمات تدل على افكار وعواطف وانراح وآلام وعلى
مجهود ملايين من الناس ، لقد جاءت اليك على هذا النحو مترعة الجوانب من قرن
الى قرن ، وهذا الميراث الوطني عزيز على كل النفوس التي تحب وطنها .

هذا بعض ما تمثله الخاطر وتصوره البال من آيات اناطول فرانس ، وما ذكرته انما
هو غيض من فيض . ولئن فاني كثير من صوب عقله ، ونسج طبعه . فلا يفوتني
حفظه لغة قومه في القرن العشرين ، ودعوته شباب وطنه الى محبة لغتهم . فقد ملكت
عليه لغته مشاعره ، احسن اليها ولم يسيئ ، وبرها ولم يهق ، واشفق عليها ولم يك
جباراً عنيداً ، ولم يرفها رأي طائفة من أدبائنا في هذا العصر رغبوا عن لغتنا القديمة
كل مرغى ، وانقبضوا عنها كل منقبض على انه ما ادخرت الآباء للابناء ، ولا أبقى
الموتى للاحياء شيئاً افضل من هذه اللغة . ولئن عبت الايام بمد يد ملكتنا فانها عجزت
عن العبث بميراثنا الوطني وهواللغة . صارت لغتنا لغات شتى تعانبت في آفاق الشام من
قديم الدهر^(١) فصرعت هذه اللغات بمخازيرها ، بعد ان سلبت حضارات اهلها اجل
جمالها واحسن جسيمها وتمكنت في ربوع الشام وكثير من بقاع الارض تمكن الاحياء الذين
صار عنهم الطيبة . وصارعوها ومارستهم ومارسوها فعجزت عنهم فتركهم وشأنهم
يستضيئون بضياءها ويستنشقون من نسيمها ، اشتملت لغتنا على بدارة الجاهلية وحضارة
الاسلام . واستوعبت شدة بني أمية ورخاوة بني العباس . ولئن درست رسومنا
وطمست آثارنا فأضمننا ما أضمننا فقد بقي لنا رسم حفظ لنا ما قدفت به الخواطر وجاشت به
الصدور . فرحم الله امرءاً تعهد هذا الرسم وثقده ، فزاد في محاسنه ونقص من مقابحه ا

— — —

(١) ألق نظرة على الجزء الاول من خطط الشام للاستاذ العلامة رئيس مجموعتنا
العلمي ، وتدبر فيه فصل « لغات الشام » البارع

قانون البلاغة

— ٤ —

قال الاصمعي : البليغ من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر . وقيل للعتابي :
ما البلاغة فقال : كل من أفعمك حاجته من غير إعادة ، ولا حبة ولا استعانة فهو
بليغ . فان أردت اللسان الذي يروق الألسنة ، وينوث كل خطيب ، فإظهار ما غمض
من الامر ، وتصوير الباطل في صورة الحق . واعلم أسعدك الله أنه لا يتسع جريك
في مضمار البلاغة ، وان كانت القرينة في نهاية الذكاء والثقافة ، الا بالاتساع في
دراسة العلوم ، والافتنان في الآداب ، وحفظ مجامع اللغة ، والنظر في احكام الكتاب
والسنة ، لتتقنه في حسن المنطق والتفهم في معرفة الألفاظ ، فلا تبذع في بداهة بل
تقول (في خطاب) كذا (او كتاب ابتداء) وجواباً عن جواب لفظ من اللغة ، او استعجام
غريب من القول عليك ، فيكتشفك من الحصر ما اكتنف (عمرو بن مسعدة عند
مجادلة الحائك إياه : فانه حكى يوسف بن حماد قال : سمعت عمرو بن مسعدة^(١)
يقول : كنت مع المعتصم مقدمه من الثغر فلما بلغنا الرقة قال لي : يا عمرو
الا تعجب من دأود بن سليمان الرجعي^(٢) بالاهواز وفي بيت المال ونيله الدنيا :
عنده اموال مجتمعة وقد كتب اليّ بأشياء لا يعذر مثله في مثلها فاخرج اليه
حتى تحمله في الحديد ونقل ما قبله من المال فخرجت فيينا انا اسير بين دير هرقل

(١) في الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ان هذه القصة وقعت للرشد مع
وزيره عمرو بن مسعدة (راجع ص ١٥٦ من الجزء الثاني طبعة محمد مصطفى فهمي
المصرية) وفي العقد لابن عبد ربه انها وقعت للمعتصم مع عمرو بن مسعدة وهو غير
صحيح لان عمراً هذا توفي سنة ٢١٧ . وفي هامش النسخة الاصلية هكذا : طبقات
الكتاب المشاهير عبد الحميد وابن العميد واحمد بن يوسف واسماعيل بن صبيح وعمرو بن
مسعدة . (٢) قوله الا تعجب الى آخره مكان هذه العبارة من كتاب الامامة والسياسة
ما نعه : ما زلت تكلمني وتسلطمني في الرجعي حتى وليته الاهواز فقعدي في سريرة الدنيا
بأكلها خضماً وقضماً ولم يوجه اليها درهماً ، فاخرج اليه الخ .

ودير العاقول في وقت الهاجرة في زلال^(١) فيه خيش وثلج ، سمعت صائحاً ينادي باملاح صوتاً بعد صوت فلما كثر ذلك عليّ رفعت سحيف الزلال ، فاذا انا بشيخ حاصر الرأس حافي الرجل على الشط فحملته فلما دعوت بالطعام ذغوته فأكل أكل متأدب ، فلما رفع الطعام قدّرت انه يقوم كما يقوم العامة من موائد الخاصة ، فلم يفعل فاستحمّته فقلت : ما صناعتك فقال : حائك أعزك الله . ثم قال : وانت اي شيء تعمل جعلت فداك قلت : كاتب فقال : اصلحك الله من اي الكتاب انت فانهم خمسة اصناف . قال عمرو فوردت عليّ منه طامة ثم قلت له : منهم فقال : كاتب خراج ، وكاتب رسائل ، وكاتب حاكم ، وكاتب جند ، وكاتب معونة .

اما كاتب الخراج فيحتاج الى ان يكون عالماً بالطسوق^(٢) والمساحة والمقاييس خبيراً بالحساب . اما كاتب الرسائل فان يكون عارفاً بالاصول والفروع ، والفصول والوصول ، حاذقاً بالانجاز والصدور ، والفتوح والعمود . واما كاتب الحاكم فان يكون عالماً بالاحكام حائظاً للشروط حاذقاً باختلاف الناس ، في الاموال والفروج . واما كاتب الجند فان يكون عالماً بشيآت الخيل وحلى الرجال . واما كاتب المعونة اي الشرطة فان يكون عالماً بالقصاص والجراحات والحدود .

فقلت له : فاني كاتب رسائل . فقال لي : أخ من إخوانك واجب الحق عليك ، تزوجت امّك كيف تهنّؤه ، ففكرت ساعة ولم يتجه لي شيء فقلت : لا أكتابه لانه بالمصاب أشبه فقال : فعزّه إذن ، ففكرت ساعة فلم يجئني فيه شيء فقلت له : افلني من هذا الذن فاني كاتب خراج قال : ثاب سلطانك بعثك على ناحية ، ونقدّم اليك بالعدل والانصاف ، وامرك ان لا تدع شيئاً من حق السلطان بضم ، وجذر ان تشكي ، فأخرجت عمالك ، واقدمت اليهم بالعدل ، وحذرتهم ان يشكوا ، فقدم

(١) الزلال كغراب ضرب من السفن التي تسير في دجلة كالطراقة والطيّار .

(٢) الطسق ما يوضع من الوظيفة على الجربان من الخراج المقرر على الارض

وكتب عمر الى عثمان : ارفع الجزية عن رؤوسها وخذ الطسق من ارضيها . وقيل شبه الخراج له مقدار معلوم .

عليك اهل الناحية يشكون عمالك ، فأشجنتهم وسألتهم عن ذلك ، فخلعوا بالله لقد انصفوهم
ولقد خشوا ان يكونوا جافوا ^(١) على السلطان فخرجت الى العمل بنفسك ناظراً ، فوقفوا
بك على قراح ^(٢) لان تمسحه كيف تمسحه ففكرت ساعة وتجاهرت في الجواب ثم قلت :
أخذ وسطه ثم أخذ طوله فاضربه فيه ، فقال : تختلف عليك المطوف ، قلت : أخذ
طوله وعرضه من ثلاثة مواضع فقال : ان طرفيه محددان ، وفي تحديدتهما تقويس .
ففكرت ساعة فاعيناني الجواب فيه ، ولم يتجه لي فيه شيء فقلت له افلني من هذا الفن
فاني كاتب فاض . فقال : ان رجلاً أجبل حرة له وسرية فولدتا في ليلة واحدة ،
فولدت الحرة جارية ، والسرية غلاماً ، فحملت الحرة الغيرة الى ان حوت الابن الى
مهداها والبت الى مهد السرية ، فتحاكتا اليك ، ما كنت تقضي بينهما فقلت لا علم
لي بذلك انا كاتب جند قال : فان رجلين قدما اليك من اهل عسكر واحد منهما
واحد . ذا اسمه احمد وذا احمد . هذا مشقوق الشفة العليا وهذا مشقوق الشفة السفلى
كيف يتحايها قلت اكذب لهما احمد الاعلم واحمد الاعلم . قال : اذا يأخذ ذا رزق
ذا ، وذا رزق ذا ، فتقع بينهما في حيرة ، فتفكرت ساعة فلم يتجه لي فيه شيء . فقلت :
لا علم لي بذلك انا كاتب شرطة ^(٣) قال : فان رجلان قدما اليك احدهما قد شج
موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه مأومة ، كم تجعل بينهما من الابل قلت : لا ادري
فقال : فلست كاتب شرطة ، فقلت فستمر لي ما قلت قال حباً وكرامة . اما الرجل
الذي تزوجت امه ، فالوجه ان تكتب اليه ان الاقدار تجري بنير محاب المخلوقين ،
ولوت في عافية خير من شائبة في الملك ، والله يختار للعبد نثار الله لك في قبضها
اليه فان القبور (اكرم) الا كفاء . واما القراح فتسمع اعوجاجه كم يكون قصبة ، ثم
تضرب بعضه في بعض ، فاذا استوى سيف يدك عقد تعرفه ، رجعت الى المستوي فيه
فضرته فيه . واما الحرة والسرية فانه يوزن لبنها فمن كانت أخف لبناً فالابن ^(٤) لها

(١) لعل صوابه جنفوا على السلطان اي جاروا . (٢) القراح الارض لاء فيها
ولا شجر وقيل المخلصة للزرع والغرس جمعه اقرحه . (٣) قوله كاتب شرطة في هاشم
الاصل اي ديوان المظالم والشحن وسمي ديوان المعونة ايضاً كما تقدم ذكره . (٤) كذا في
الاصل والظاهر فالبت لما وهكذا في العقد والامامة والسياسة .

واما الجند فيكتب احمد الا علم مشقوق الشفة العليا واحمد الا فلح مشقوق الشفة السفلى .
واما الشجة ففي الأمومة ثلاث وثلاثون من الابل وثلاث وفي الموضحة خمس من الابل
فيرد عليه ثمانية وعشرين وثلاثا قلت : الست زعمت انك حائك قال : نعم ولكن أحرك
الكلام واذا رجل قد أدبه الزمان ، وأحكمه العلم .

والمعاني اسعدك الله ناع ، والألفاظ مشتركة ، فمن سبق الى معنى ثم جاء بعده
من بتعاطاه ، فان أخذه بلفظه كما هو كان سارقاً ، وان أخذه ببعض لفظه كان
ساحلاً ، وان أخذه وكساه من عنده كان هو اولى به من الاول .

ويقال ان ابا عذرة الكلام من سبك لفظاً على معنى ، لا من اخذ معنى بلفظ ،
وقلما تجد شعر شاعر ، او رسالة كاتب ، او خطبة خاطب ، الا وجدت فيه معنى مسبقاً
اليه ولفظاً مشهوراً قبله . وقد قال ابو تمام يصف ذلك :

يقول من يقرع أسمانه كم ترك الأول للآخر

فمن ذلك ان اسماعيل بن صبيح كتب الى بعض الامراء : سيث شكر ما تقدم من
إحسانك ، شاغل عن استنباط ما تأخر منه . فأخذ هذا المعنى احمد بن يوسف فقال
في بعض كتبه : أحق من أثبت لك العذر في حال شغلك ، من لم يجمل ساعة من
برك في وقت فراغك . ثم اخذه سعيد بن حميد فقال : لست مستقبلاً لشكر ما مضى
من اباديك^(١) ، فأستبطني^(٢) درك ما أوتمل من مزيدك . ثم اخذه حمد بن مهران
فقال : لان تمذرت حاجتي قبلك ، لطالما تسر لي امثالها عندك ، ولست اجمع الى
العجز عن شكر ما أمكن ، التسرع الى الاستنباط فيما تعذر . وسلك الى الطريقة
ابو نواس فقال :

لا يتحدثني الى عارفة حتى أقوم بشكر ما سلفا

وقول ابي نواس اربى على جميع ما تقدم في اخذ هذا المعنى . وسلك هذا الطريق
من جهة أخرى الضرير فقال : وقد الى انك أصبت بشيء من مالك ، لو لم تصب به
لأمرعت النوائب اليه ، واتى كرمك عليه .

وكما انه مطلق لمن لطف في اخذ المعنى فكذلك هو محذور على من لم يكن فيه آلة

الأخذ انت بطور به ^(١) لان الحاذق والبارع يخفي ديبه الى الشيء حتى يستخرجه ،
والمختلف البليد يظهر تسوره على الامر اذا اراده .

اللسان هو ترجمان القلب ، وأداة يدرك بها التأليف ، ويلتمس بها التقطيع ، وبه
يظهر ما يحته الفكر . وقيل في المثل المرء محبوب تحت لسانه . ويقال : ان روح الحياة
اذا كان ظاهراً كان جمالاً ، واذا كان باطناً كانت لساناً . ونال علي بن عبيدة :
اللسنة ^(٢) التلويح يؤدي عن ضمائرهما المنطق بالنفاذ شرايع ^(٣) ما تستنبطه من الحكمة
واللسان كاشف لما يحته الاغماض .

وفي كتاب الموسيقى ان الانسان حاس ، والمقل لطيف ، وليس لفكرة العاقل
غاية يدركها الانسان . ومع هذا فان اللسان ترجمان ، وليس للترجمان ان يبلغ منزلة
الترجم . وقيل اللسان عضو فان مرثته سمرن . وان تركته سحرن . واللسان فضائل
بعدة : في الجوارح ، ودرجة عالية على درجاتها ، لما خصه الله به من استعماله في
المنطق والبيان .

قال عمرو بن بحر : في اللسان خصال ^٤ هو أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يبرهن عن
الضمير ، وشائع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الاشياء ، وناطق ^(٥) يفصل
الخطاب ، وناطق يرد به الجواب ، وواعظ ينهي عن القبيح ، ومزج تبرد به الاحزان ،
ومعتذر يذهب بالضغينة ، وملمح يوثق الاسماع ، وزارع يحرز المودة ، وحاصد يستأصل
العداوة ، وشاكر يستوجب المزيد ، ومازح تستحق به الزلفة ، ومؤنس يذهب بالوحشة
ومزين يدعو الى الحسن .

الصوت هو آلة اللفظ ، والذي به يبلغ السامع ما يدركه الفكر .
الفكر هو مستنبط الحكمة ومستشار الصوت ، ومستوفع غوامض الأدلة ، وكاشف
ضباب الغفلة عن الاثمة .

البيان هو اسم لكل شيء كشف لك قناع الماني ، وعتك حجب الضمير ، وابدئ مكنونه .

(١) يقال انا لا اطور بفلان اي لا احوم حوله ولا ادنو منه . (٢) لعله سقط هنا
لفظ «يريد» او «ترجمات» او ماثلها . (٣) لعلم شراف او شريفة . (٤) لعل
صوابه قاض .

المعاني هي الحادثة بالذكر ، المتصورة للعقل ، الجائلة في الفكر . وهي بعيدة وحشية ؛ معدومة في حال ، موجودة في أخرى ، ممتدة الى غير غاية ، ومبسوطة الى غير نهاية . البلاغة هي ان يبلغ السامع أقصى نهاية المعنى الخاطر بقلبك ، فتصوره لك كنصوره عندك ، بالابانة عنه والافصاح به .

وقيل : الفصاحة لغة دالة . وقال بعضهم : البلاغة التقرب من المعنى البعيد ، والتباعد من حشو الكلام ودنو المأخذ ، وإيجاز سبغ صواب ، وقصد الى الحجة ، وحسن الاستعارة .

وقال آخر : البلاغة ان يعرف الفصل من الوصل^(١) . وقال ثمامة بن الاشرس : قلت لجعفر بن يحيى ما البلاغة فقال : ان تكون تحيط بمعناك . ونحكي عن منزلك . ونخرجه من الشركة . ولا يستعين السامع عليه بطول الفكرة . ويكون سلباً من التكلف . بريئاً من الصنعة . بعيداً من التعمير . غنياً عن التأويل .

وقال الحجاج لابن القريه : ما الحرف وما الكلمة وما الكلام . فقال : الحرف فرد والكلمة جماعة . والكلام على عشرة أبواب : سبعة فوائج وثلاثة جوامع . فالفوائج جرأة الصدر ، وفقدان المحصر ، واتساق القول وبيان الكلام ، وقلة التخنج ، والقول متى شاء ، والوقوف اذا شاء . والجوامع ان يشبه اول قوله آخره ، ويختار حسن اللفظ ويعرف قصة (?) الكلمة . وقال مديونة : البلاغة كلام يتحدر على الطبع كما يتحدرا الماء على الكبد الحرشي . لا يحمل الطبع فيه على غير مذهبه . فيظير فيه تقيصة التكلف وعيب الخلق . وقال قائل : عيوب المنطق صنفان صنف مذموم وصنف خلقية^(٢) لا سبيل الى الانتقال عنها . والمذمومات توجب الذم اذا كان الافلاح عنها الى غيرها ممكناً . والخلقية كاللغة واللفظة^(٣) والرتة والحبسة والحكمة والفأفة والجلجة والجمحة .

(١) وفي هامش الاصل وقال ابراهيم : حد البلاغة معرفة مواقع الفصل والوصل .

(٢) اي من قبيل العيوب الخلقية . (٣) اللفظة المعية (الرتة) بالضم والتشديد ردة فبيحة في اللسان وقيل هي العجمة في الكلام كالحكمة . والفأفة هي صفة الفأفء وهو الذي لا يقدر على إخراج الكلمة من لسانه الا يجهد ويتدي^٤ سيفه اول إخراج به يشبه الفاء ثم يؤدي بعد بالجهد حروف الكلمة على الصحة هكذا فسرهما المطوزي .

ومن فساد المنطق فساد مخارج الصوت مثل اليجة وعدم اعتدال المخارج من الحلق والحناسيم والصدر فاللغة تكون في الرأء لتقلب الى الغين او الياء او الدال واللفظة ان ان لا يخرج الكلام الا بشق الأتس والرتة والحبسة واحد والحكمة كاليجة حتى كأنه يسر كلامه والفأنة التردد في الفاء والتجمة التردد في التاء .

وقال عمرو بن بحر : من عيوب المنطق التصحيف وسوء التأويل والخطأ في الترجمة فالتصحيف يكون من وجوه : احدها من التخفيف والتثقيب ، ومن قبل الأعراب ومن تشابه صور الحروف . وسوء التأويل يكون من الاسماء المتواطئة وهو انك تجد اسماً بمعانٍ فتأويل بغير المراد ، وكذلك سوء الترجمة . غير ان الكلام المحتمل على المعاني يكون بالفارسية المنقولة الى غيرها . وقال العنابي : الاستعانة من فساد الكلام . فمثل عن التأويل فقال : اذا قال عند مقطع قوله ياغناء ، واسمع مني ، وافهم عني ، وما أشبه ذلك كله عي^(١) .

ومن لم صناعة الشعر للأردستاني^(٢) وهو محمد بن احمد قال : وكانت العرب انما تفاضل بين الشعر لشرف المعنى ، وجزالة اللفظ ، وصحة المبنى ، فتسلم النسق فيه لمن وصف فأصاب والطف ، وشبهه فسدد ، وان كثرت له سواثر الأمثال ، وشوارد الأبيات ، ولم يكن بينهم يتبع البدع اذا حصل له عمود الشعر ، ونظام التقرىض ، على انه قد كان منهم من يعمد لتنقيح شعره ، ويعمل لتحسين ألفاظه وتزديدها ، وترصين مبانیه ومعانيه وتهذيبها ، مثل زهير والاعشى والحطيئة وابي صخر الهذلي وعدي بن

(١) في الهامش هذه العبارة : وقيل قتل الأصابع والنكت على الارض هو ايضاً من العي . (٢) هو غير كتاب معاني الشعر للاشتاندي وفي دار الكتب العربية بدمشق نسخة مخطوطة من هذا الكتاب وقد أورد صاحب كشف الظنون اسم كتابين باسم « صناعة الشعر » احدهما للحسين بن محمد الرافعي المعروف بالخالع المتوفى بعد ثمانين وثلاثمائة والآخر لابي سعيد حسن بن عبد الله السيراني النجوي المتوفى سنة ٣٦٨ . وقد طبع كتاب الاشتاندي مؤخراً في دمشق (١٣٤٠) والاردستاني نسبة لاردستان مدينة بين قاشان واصهبان في فارس .

الرقاع وابي المثل والخنساء وغيرهم . فان اثر الصنعة ظاهر في اشعار هذه الطبقة ، ودال على مقاصدهم فيها ، وشاهد بمعرفتهم بها ، ويدل على ذلك افتخارهم في اشعارهم بالتجويد . ووصفهم لمصيرة القول ومكابدة السور فيه والتخير منه . والصبر على عرضه وعمله حولاً . حتى قالوا : خير الشعر الحولي المنقح . يروى ذلك عن الخطيب فقالوا : حوليات زهير . وقد ذكرت الشعراء ذلك في مفاخرهم فقال سويد بن كراع بذكر تقويمه شعره وطول مصابرة له :

ابيت بابواب القوافي كأنما اصادي^(١) بها مربيكم الوحش نزعا
أكلها^(٢) حتى اعترس بعدما يكون سميراً او بعيداً فأهجما
إذا خفت ان تروى عليّ ردديها وراء التراقي خشية ان تطأها

فأخبر ان القوافي نعتاص عليه وانه بكالها ويكابدها ويسهر لها الى ان انقاد له .
وقال حارثة بن بدر :

فج الآله الالف الا ما مضى والشعر بعد مرثري ومهلل
وابي دؤاد او عبيد كلما نطقوا أصابوا فيه نص المفعول

فمدحهم بالاصابة والتجويد . وقال عدي بن الرقاع :

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أنتم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقله منادها
فأخبر انه يعاود النظر ويكرره حتى يثقله . وقال عمرو^(٣) بن هند :

فان اهلك فقد اقيت بعدي قوافي تعجب المثلينا
لذيذات المقاطع محكمات لو ان الشعر يلبس لارتدينا
(للبحث صلة)

—•—

(١) ساداه عارضه يقال (من ساداك فقد سادك) . (٢) كالبه ضابقه مضابفة
الكلاب بعضها بعضاً عند المباشرة . (٣) في الاصل (عمرو بن) فجاء بعض النساخ
وزاد كلمة (هند) .

كتابات تدمرية وتفسيرها

يوجد في دار الآثار العربية بدمشق مجموعة تقيسة من العاديات التدمرية ، معظمها تماثيل قبورية وعلى أكثرها كتابة موجزة باحرف تدمرية ، تشير الى اسم المتوفي ونسبه وفي بعض الاحيان الى تاريخ وفاته ، شأن معظم الكتابات القبرية المكتشفة في اطلال تدمر . وهذه التماثيل هي غاية في الإيقان ، ولها فائدة أثرية ولكتابتها شأن خصوصاً في علم الخطوط وتطوراتها .

سأشهر رُقم^(١) هذه التماثيل تبعاً في مجلة المجمع العلمي العربي مع صورها وتفسير كتاباتها لينتفي للذين يهمهم هذا البحث الاطلاع على هذه المجموعة ، واذ كان بعض هذه التماثيل قد ملكه قبلنا أناس آخرون فنحن بالطبع لا ندرى اذا كان سبق لغيرنا وكتب شيئاً عن الكتابات التي عليها لعدم وجود المراجع الكافية لديّ اللهم الا القليل منها الذي نشره علماء الآثار ومنهم من أخطأ بقراءة بعض الاسماء لعدم حصولهم على النسخة الاصلية ، او لغلط سيفي النقل ، او لعدم وضوح الرقيم . ولذا سأعيد نشرها مع الإشارة الى ذلك .

« الكتابة الاولى »

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ١) كتب على يسارها العبارة الآتية :

١ הדורח هديرة (بنت)

٢ אחא ברה اخا ، بنت

٣ בולחא بولخا ،

٤ בר ברעא بن برعا ،

٥ בר זבדעחה بن زبدعته

٦ חבל واأسفاه !

٧ בירה بشير

(١) الرُقم جمع رقيم وأصبح يراد به كل كتابة أثرية محفورة او منقوشة على

صخر (Inscriptions) .



شکلی (۱)





شکل (۳)



٨ כוסין نيسان

٩ שנת منه

٤٨٠ ٤٨٠ { ١٠
١١

من السهل قراءة هذه الكتابة لأنها واضحة جلية ، وإن كان قسم منها غير ظاهر في الرسم ولكنه محقق في الأصل . وجميع أعلامها معروفة وشائعة الاستعمال في الكتابات التدمرية وليس فيها لفظ غريب .

س (١) הכדירה (مدينة) علم مؤنث أتى ذكره في بعض كتابات خريب (إله بل) المعروف اليوم بقصر العروس في تدمر (Chabot. Choix d'Inscriptions palmyreniennes) وقد أغفل النحات كلمة (بنت) بعد هذا العلم حسبما أشرنا وأحيانا يستغنى عن هذه اللفظة في مثل هذه الكتابات وتذكر الانساب بدونها .

س (٢) אהא (أخا) علم مؤنث معروف - Chabot - Notes d' Epigraphie et d' Archéologie orientale No 16)

س (٥٤٤٣) בולחא (بولخا) و ברעא (برعا) و אבדעחא (زبدعته) جميعها أعلام مذكورة وقد جاء ذكر الثاني منها في بعض الكتابات التي نشرت في (Melanges de la Faculté Orientale pp.170 et 171. — Revue bibliques 1897 P. 594)

والثالث نشر في (Chabot-Choix d' Inscrip. palmyr. p. 66) وأما كلمة السطر السادس אבلا (أبل) فقلما تخلو منها كتابة قهرية تدمرية وهي لفظة نفيد التحمر على الفقيد وتعرّبها (وأصفاه) ١

وعما يزيد في شأن هذه الكتابة أنها مؤرخة بما يفيد وقت الوفاة وهو شهر نيسان سنة ٤٨٠ سلوقية ^(١) الموافقة لسنة ١٦٩ ميلادية .

(١) يتبدى التاريخ السلوقي في ١ تشرين الأول سنة ٣١٢ قبل الميلاد .

وقد نشر هذه الكتابة كل من الاساندة : مولر (Müller No 15) وشابو (Chabot No 50) وجوسن (Jaussen N° 50). عن صور غير واضحة او نسخ مغلوطة . فأخطأ الاول بقراءة السطر الثاني فقرأ בר (ابن) عوضاً عن בדה (بنت) وعلى الرغم من كون تاء التأنيث واضحة في الكتابة فان التام الذي قبلها . وثنت ولذا يجب ان تكون هذه اللفظة مؤنثة ايضاً . وقرأ ايضاً السطر الرابع בדה (برعن) ولكنه استدرك خطأ الناسخ واقترح تصحيحه (برعا) كما ترجمته آتفاً وقراءة بقيسة الاساندة متفقة مع ما أثبتناه .

« الكتابة الثانية »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ٢) وعلى يساره قد كتب هذه العبارة :

١ חיירן בר - خيرن ، بن

٢ מרדא - مردا

٣ בר ידי - بن ، يدي ،

٤ חבל - وأأسفاء

س (١) חיירן (خيرن) علم مذكر شائع بين الاعلام التدمرية .

س (٢) מרדא (مردا) جاء في الكتاب المقدس علم يقارب به وهو ٦٦٥

(مراد) (١٠١ اي ٤ : ١٧ و ١٨) .

س (٣) בר ידי (يدي) علم تدمري معروف معناه المحبوب ويتقابله من الأعلام

التي جاءت في الكتاب المقدس ٦٦١ (يدي) .

س (٤) ولفظة السطر الاخير هي كلمة (رخبيل) المعروفة كما بينتها اولاً .

« الكتابة الثالثة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ٣) والكتابة واقعة على اليسار وهي :

١ מלכו בר - ملكو بن

٢ ידי בר - يدي بن

٣ פתיחב - فتحيب

٤ חבל - وأأسفاء

عثرات الافلام

— ٣٠ —

ومن عثراتها قولهم (لا تريد ان تشور عليكم في هذه المسألة) صوابه (تشير) من أشار ولم يرد شار عليه ثلاثياً بهذا المعنى .
ومنها قولهم (فكشمت عنه ما كان يجوش بفي خاطري) صوابه (يجيش) من جاش جيشاناً وهو لم يرد بهذا المعنى الا يائياً .
ومنها قولهم (سافر الى باريز وعهد الى فلان زمام الأعمال) صوابه عهد اليه في زمام الأعمال على ان كلمة (الزمام) لا تناسب هنا فالأصح حذفها ويقال (عهد اليه في أعماله) او يقال (سلمه زمام أعماله) او (ألقى اليه بزمام أعماله) .
ومنها قولهم (اولاده يتناغون جوعاً) لا يوجد تناغي بهذا المعنى وانما هو (يتضاغون) جوعاً او (يتضورون) جوعاً .
ومنها قولهم (وله خط دقيق الحرف بالكاد لا تقرأه) . وبهضمهم يقول (بالكاد تقرأه) من دون حرف النفي . وكلاهما خطأ : اذ المراد من الجملة ان قراءة الخط صعبة لا تسهل قراءتها على الانسان الا بعد تعب وجهود . فاذا كان معنى (كاد) القرب كان فعلاً ماضياً ولا يصح ادخال لام التعريف عليه . وان كان معناها التعب والاحاح وجب ان يقال : (بالكاد) بتشديد الدال كما يقولون أحياناً . ومهما يكن فان الجملة غير صحيحة التركيب والصواب ان يقال مكانها (خطه دقيق لا يكاد يقرأ) او (لا تكاد تقرأه) او (لا يتبينه الطرف) او (قلما تيسر قراءته) او (لا يقرأ بسهولة) او (يقرأ بالكد والتعب) او غير ذلك .

المجمع العلمي العربي

« يوم ٢ شباط ١٩٢٧ و ٢ شعبان ١٣٤٥ »

غصت ردهة المحاضرات في المجمع العلمي العربي في هذا اليوم لسماع محاضرة رئيسه وموضوعها « أبو حيان التوحيدي وفلسفته ونصوفه وعلمه والجمعيات العلمية السرية والجهرية والجامع والمجالس الادبية في القرن الرابع » . وقد حضر المحاضرة سعادة المسيو بيراليب المندوب الممتاز لدى دولة سورية وحكومة جبل الدروز ومعه معاونه المسيو فيبر وكان المترجمان يترجم لسعادة المندوب كل جملة يلقها المحاضر . وبعد ذلك عقد المجمع جلسته فحضرها المندوب المشار اليه وغبطة العلامة السيد غريغوريوس حداد بطريرك طائفة الروم الارثوذكس وغيرهم من الفضلاء . فبدأت الجلسة ونعى الرئيس للاعضاء عضو المجمع العلمي العربي في باريز العلامة المرحوم كليمان هوار واقترح ايقاف الجلسة خمس دقائق اكراماً لخدمته وبغية لحقوق الزمالة ثم تلا امين السر محضر الجلسة الماضية وعدد الرئيس ما ورد على المجمع منذ الجلسة الماضية من الكتب المعمة فكان خمسة وسبعين مجلداً وأشار الى الاثر النفيس الذي اثر عليه في دمشق من القرن الخامس وما في وضعه في دار الآثار من الشأن العظيم للتاريخ وعلم العاديات الاسلامية . وجرى البحث بعدئذ في عيد دار الكتب الخميني الذي سيرأسه العلامة الاستاذ سليم افندي البخاري احد مؤسسي تلك الدار تحت رعاية سمو رئيس الدولة وان المعارف منتزلة عن جميع المدرسة الظاهرية الى المجمع العلمي فيخصها بدار الكتب . ثم تلا الرئيس اقتراحاً وارداً من الاستاذ الاب بطرس البستاني من علماء العربية في لبنان يرمي الى توسيع اعمال المجمع العلمي في البلاد العربية . فاقترح بعضهم ارجاء البحث في هذا الموضوع الى الجلسة القادمة . وتذكروا في موضوع محاضرة تلقى في العربية والفرنسية في الدين الاسلامي من حيث الاجتماع على نزلاء دمشق من الاوربيين فلم يتم في ذلك رأي . ثم تفاوض المجمع في ان يقترح على الحكومة وضع رسم على الداخلين الى دار الآثار على ان يجعل الدخول يوم الجمعة من كل اسبوع مجاناً لمن اراد . وان يكون الرسم طفيفاً باديء بدء لا يتجاوز عشرة قروش سورية

ينفذها المتحف في تنظيم اموره . وبعد ذلك تناقش الاعضاء في عثرات الاقلام وانقضت الجلسة . وكان الرئيس يترجم اسعاد المندوب الممتاز المشار اليه كل دقيق وجليل بدور في الجلسة فسرّ حضرته مروراً زائداً ، وقال للرئيس عضوا على مجمعكم بالنواجذ وحافظوا عليه بكل ما اوتيتم من قوة ومثانة وعلم ، فانه عمل نافع جداً للبلاد كما قلت لكم ولا ازال أقول . ولا عجب فساد المندوب من الافراد الذين عرفوا بسعة فضاءهم وله مصنفات عظيمة واعمال اديبة مجيدة واكثرها مطبوع ، ومثله من يقدر الاعمال العلمية قدرها .



مخطوطات مكتبة جامعة برنستون

جاء من الاستاذ العلامة السيد فيليب حتي احداً سائداً جامعة برنستون كتاب ختمه بقوله : (هل ذكرت لكم ان في جامعة برنستون الفين وخمسمائة مخطوط عربية فهي أعظم مكتبة عربية في العالم الجديد . وسيكون نصيبي في الحياة احياء هذه المكتبة بالطبع والنشر والترجمة فضلاً عن تدريس الطلبة فلا تحسبوا اننا هنا فقدنا رغبتنا في الاسلام والعرب والعربية ومتكلمها) .

فخيا الله الاستاذ وسائر اخواننا العرب في العالم الجديد الذين ما زالوا يثبتون عربيتهم وتعلقهم بوطنهم العربي مع التجرد عن الصبغة الطائفية اثباتاً يشكرون عليه ويجب ان يحتذى مثالم فيه .



مطبوعات حديثة

مفكرات في العهد الحميدي

• هما مؤهرا الراضون عن عهد عبد الحميد وسكنوا عن نقائصه فان ثقتن الرجل بالمحافظة على حياته ثابت لا يحتاج الى برهان ، وله في ذلك بعض العذر لانه رأى ملكين قبله قد خلسا ، وكاد السلطان يترك مهام السلطنة ليستمتع ليل نهار بلواصيه وعيونه ، يتفق في ذلك أموالاً لو صرفت في المشاريع النافعة مدة ٣٤ سنة لأتت بموارد تغني السلطنة لا محالة واصاب ذاك الملك العظيم من التمزق بادخال الدساتير النيابية الحرة . وقد أشبه عهد عبد الحميد بدور الفتور ، فان الدولة بعد ان غلت مراجعها مدة ستة قرون انتهت ايامها الاستبدادية بأخر زعي من أزياء الاستبداد وهو العهد الحميدي فأدخل فيها آخر طراز من الفساد ونعني به فساد الاخلاق ، وهو من أعظم ما يقضي على الدول والأمم فينسفها نسفاً .

اكتب هذا وانا أنلوكتاباً صدر حديثاً باللغة الافرنسية كتبه رجل عاقل غريب عن العثمانية ، مطلع على عجزها وبجورها ، ولعل هذا السفر أصبح مصدر يسمح الاستشهاد به على فساد دور عبد الحميد . واسم المؤلف (لويز رامبر)^(١) واسم مؤلفه « مفكرات وتأثرات عن تركيا » او الدولة العثمانية على عهد عبد الحميد الثاني من سنة ١٨٩٥ — ١٩٠٥ طبع في جنيف من بلاد سويسرا . وكاتب هذه المفكرات هو سويسري الاصل خالي الغرض في الجملة ، ولو كان من أبناء دولة كبرى لانهم بان له ضلماً معها ويحاول النيل من العثمانيين ونشر هذه المفكرات الآن هو ابن كاتيهسا (١٨٣٩ — ١٩١٩) نشرها بعد ان طوًس في ذلك البساط بما عليه جملة . نشرها للتاريخ ، وأعظم بنشرها من خدمة .

المؤلف من اعل الطبقة العليا في اهل سويسرا حقوقي اداري مالي أديب مثقن ،

(١) هكذا اسم الكتاب بالافرنجية :

Louis Rambert : Notes et Impressions de Turquie
L'empire Ottoman sous Abdul - Hamid II 1895 1905

أنشأ في صباه جريدة يومية وناب عن أمته في مجلسها العالي ، وكان محامياً مشهوراً وله يد طولى في فتح تقى سان غوتار المشهور بين ايطاليا وسويسرا ، وطلب اول مرة الى الشرق ندبه لذلك نوبار باشا وزير مصر في عهد الخديوي اسماعيل في جملة من .
اختار من رجال الغرب لخدمة مصر فوصلها ، وكان اسماعيل قد خُلع فرجع من حيث أتى . وبعد مدة ندبته شركة افرنسية لانشاء سكك حديدية في السلطنة العثمانية ، ثم نولى أعمالاً كبرى وأهمها نظارة إدارة حصر الدخان في الاستانة فأبان في حياته علواً في الفكر وخبرة بحياة الناس وحياة الأعمال ، ومعرفة بمعانة المسائل الكبرى حتى صار لا يلامس منها الا الامور العملية ، وينظر فيها فيعرف المدخل والمخرج من اول ودلة وقد استبطن أسرار السياسة والمالية فكان إدارياً مدهشاً كما قال فيه واصفوه .
أطلت في تعريف الرجل لان للتعريف به دخلاً كبيراً في تسهيل الاعتقاد بصحة احكامه على تلك السلطنة الكبرى وعلى ذاك الرجل الذي سقطت على يده ويده .
وبما يزيد في الثقة بما رواه المؤلف انه كان قريباً جداً من مصادر الحوادث التي وقعت في دار الملك العثماني وكانت له صداقات مؤكدة مع اكبر وزراء السلطنة وولايتها وعملها وهو على اتصال مع الطبقة السامية من الاجانب فيها ومنهم السفراء ورجال السياسة والاعمال ، فكلامه اذاً كلام الخبير الصادق لا نقرأ فيه شيئاً من الغرض بلي نتبين فيه التحقيق ومعرفة تامة بالحياة وبحقائقها وتدقيقاً قل ان تراء لغربي كتب على الشرق وكيف ذلك وليس لجميع من كتبوا مثل ادواته حتى نصح احكامهم وتجودت آلياتهم .
دخل المؤلف الاستانة قبيل العهد الذي ثبت فيه الثورة الأرمنية ، التي هلك فيها الوف من الأرمن في الاناضول والاستانة اي في سنة ١٨٩٥ وظل يكتب مفكراته حتى هلك سنة ١٩١٩ . وقد قال ابنه في هذه الحوادث الارمنية في مقدمة الكتاب ما تعريبه : « ينظر عادة الى مذابح الارمن في الغرب بانها نتيجة النعصب الاسلامي ، على حين ان السبب الاصلي هو سياسي (Opportuniste) اكثر مما هو ديني : والظاهر ان قليلاً من الأديان كانت من التسامح على مثال الدين الحمدي ، وأحسن دليل يورد في هذا الشأن كثرة عديد الارمن واليهود والروم وغيرهم ممن كانوا يعيشون مع الانراك على صفاء في الجملة الى عهد الحرب العالمية . وكثير منهم شغلوا اسمى المراكز

في حكومة السلطنة وإدارتها « الى ان قال وهو عين الانصاف : وكان الداعي في تدبير المذابح الارمنية بيد عبد الحميد وحاشيته سياسياً صرفاً لانهم حاولوا ان يقيموا لهم ملكاً بين السلطنة العثمانية وبلاد روسيا تكون عاصمته ارخروم .

هذه المفكرات قطعاً تختلف بطولها من بضعة اسطر الى بضع صفحات بحسب الموضوع ويؤرخها . وثقها بنليوم والشهر اللذين كتبت فيها بمباراة عالية لتجلى فيها روح المالى والاداري والفنان والاجتماعي ، بعيدة كل البعد عن البذاء والمراء وفيها احياناً الاحماض اللطيف والتمكيم بادب قل ان عهد الا في كتابات الشعوب التي بلغت أقصى درجات الحضارة تزينها حسن الاخلاق وجمال الثقافة . وكثيراً ما دوت صاحب المفكرات اشياء ربما لا تفيد كل الناس وهي قليلة جداً ولكن نفسه كانت تهتم لما كنهناصيل بعض الحوادث ومنها ما له علاقة ببيتته وعمله الخاص ومنها تفهم كيف يعيش ارباب الاعمال من الغربيين في الشرق .

تكلم في مفكرانه (٣٠ تموز ١٨٩٩) على المشاريع التي قام بها الافرنسيون في بلاد الشام فقال في خاتمتها بعد وصفه مشاريع السكك الحديدية « يرجع اخفاق المشاريع في الشام الى الطريقة التي يدرك بها ارباب الأموال من الفرنسيين الاشغال الشرقية . فان هذه الاعمال كلها قليلة الربح قليلة النجاح في السنين الاولى . فالواجب اذاً ان يراعى في عملها الاقتصاد ما امكن برأس مال قليل وانتظار ارباح العمل حتى يتدرج الى النجاح . بيد ان الجماعات من الافرنسيين يعملون عكس ذلك فانهم يعينون رأس المال سلفاً على أساس الواردات الموهومة وينقسمون الارباح المقدرة بصورة زيادة في أسعار البناء او في قيم السهام التي تصدر الى ساحة التداول ، وقد أسرفوا في إنفاق المال على هذه الأعمال في الشام إسرافاً فاضحاً وتناول القائمون بالعمل مبالغ طائلة لانفسهم في قالب حصص (Apporits) الى الشركات . فرأس المال الذي طلب هو أعظم كثيراً مما يقتضيه المشروع ولم يكد البناء يتم حتى زهقت روح الشركة . التجربة ثابتة كما هي ضارة ، لا جرم انه ان يستفيد احد من هذه العظة » .

وجاء في مفكرته يوم ١٥ نيسان سنة ١٩٠٠ « ان فقراء الفلاحين الذين يزداد في أعشارهم الى الحد الذي لا يطاق ، لا يجدون من بدائع عنهم ، ويحملون الظلم الذي

يقع عليهم صابرين ، الا ان إرهاب الفلاح وهو المقضي عليه باداء كل ضريبة ومخزة بدون رحمة قد نشأ منه الآن الداء المفضل وهو خلو القرى من سكانها . ويقال على الجملة انه ستزيد الحركة وثقنى معها المادة التي يمكن ان تؤخذ منها الضرائب . تصبح تركيا اليوم بعد اليوم مملكة تحت النصفية ، ولا تزال تذكر انها أضاعت ولاياتها في البلقان الواحدة تلو الأخرى بفعل المعاهدات الاوربية والحملات المشؤومة ، فقد فقدت كريت ، مؤخراً عقيب حرب ظافرة . وفي ذلك طريقة النصفية مباشرة وإضاعة البلاد او التجلي عنها بدون حجابة . ويمكن الوصول الى نفس هذه النتيجة من طريق غير مباشر وذلك بالنضيق على سكان الولاية في معاشهم وبجعل البلاد المنتجة قفراً . فان آسيا الصغرى تنصن بالطريقة الثانية على حين ان املاك تركيا في اوربا لنقطع إرباً أرباً . أصبح القسم الشرقي من المملكة في آسيا أشبه شيء بالقفار فان مذابح الارمن ومجرتهم الى ولايات الشمال وتخريب الكنائس الحميدية والقبائل الرحالة في الجنوب في وادي دجلة والفرات ، كل هذا قد أحدث في بضع سنين تأثيرات عظيمة . ندب مديراعمال ادارتنا (كلب) آخر للتجوال في هذه الأصقاع ودرس مشروع مسكة حديد بغداد فقص علينا انه بحث كثيراً عن القرى التي ذكرت بعثة يونس انها موجودة على طول الطريق . وهذه البعثة قامت بمثل هذا الغرض منذ ست او سبع سنين . وكانت القرى القائمة اذ ذاك تعد بالآلاف فخربت وعفيت آثارها كأنها لم تكن . بالامس عامرة . اما بقية بلاد آسيا الصغرى فهي موقوفة ابدأ على التدرج في زيادة الاعشار بحيث تصبح الزراعة متمذرة وتزيد رداءة الحال الى ما يدعو الى انقراض السكان من القرى . ثم تكلم على المهاجرين من الاقطار الاخرى الى بلاد السلطنة اذ ذاك وقال ان هذا مرض مزمن خاص بدور النصفية الذي نجتازه الخ .

وقال في كلامه على نفي السلطان لبعض الاعيان : وصعب ان يدرك المرء كيف بصرف السلطات جهده في مراقبة جميع دسائس الشرطة ، خصوصاً اذا نظر ان فكره المريض . من قلة الثقة بهم لا بالاخطار الموهومة التي يرى نفسه محاطاً بها في عاصمته ، بل بجميع الاعمال المشتبه بها التي تحدث في أرجاء سلطنته وهذا مما لا يكاد يصدق . في حلب وال اسم رائف باشا كان ناظراً للاشغال العامة وهو رجل

معروف . ذكر لنا ابنه امس ان ابيه أراد ان يزور إحدى مدن ولايته فأرسل الفرسان في أثره وعادوا به الى حاضرة الولاية كأنه مجرم ، وذلك لان القائد العسكري في الولاية أبق الى السلطان ان رائتاً هرب فصدر اليه الامر في الحال ان يقبض عليه .

وقال في وصف القدس ان الناظر الذي يرى الاشياء بالعين المجردة يرى القدس اليوم (في عهده) أثراً من آثار تفوق الاسلام ويرى المسلمون في حالها دليلاً ظاهراً على تفوق دينهم ، وليس ذلك الا وهم من أوهام النظر فان الاحوال السياسية وان قضت على الحكومة العثمانية بالتسارع الواسع ، قد اضطرتها الى تنظيم ادارة سيادتها وحكمها على الارض المقدسة عند اليهود والنصارى ، وهؤلاء تركوا شأنهم ولم ينظمهم نظام عام فأفرطوا في أهوائهم الشخصية والمذهبية . فان السلطة التي تنفذ بحذق واعتدال وما هناك من اناية ومطامع لا نهاية لها قد أحدثت تناقضاً مذللاً ثأذى به أبصارنا ! وقال في دمشق : لا يأسف الانسان في مكان بقدر ما يعرفه من الأسف عندما يرى هذه البقعة الجميلة من الارض سلت الى بلادة الادارة العثمانية وطمعها .

وصف (١٣٣) عبد الحميد وعهده فقال : حقيقة من الفرائب ما يرى من السلطة النافذة بالخوف والارهاب في هذه البلاد الثمة . فان السلطان محكوم عليه بالارهاب وجميع أعماله تنبعث من الخوف . وقد عهد الى جماعات من الجواسيس ان يحموه من الأخطار الموهومة التي يعتقد انه محاط بها . ولما كان هؤلاء الجواسيس يستفيدون بذلك فليس لهم من هم الا ان يدوم لهم سلطان الوهم بمدونه ويهيئونه بما عندهم من القوى . وان كبار رجال الدولة والوزراء والحجاب والقواد يعيشون بالخوف وهم يعتقدون ان خوفهم ليس عن وهم صرف لان للسلطان مطلق التصرف في استعمال ما يخطر له من نفي من أراد ونكبتة والحكم عليه بالموت او بالحياة . فان دسيسة مدبرة بحذق او خيانة في عمل صري ووشاية جاسوس مقدم يتأتى منها لكل واحد منهم ان يجني أفعطع النتائج . وعندئذ فلا تراهم الا مراقبين بعضهم على بعض و يستقرون اخبار الجار لانهم يحاذرونه ويعدون السلاح ليستطيعوا ان يدفعوا عن انفسهم او يهجموا اذا قضت الحال ، ويحاذلون ان يتمروا ما تدور عليه أعماله وأمراره الخاصة . وما من عمل سافل ولا من خيانة يتردد احد في إتيانها اذا كان فيها رضا السلطان او إسقاط من نال حظوته .

وكل هذا أحدث تلبلاً ووشايات وقصصاً مستحيلة تسير بين الناس وتصادم وتعارض وتتساقط وكان منها الصالح للاكاذيب والعداوات والدسائس والدناءات يرفرف عليها كلها سلطان الفزع والإرهاب الخ .

وقال (١٦٢) ان النظر الى مجموع هذه المملكة غريب جداً فان فكر الانتقاض والعصيان ومحاربة الشقاء والثورة على البؤس مماثلون منه فظائع اجتماعية مثل الفوضوية والعدمية وقتل الملوك والحكام اما هنا فالامر على عكس ذلك فان الناس كلهم يحذون رؤوسهم والمالك يعمل ما شاء في تدبير الدسائس على رعاياه ليسلبهم أموالهم ويحيط به خدامه ويسلم البلاد اليهم يسلبون الامة ويمتصون دماءها . واذا نشأ بالمصادفة رجل ذو إرادة في وزارته يكون غرضه لكل مراقبة ولا يلبث ان يغيب مبعداً او سجيناً او منفياً او يصيبه غير ذلك . فالفوضى في كل مكان والأشرار يعيشون في كل صقع فساداً وهم مدججون بالسلاح والناس الساكنون يؤذون أنواع الأذى وليس هناك من حماية ولا شرطة ولا إدارة بل ان السلطان الأكبر للسلطات الذي يدير هذه العدمية وينفذها . والوظائف في الولايات لا تعطى بحسب الاستحقاق وقد يحسنون على رجال عظام بوظائف في الولايات إرادة إبعادهم عن الاستانة ولذلك تجد في الولايات مثل دمشق وطربزون وقسطنطين رجالاً عظاماً . . .

وقال يصف تأخر المملكة العثمانية ونفسخها بعد ان عاد من اوربا وقال ان رجعتهم الى الاستانة وانغير عظيم وراحة للفكر والجسم فان المرة بتنقله هذا بين الاستانة واوربا لا يتنقل فقط في المسافات بل بتنقل في الاوقات والادوار . فان ثلاثة قرون تفصل بين أترك اليوم وطريقتهم في فهم الاشياء وصلاتهم الاجتماعية وحياتهم العامة ، وبين ارتقاء اوربا الغربية وفضلاً عن هذا التباين الحسوس فان تركيا تهوي قليلاً قليلاً الى درجة سوأى من الانحلال والاستسلام على حين تسير اوربا بخطى واسعة وتنتفع بالاختراعات الحديثة وتغني أدبياً ومادياً . وذكر بعد صفحات وقد عرضت عليه الدولة ان تبناغ سهام إدارة حصر الدخان قوله : حقاً ان هؤلاء القوم عجائب بسذاجتهم فانهم كلبوا في تقض البنيان الموجود وإلقاء العثرات في سبيل عمل يسير وهذا لا يواز به الا عدم كفايتهم لايجاد شيء ثابت دائم . بها كان نوعه .

وقال في وصف الأروام : اننا نعيش في الامتانة الى جنب الأروام كثيراً وهم
 ثرثارون مثل اهل مرسيليا مفرطون في كلامهم بشكون باصوات عالية و باشارات
 عظيمة ، وكل ذلك ليعبروا عن امور تافهة او لا أصل لها . فهم مهذارون الى التي ليس
 بعدها و يفيضون اليك و يسرون في أذنيك بأكاذيب هائلة يعتقدونها كل الاعتقاد .
 لا جرم انهم أناس عاديون غير متماسكين ، رأينا فيهم ما عرفناه عن الروم القدماء ،
 وكنا نذهب الى ان ، الأثر عن قدماء يونان من الاعمال والانتصارات والمجد هو من
 صلتهم و صلف الجنوب و مبالغاتهم و مبالغات مؤرخيهم و شعرائهم قياساً مع أروام اليوم ،
 لولا ان في زبارة المصانع القديمة في يونان و ذكريات العصر اليوناني العظيم مما يزيل
 هذا الظن ، فان البراهين على الثقافة العالية والايقدار والإلمام العالي محروس
 لا نزاع فيه .

وقال (ص ٢١١) : زارني هذا الصباح عظيم من عظماء القصر فتعيت اليه قدري
 بك (والي طريزون وكان إدارياً حكيماً) فضرب يديه سروراً وصرخ صرخة الفرح ،
 واذ قد رأي صامتاً دعشاً قال لي : وهذا وال سينصب له خلف ، والتم لنا في ذلك
 لان خلفه يجب عليه ان يؤدي على الأقل من ثلاثة الى اربعة آلاف ليرة الى صندوقنا
 المشترك . ولقد هممت ان أدفعه الى أسفل السلم لكلامه هذا واكتفيت بان قلت له
 بلهجة استغريها : ان الفضل يرجع الى قدري بك بحماية بلاده . من ان تكون طريزون
 مكدرية ثانية على الحدود الروسية ، وان التفكير في إتمام السيادة التي سار عليها قدري
 بك أهم من تسرب بضعة آلاف ليرة الى صندوق كصندوقهم .

وذكر بداعي وصف احدى الجرائد السويسرية لحال مقاطعته في الأزمان الغابرة
 ان تبدل الأخلاق وما يتمتع به الجمهور من المرافق العامة يرجع السبب فيه الى أسباب
 بعيدة صعبة . أكثر من التبدلات الساذجة في اصول الحكم والسياسة في شعب . فان
 هذه التبدلات نفسها ليست سوى نتائج حدثت من أسباب أخرى هي قائمة بانتشار
 التربية العقلية التي تنمى في أطراف العالم منبعثة من أسباب عرضية من مثل
 ظهور رجل عظيم ادني كريم . ومن الأمة المذورة بنشأ الذكاء في طبقات الخاصة
 الذين يوجدون العلم و يكتشفون عن محيا امور نجملها او يوحون اليها بشرائع ادبية خصبة

بنائها ٠٠٠ والفلاح هنا يعيش تمساً في كوخه جاهلاً ما يجري على ميل من مقره لا يملك تقدماً ويحصل على حاجياته بطريق المقايضة . وهنا أيضاً لاشأن للنظام والتنظيم الذي هو من شأن المجالس البلدية ، والطرق غير امينة ولا سبيل الى النقل الا بمقطورة . وهنا ايضاً احتفظ القوم بالاليب التعذيب والعقوبات التي كانت تجري على عهد شارلكتان ٠٠٠

وكتب (ص ٢٦٨) زرت هذا الصباح الصدر الأعظم في قصره وكان يشكو أماً في خمره نقصاً على الدسائس التي تحيط به وما يتهم به النامون قال : ان في الولايات ولاية لا شأن لم الا ان ينهبوا الدولة ويسلبوا الامة اقترحت نفيهم او قتلهم وعيناً حاولت لان جلالته لا يصفق على ذلك لان بعض الافاقين او الخدم او احدى نساء الحرم تحمي الرائي ، فيوممون السلطان اني أعمل بعامل جنسية ضد مصلحة الدولة والسلطان يعتقد باقوال هؤلاء الساقطين اكثر من أقوالي .

ومن أفكاره (ص ٣٤٢) : ان الألمان منافسون وفيهم الخطر : ذلك لان سفارتهم وبيوتهم المالية الكبرى لضغط بكل ثقلها على مفارضات الحكومة العثمانية ومفارضات السلطان ، وترى الافرنسيين يوماً ناجحين ومن الغد منقهرين ، وهكذا تمر الاسابيع والشهور . وجميع العقبان والبواشق في القصر السلطاني من كبار رؤساء الجواسيس والحجاب وأبناء السر والباشاوات وبعض الوزراء يراقبون هذه الحركات والقلق آخذ منهم ، وأعتاقهم ممتدة ، واقفين بالمرصاد للفتائم منتظرين صدور الارادة السلطانية في تعيين الظاهر وظهور المنكوب السعيد يوزع عليهم « الينخاشيش » عندما تكتب له الغلبة . وما أغرب شأنهم ذاك اليوم . منظر جدير بمثل هذه المملكة بمملكة عبد الحميد ٠٠٠ في ادارتي رجل مستقيم فعال اسمه حاجي اوليا عهدنا اليه باستثمار الدخان في ولايات ساحل البحر الاحمر اليمن والحجاز وقد أصبح واسطة لجميع العلاقات بين الدولة وتلك البلاد في البياعات ونقل الجنود والبضائع والمواد . اتى يوم وقد أصبح له في ذمة وزارة المالية ٢٤ الف ليرة عثمانية وتعذر عليه ان يقبض فلساً واعترفت النظارة بصحة حساباته بعد صعوبات حمة وقضى مجلس النظار بان يؤدي اليه مطلوبه ، ضرورة ان الدولة تتطلب منه خدماً أخرى ، وحاول عبثاً استصدار الارادة السنية بذلك ،

وهو منذ أشهر يأتينا شاكياً متوجساً خيفة من إفلاسه القريب ، وها قد أتى أمس الى إدارة حصر الدخان متلهلاً كأنه عاد فتياً عشرين الى الورا ينقئ باماديج السلطان ، ويحمد الله على توفيقه . فسألته ماذا جرى لك يا حاجي اوليا فأجاب لا تعرف ماجرى يا ذا السعادة ان اخي ذكر فكراً حسناً فأرسل اليّ من اليمن اربع بقرات غريبة اكل منها سنام في ظهرها فقدماتها مدية الى السلطان فصدرت ارادته بعد اربع وعشرين ساعة وسألني السلطان ان أجلب له طيوراً من بلاد العرب وهاءنذا أقبض الاربعة والعشرين الف ليرة وقد أنقذت مما كان يهددني . اما نحن فاننا نقامي منذ سنين الامنى من سخط السلطان وذلك لاننا لم نعرف المدخل والمخرج ولم نستطع جلب اربع بقرات محدودة الظهر فالواجب ان تفكر في طريقة أخرى .

ومن مفكراته يوم ٢٢ آذار ١٩٠٥ : نتابع الفضاخ الداخلية في القصر السلطاني ويوم السبت الماضي كانت لجنة حربية منعقدة للنظر في حوادث صنعاء وحالة اليمن والحجاز المضطربة فان كثيراً من القبائل العربية قد انتقضت وهي محاصرة مدينة صنعاء شري في جدة ، وشاع في الأيام الأخيرة ان المدينة قد سلمت . ومهما يكن من الامر فان المناقشة في اللجنة العليا كانت محتدمة على ما يظهر عندما دخل الكاتب الثاني عزت باشا المشهور وتقدم يشارك اللجنة في مذاكراتها فقام ناظر الحربية اذ ذاك وسأله بشدة كما ينال صعلوك يتدخل فيما ليس من شأنه ، وأضاف الى كلامه حركته وتناول كرسياً بيده وكسره على رأس ذاك السوري الصغير فوق اضطراب واستدعي الطبيب زامبا كواشاً وقد أخزج الصدر الاعظم منديله ليقطع به الدم المهرق . جميع اهل المندى يقصون هذه القصة وكل انسان يأسف لان أثاث القصر لم يكن متيناً والا لكان الوزير حطم رأس الباشا بدلاً من ان يكسر الكرسي فقط . وليت شعري اي معروف كان أسدى لبلاده اوسيان وفق في ضربته ام لم يوفق فان حركة الوزير كانت جميلة في النظر ، ترى فيها البادن العظيم رضا باشا بقامته الكبيرة يحمل كرسياً ليسحق به هذا الافعران المضر . وليت شعري ما كانت أجمل الصورة الشمسية التي تستخرج بنقل هذا المشهد .

هذه نموذجات من كتاب السويصري في العهد الحميدي البائد وانما المرة حديث

بعده . وأظن ان هذه الوفائع تكفي في إقناع من يحاولون غش التاريخ ومادح ذاك
الدور في الحقيقة الا الذين حلبوا العنزة المسكينة واكلوا درتها ثم تنفوا صوفها
وعسقوا عظمها .
محمد كرد علي

تاريخ الادب العربي

تأليف السيد احمد حسن الزيات طبع بمطبعة الاعتماد بمصر . الطبعة الثانية

(ص ٣١٣) طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر المؤسسة سنة ١٩١٤

مؤلف هذا الكتاب من نوابغ الادباء الذي أحكوا القدم من أدوات الكتابة ،
وسموا اليها ما يتفهمها من الحديث . وقد علمنا من حياته انه بعد ان حفظ في الأزهر
القرآن ودرس التجويد والقراءات وعلوم الشريعة واللسان وقرأ أمهات كتب الأدب
على العلامة سيد بن علي الرضوي حذق اللغة الفرنسية ودرس الحقوق بها ، وأحرز
شهادة العالمية من جامعة باريز ، وغذى عقله بحرية البحث ومحبة النقد ، ثم انصرف الى
تدريس آداب العرب وعني بالتأليف والترجمة . وكتابه هذا من خير ما أخرج للناس
من الأسفار ألفه بحسب برنامج معارف مصر للمدارس الثانوية فجاء مما يستفيد منه كل من
تطعم نفسه الى الايلم بهذا الفن الواسع الاطراف ، المتشعب المناحي . بدأه بالكلام
على أدب اللغة ومنزلة الأدب العربي وتاريخه وفائدته ونقاسمه وعلوم العرب واللغة
ولغاتها وأطوارها وخصائصها والنثر والحكم والخطب والشعر وأوليته ونقاسمه عند
الفرنج وأبان السبب في خلوة الشعر العربي من القصص وميزات الشعر الجاهلي والرواية
والمعلقات والحماسة والمدح والهجاء والثناء والاعتذار والوصف والنسب وأورد تراجم
جميلة مع الايجاز لشعراء الجاهلية والاسلام والخطباء والكتاب ، وألم بتدرج اللغة
وما أثره الاسلام فيها وتأثيرات القرآن الكريم وإعجازه وأسلوبه وتأثيره وجمعه وتدوينه .
وعرض لعبد الحميد الكاتب وأثره في الكتابة والموازنة بين الكتابة في عهده
وبينها في الجاهلية وأثر الخطابة في الاسلام وأورد تراجم علي بن ابي طالب ومحبات
وزباد والعجاج بن يوسف ومثالات من خطبهم ومن النثر في عهدهم وذكر الشعر في

العصر الأموي وسيرة طائفة من النابهين من شعرائه ونماذج من أقوالهم . وانتقل بعد ذلك الى العصر العباسي وما آل اليه الأدب بتأثير الحضارة الفارسية فيه وترجم لأعيان الكتاب والشعراء والأدباء والنحويين واللغويين والفلاسفة والمحدثين وألم بما صارت اليه كتابة التاريخ وتدوينه وعلوم الحديث والفقه والفلسفة وما صارت اليه اللغة في العصر التركي وذكر بعض أعلام الأدب ووصف ضعف ملكة البيان حتى كان الاحتلال الفرنسي في مصر وما تبع ذلك من عمل محمد علي الكبير فأضت اللغة الى بعض روتقها وترجم من المعاصرين في الأدب أربعة رجال وامرأة من المصريين وذلك بحسب الخطة التي رسمت للكتاب وهم المرحومون محمود سامي البارودي ومحمد عبده وحفني ناصيف والشيخ حمزة فتح الله وملك ناصف ابنة حفني ناصف المعروفة بباحثة البادية . وذيل الكتاب بمجم صغير لتفسير ماورد في الكتاب من الألفاظ الغريبة والتراكيب الغامضة . هذه رؤوس المسائل في هذا الكتاب الذي جوده مؤلفه تصنيفه وجمع الى الجزالة الرشاقة فأتى بمجموعه مثال الكلم الطيب والقول البليغ والتجري سيف البحث والناف زهرات أئمة الأدب وإدماجها في أسلوب يجيب تلاوته ومراجعته ، ولقد يكتفي طأب هذا الفن بهذا المثال الجيد من أدب العرب ، ويتبلغ به هذه الزبدة الطيبة تملأ وطابده وتغنيه في سن الدراسة عن الرجوع الى المطولات . وعسى ان تصح عزيزة المؤلف النابغة على وضع كتاب مطول في هذا الفن الذي قال فيه انه علم حديث النشأة ابتدعه الا بطاليون في القرن الثامن عشر وظل مجهولاً في الشرق حتى اشتد خلاطه بالغرب فكان اول ما نقله الاستاذ المنصور له حسن توفيق العدل اقتبسه من المانيا ودرسه في دار العلوم^(١) بمصر .

(١) ألف صديقي العلامة المرحوم حسن توفيق العدل كتاباً في آداب اللغة العربية ونفضل ودفع اليّ في سنة ١٩٠١ بمصر مسودات الجزء الاول فقرأته واعدته اليه ولا أعلم اذا كان مثلي بالطبع ، ومما قرأته من الفوائد فيه ان اوزان الاعاريض من مخترعات العرب الصرفة وانهم لم يأخذوا وزناً من غيرهم بل اخذ عنهم كثير من أمم اوربا انواعاً من القافية .

ومما قاله في الرواية والملفات (ص ٢١) « قال ابو عمرو بن العلاء : (ما انتهي اليكم مما قالت العرب الا أقله . ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير) ولكن هذه الكثرة منهجة وروايتها مريبة ، فان الشعر لم يدون الا في منتصف القرن الثاني للهجرة ، وان في نقله على الألسنة طول هذه الأزمنة مظنة للتبديل والاختلاق والتزويد » اه . وقد ثبت ان التدوين سبق هذا العهد فان زيد بن ثابت ألف كتاباً في علم الفرائض وكان عبد الله بن عمر يكتب الحديث وذكر مسلم في صحيحه كتاباً ألف في عهد ابن عباس في قضاء علي . فليس من المعقول ان يتأخر العرب في تدوين شعرهم وهو ديوان معاخرهم وصحيفة ادبهم وتاريخهم الى منتصف القرن الثاني .

وقال (٨٢) : وقامت خلافة الأمويين على غير عمد من الحق فاساوا الناس بالتفريق وإحياء العصبية وادقدوا نار التنافس بين الشعراء . . . ولما الناس عن الخصومة في خلافتهم بالخصومة في امر جرير والفرزدق والأخطل ، وحل المربد في الاسلام محل عكاظ في الجاهلية ، فعلوا ذلك بالشام والعراق فظهر العجاء السياسي وهو فن من الشعر جديد واعتقلوا شباب الهاشميين وسرايتهم في مدن الحجاز ، وسلطوا عليهم الترف ، وشغلهم بالمال ، وخطأوا بينهم وبين الفراغ ، فتدققوا في اللهو ، وعكفوا على الغناء . . . اه . وليس هذا الكلام صحيحاً على إطلاقه لان الأمويين كخصومهم طلبوا دولة نباهوها بمضائهم وعصبيتهم وحنن سياستهم ، واذا كان الهاشميون من طينة غير طينة العرب او البشر في الفضل والنقي فلماذا مالوا كل الميل الى ما حمله الامويون اليهم من اسباب الترف والسرف . ولو وقف الامر عند الحد الذي أراده الحجازيون والعراقيون اذ ذاك لما انتشر الاسلام هذا الانتشار المدهش ولا بلغت فتوحاته المغربين والمشرقين .

وقسم المؤلف العصر العباسي الى اربعة اعصر تبعاً لاحواله السياسية والاجتماعية ، فالعصر الاول من ابتدائه الى خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ ، والثاني من خلافة المتوكل الى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ ، والثالث من تغلب البويهيين الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ ، والرابع من دخول السلاجقة بغداد الى سقوطها

في ايدي الثر سنة ٦٥٦ وهذا التقسيم سار عليه ايضاً بعض المؤلفين المحدثين الذين
دوّنوا شيئاً في تاريخ الادب عند العرب .

واعتذر الاستاذ عن إغفال ذكر الشاميين وأثرهم في النهضة العربية بقوله : وما كان
أروح للنفس لو اتسع صدر هذا الكتاب لتراجم مواطني وجيرتي ! ولكن البحث محدود
والقلم موجز . ومهما يكن من شيء فلن يفوتنا ذكر اسمائهم مُعْتَبَةً باسماء معاصريهم
في المراق والمغرب ، اعترافاً لهذه النفوس الكبيرة المظمئة بالاحسان والفضل .

وقد وقعت بعض هنات قليلة جداً للأولف أكثرها من غلط الطبع مثل « اعتنى
الاسلام » وهذا من التعابير الافرنجية والأولى ان تحل أو دلت أو غير ذلك . ومنها
(ص ٢٣٤) ان الاستاذ جويدي الايطالي وضع فهرساً يجدياً مطولاً للأغاني وطبعه
بمصر سنة ١٣٢٤ والتصحيح ان الاستاذ الايطالي وضع جداول الأغاني بموازرة ثمانية
من علماء المشرقيات وطبعه في ليدن سنة ١٩٠٠ وما طبع سي في مصر من مثل من الطبعة
الفرنسية ومنقول عنها . وروى (ص ٢٤٥) ان كتاب البدء والتاريخ هو لابي زيد البلخي
ولكن تبين آخر أنه للطهر بن طاهر المقدسي ، وان ابن أبي أصيبعة صاحب طبقات
الادباء والتصحيح ان صاحب هذه الطبقات ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان وكتاب
ابن أبي أصيبعة اسمه عيون الأنباء في طبقات الاطباء . وقال ان ابا الفداء وصل في
كتابه المختصر في اخبار البشر الى سنة ٩٢٩ وصوابه ٧٢٩ و ابا الفداء مات سنة ٧٣٢
كما جاء في الكتاب نفسه . وجميع صفحات الكتاب درر وغرر . محمد كرد علي

== ❦ ==

آلام فرتمز

للشاعر الفيلسوف «جوت» الالماني نقله عن الفرنسية السيد احمد حسن الزيات

الطبعة الثالثة طبعت بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر في مطبعة

الاعتقاد سنة ١٣٤٢ — ١٩٢٤ ص ٢٠٨

اشتهرت هذه القصة في الأدب الغربي وبالعالم الغربيون في الإعجاب بها ، وقد نقلها
نابغة الأدب الاستاذ الزيات ايضاً بما رزق من القوة على تذليل صعاب اللغتين و برشاقة

وذلافة دل بها على علو كعبه في ممارسة القلم العربي الذي يتوفر على إرجاعه في أسلوبه الى عهد ابن المقفع والجاحظ وسهل بن هرون . خاصية امتاز بها بعض من درسوا الأدب العربي حق دراسته ، وتشبعت نفوسهم بالأدب الفرنجي . أمثال شكيب وطه والعقاد والمازني وغيرهم من أعيان البيان في هذا الزمان . وقد برز في هذه الطريقة خصوصاً نوابغ الأزهر بين الذين عالجوا الأدب ومقوماته ، ونوابغ دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي ، وكم فيهم من لم يشتهر اليوم بكتب من السهل الممتنع الذي لم ينهض بمثله كتاب القرن الخامس والسادس . وقد قدم لهذا الكتاب صديق المؤلف وتربيه ونسيجه الدكتور طه حسين مقدمة قال فيها ان «جوت» وصف في هذا الكتاب الحياة النفسية لكل شاب وشابة على اختلاف الأزمنة والامكنة وعلى تباين الحالات ، وانه من الكتب التي أنشئت لتبقى ابد الدهر ، تخلد لانها لا تصف الأشخاص التي تفتى وتزول وانما تصف النوع الذي يبقى ويدوم ، وخصلة أخرى قضت لهذا الكتاب بالبقاء والخلود هي انه لم يقف عند حد تمثيل الحياة النفسية للشباب في طور من أطوارها وانما وضع للانسانية مثلاً من الفضيلة تحس كل نفس الميل اليها وترد لو بلغت او دنت منه . . . ان آلام فرنز ليست قصة منخللة او بناء متكلفاً استعيرت اجزاؤه المتكلفة من الخارج ، انما هي قصة ما أصاب «جوت» نفسه او بان شبابه . ومن هنا برى الكتاب مما يشوه غيره من آفة الكذب والاختراع .

وقد وضع المترجم بعض الألفاظ للدلالة على بعض الكلمات الفرنجية مثل بيان (Piano) او المضرب . عصتر (Gouter) الوجبة الخفيفة التي تؤكل وقت العصر لكلمة عَدَفَ وتعَدَفَ ، كَمَجَ ونَلَمَجَ ، تلقى عند العصر وجمع اسمها على عصور . فديج (Gratin) الأشنان (Mousse) وربما كان الأولى يطلق عليها اسم طُحْلِبَ واعلمها الأشننة (شيبة او كشة العجوز) . وقَنَزَج (bal) اي المرفص . واستعمل كلمة «ظروف» بدل الاحوال و«قتل الوقت» بدل صرفه وقطعه والقتل هنا اعجمي . وجمع الروادي على رديان والمعروف الاودية والاداء والوادية . وقال (اشجار الدوح) . والدوح الشجر العظيم فلا حاصل لمعنى (اشجار الاشجار) . ومن الفصح والتراكيب الجميلة التي يزيد احياءها : «متع الحياة . متوع النهار . تمحدي الناظر ونماجز المراقب .

نزية (حدة) من الشوق • يزوجون بنيتهم بدالا • يوم قائظ ثلوقدهواجره •
وتحرق سمائه • الكلمات المندية — المنجلة • خشاة ان — خشية ان • رجاء ان —
رجاء • رَجِيَّة وامل — رجاء • الصاغر المشدود • اصحر القلب (اصحر بما في قلبه
اظهره) وضاح الجبين • تركته يعب عيابه • ثقل خلاطهم (مخالطتهم) على طبعه •
تعلم منذ بعيد • اجزت الفناء — جزته • عدواء الدار — بعدها • امرأة نصفا تغترق
الابصار ملاحه • عقرت — فجأني الروح فلم اقدر ان اتقدم اراها آخر • معيشة ضنك
ومسترد حرج • العيش الرقيق — لعله الرفيع بالعين المبحجة من رفع العيش اتسع •
مخشوب الجسم • يحذونهم على مثالم • عصاه العقداء • رثدا — قرينها في السن •
ينجلون المرعى يحشونها • الود المصنق • مؤانستها والتظرف اليها • أبقى على نفسي
واهاونها • ربكها حملة • ارفه على نفسي • لاث الموت شدته وكرهه • نعم وانعام
عين • لا يقع الا ندورا • زماه النصر ولج به الفخر • كان مُحَمَّماً مأفوناً • رجل
مأفون بماسك • راقصة مرجعنة • التي الخبز على رؤس ميلاته — من دون تثبت • تقع
هذه الكلمات وجدواها • الداء الثبات المعجز عن الحركة • عرفت لهذا الخطب صبرت
وتجلدت • ارى له صورة الي اي ميلاً بالود • صب جلده وارتهكت مناصله •
استنشيت ذكرى ما نعمت به • كظمني الحزن ولاع قلبي الم • اعمد في جوف غابة
واخبط في الادغال الشواجن • لن تراني عوَّض • كظمت على رجائي • ادهام المشي
بالخضرة النضرة • زهفت الى المرات • المندام المشياً — المختلف القبيح • يستمعون عنه
اي يذيعون منه عيباً وفضيحة • يمرجون السنتهم في عراضه — يطلقونها في الدم
والاغتياب • أرفد الوقت (دنا) • بفري القرشي يأتي بالعجاب في عمله • امرأة عجفاء
معروفة العظم مسقامة • ثنائان الحديث • استمر الكأس واجتواها اي وجدها مرة
وعافها وكرهها • اقمى عن الطعام كرهه • خب المرأة على زوجها — حملها الى النفور
منه • نرويه على سوقها وتثبتهان بنصها • شقق الماء الارض غمرها • اقرنت السماء
بالمطر — دامت ولم تقلع • اضب له على حقد اضمرة ونواه • يوزعها الصبر ويشعب
قلبها بالسلاوة • الى عشرات غيرها من النصيح في التركيب الحري بالاعتباس والاحتذاء •

رفائيل

لشاعر الحب والجمال (لامرنيين) نقله عن الفرنسية السيد احمد حسن الزيات
الطبعة الاولى بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع بمطبعة الاعتماد
بمصر (ص ٢٦٢)

وهذا ايضا من نقل الاستاذ الزيات وآخر ماخطته يده الصّناع ، وذوقه المعجب ،
وأدبه المتمتع ، قدم له الاستاذ الدكتور منصور فهمي من حكماء مصر في هذا العصر
مقدمة شائقة قال فيها : « فكأن الاستاذ الزيات باختياره ترجمة هذه القصة التي
استمدّها كاتبها من جمال الطبيعة ، وجلال الايمان ، وشرف العاطفة ، قد حرص على
ان يقرئنا صحتين قيمتين فيها دقائق الكونين من عالم الغيب والشهادة ، او من عالم المعنى
وعالم الحس ، وبهذا الحرص قد خدم اللغة العربية أجل خدمة . واي خدمة أعظم من ان
يعين الانسان لغته على بلوغ دقة الوصف ورشاقته وتحليل الشعور ودقته . » فاذا
نقل الينا الناقلون كتاباً حديثاً يتضمن أوصافاً لأرض غير التي ذكرها العرب ، ويحتوي
مشاعراً غير التي أحسها الغرب ، فانهم بعملهم هذا يمدون في لغتنا صيباً ويضيفون الى
رهرائها زهوراً ، والى نغماتها ألحاناً ، والى حياتها حياة . » وخير برهان على ذلك
ان قصة رفائيل التي نحن بصددّها بقرأها الانسان عريضة صحيحة على أسلوب العرب ،
وبيان العرب ، وفيها رخامة ألحانهم ، ورنات أوتارهم ، وهي تحمل الينا كل ما قاله
وصوره كاتب من اكبر كتاب الفرنجة بلغة الفرنجة وأسلوبهم ولحنهم . أو يقول
المتطرفون بعد ذلك ان اللغة جامدة ! او يقول الجامدون بعد ذلك ان نفوسنا لا تتأثر
بما ننقله الينا اللغة من مشاعر الغير وأساليبه في تصوير الوجود ؟ . ثم قال ان للترجمة
كما قال الصفدي طريقتين ترجمة حرف بحرف وهي ترجمة رديئة وترجمة المعنى وهو ان
يأتي بالجملة فيحصل معناها في ذهنه ، ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها ،
سواء ساوت الألفاظ ام خالفتهما . قال الدكتور فهمي ان مترجمنا هذا جمع في منهاجه
في الترجمة فضائل الأساليب جميعاً فلم يفرط في نظام الكلمات اذا سلم المعنى ولم يفرط
في معنى اذا لم الامر لتفريط في مبنى قال : « وبين تزويجه للطريقتين قد افاده تمكنه

من اللغتين المنقول اليها والمنقول عنها ، فتخير الألفاظ وصقل الأسلوب ، وادى الامانة بما تقتضيه الدقة والايجاز . والخلاصة ان الاستاذ الزيات كان فناناً في نقله ، أميناً في فنه ، معروفًا في عمله .

وهذا الكتاب كصنوه « آلام فرتر » ينطوي على أجمل التراكيب وأنصح الألفاظ أحبا بها كثيراً منها حريٌّ بالكتاب ان يتعاوروا استعمالها كما أحبوا مثات من مثلها . وقد وقعت للمترجم ألفاظ من الفاظ الصوفية جاء بها للتعبير عن المعاني الروحية التي أرادها المؤلف الأصلي وهذا من جميل العناية البالغة في اجادة التصوير . وقد وقعت له بعض الفاظ لم تؤثر لاحد من البلغاء منها . يتراوح بين فرسخ وثلاثة والاولى يختلف لان التراوح ان يفعل هذا مرة وهذا أخرى . بلغ اربعة وعشرين ربيعاً اي سنة ولم يعهد استعمال الربيع بمعنى السنة وهو استعمال افرنجي . والتخوير بدل التبديل والتغيير والتخوير التبييض . في بحر يوم وليلة . والاولى في مضافة يوم . سمع البندول (الرقاص) يدق الثواني . الكسبة لذلك الكرسي المستطيل . البرنز — الشبداوى منها . تفتحي بنفسها في سبيل . يرضخا (يعطيا قليلا) الي شيئا من مالها واشتريري يقول بشرى بها رضح بها له . يقتلوا ساعات من الزراغ فقتلوا غير عامدين ساعات من الهناء ومثلها اقبل الوقت .

وان في اقبال القراء على ما تجود به قريحة الاستاذ الزيات في هذه الترجمات البارة لبرهان قاطع على ان في جمهور المتعلمين من تروقيهم روعة هذا اللون من الانشاء الرصين ، ولا يرتضون بعد الآن غيره من النمط النازل عن درجات الفصحاء والبلغاء .

م . ك

— — —

هدية

اهدى الى المجمع العلمي الاستاذ العلامة السيد رشيد رضا صاحب المنار بعض مطبوعات مكتبته وهي : (١) أسرار البلاغة و (٢) دلائل الإعجاز والجزء الثامن من تفسير القرآن الذي ينشره في مجلته ورسالة التوحيد للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فالمجمع يشكر له هديته .

كتب ورسائل مختلفة

- (١) صور المفاوضات الخطية المتبادلة بين وفد خدام الحرمين الشريفين الهندية وبين عظمة سلطان نجد في غضون يناير — فبراير سنة ١٩٢٦ .
- (٢) المنهاج في المراج للشيخ عبد المجيد المغربي من علماء طرابلس طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام سنة ١٣٤٤ ص ٤٠ .
- (٣) النظم المفيد الاحمد في مفردات الامام احمد نظم قاضي القضاة محمد بن علي العمري المقدسي الدمشقي المتوفى سنة ٨٢٠ عنت بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها في القاهرة سنة ١٣٤٤ ص ٨٠ .



استدراك

ذكرت في تملقي على رحلة ناصر خسرو القبادباني عند ذكر قرية حاضرة انها ربما تكون محرقه عن كفرمنده وقد تراءى لي أخيراً انها محرقه عن حطين او خياره اللتين ذكرهما ياقوت في معجم البلدان في مادة حطين اذ قال : ^(١) حطين موضع بين طبرية وعكا بينه وبين طبرية نحو فرسخين بالقرب منه قرية يقال لها خياره بها قبر شعيب عليه السلام وتقل عن الحافظين ابي القاسم الدمشقي وابي سعيد المروزي ان حطين قرية وهو الصواب لان هذه القرية لا تزال آهلة بالسكان وعددهم اليوم ٨٨٩ نسمة .

اما اربيل او اربيد التي ذكرها فيجب ان تكون محرقه عن (بيت اربيل) العبرية ومعناها دار الله او مكن الله وهي اليوم خربة على نحو ثلاثة أميال شمالي طبرية وجنوبي قلعة ابن معن تسمى اربيد وقد ذكرها ياقوت ايضاً بهذا الاسم ^(٢) .

عبد الله مخلص

(١) معجم البلدان طبع ليبسك ج ٢ ص ٢٩١ .

(٢) ج ١ ص ١٨٤ .

مَجْلَمُ بَيْتِ الْعَرَبِيِّ

(دمشق) : ايار سنة ١٩٢٧ م الموافق ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هـ

البلاغة سبيل الوزارة (١)

« وعمرو بن مسعدة وعصره الزاهي »

عصر عمرو بن مسعدة :

من أجمل العصور بل أجمل عصور الامة العربية هذا العصر عصر المأمون العباسي الذي دام عشرين سنة ونحو نصف سنة ، كان السلطان الاكبر فيه للعقل في السياسة والادارة ، وقل المتوثبون على الخلافة ، والعاثون باهواء الناس ، وانصرفت الامة الى شؤونها في ظل السلام فزادت سعادتها وشملتها الرفاهية والهناء . نظر المأمون في ماضي الملة وحاضرها ، فرأى ان من اعظم ما يكدر شرعة سياستها ، طموح آل البيت الى الخلافة ، وقعودهم لما بكل مرصدها واستهانتهم في سبيلها بالخطوب والكوارث . رآهم منذ مقتل الحسين بل منذ أدائل العهد الأموي يهتبلون الغرة للاستيلاء على زمام الامر ، فيضطرب كل بلد نجم فيه ناجم منهم ، وتلتاث الاحوال ويخشي سوء المآل ، فلم يبرحم الله الا ان يمد الى الرفق والرحمة للكبح من جماح العلويين وتأليف شاردهم . وكان آل امير المؤمنين علي بن ابي طالب منذ عهد المنصور ومن بعده يتوجسون خيفة من قوة العباسيين ، فيستخفون ويبتعدون عن الناس ، تخفيت بعزلتهم عن العوام حقيقة امورهم وظنوا فيهم ما يظنونه بالانبياء ، وأنشأوا يتقوهون في صفتهم بما يخرجهم عن الشريعة من التفالي . فنظر المأمون في هذا الامر نظراً بليغاً وقال : لو ظهروا للناس ورأوا فسق الناسق منهم ، وظلم الظالم ، لسقطوا من اعينهم ولا قلب شكرهم لهم

(١) محاضرة للسيد محمد كرد علي القاها في ردهة المجمع العلمي في ١١ آذار

سنة ١٩٢٧ .

ذما . ثم قال : اذا امرناهم بالظهور خافوا واستتبروا وخنوا بنا سوءاً ، وانما الرأي ان تقدم احدهم ويظهر لم إمام ، فاذا رآوا هذا ، أنسوا وظهروا ، وأظهروا ما عندهم من حركات الآدميين فيتحقق للعوام حالهم وما هم عليه مما خفي بالاختفاء . واستشار المأمون خاصته فأشاروا عليه بعلي بن موسى الرضا ، فعقد له ولاية العهد من بعده ، « لما رأى من فضله البارع ، وعلمه الناصع ، وورعه الظاهر ، ورعده الخالص ، وتخليه عن الدنيا » ولقبه الرضا من آل محمد وزوج ابنته محمداً من ابنته ، وسارى بين آل علي وآل هاشم ، غاضاً الطرف عن شكايه بني العباس . وكانوا قد بلغ عددهم لعهد ثلاثة وثلاثين ألف إنسان . وبذلك استقرت الحال وكفيت المملكة شر الفرائل الداخلية زماناً . تجلّى عقل المأمون في هذه الطريقة الجديدة كل التجلي ، بيد ان عمله لم يرض عنه الشيعة ولا السنة : الشيعة لا يرضيهم الا القبض مباشرة على قياد الامر وإزالة كل ملك الا لشيعتهم والقضاء على كل خليفة وخلافة ، والسنة لانه عهد بولاية العهد الى أمثل رجل علوي في عصره ، فحاذروا ان تخرج الخلافة عنهم ، ونهاسوا بشيعة المأمون وهو فوق ما تصوروا وقدرّوا ، واتخذ خصومه من هذا العمل حجة لا لقضاء الخلافة اليهم فأبدوا نواجذ الشر ولكنهم لم يفلحوا .

اما صلوات المأمون مع الدول المجاورة فكانت حسنة في الجملة خصوصاً مع صاحب الروم ، ومملكة هذا ظلت في ذاك العصر على شيء من التماسك والقوة أمام سلطانات العرب . بيد ان كلمة المأمون كانت هي العليا في فض كل خلاف يعيث بمحقوق الجوار ، ويشوه وجه السلام الجميل . كتب توفيل بن بخايل صاحب الروم مع وزيره يطلب من المأمون الصلح وعرض الفدية ومما قال في كتابه : وقد كنت كتبت اليك داعياً الى المسالمة ، راغباً في فضيلة المهادنة . لتضع أوزار الحرب عنا ، ونكون كل واحد لكل واحد ولياً وحزباً ، مع اتصال المرافق ، والفسح في المتاجر ، وفك المتأمر ، وأمن الطرق والبيضة » . فكتب اليه المأمون يهدده برجال « الذين يتقربون الى الله بدماء الروم وهم اظلم الى ورود المنايا منهم الى السلامة » . جاء في آخره « غير اني رأيت ان اتقدم اليك بالموعظة التي يثبت الله بها عليك الحجة من الدعاء لك ولئن معك الى الوحدة والشرعية الخفيفة ، فان ايت فدية توجب ذمة » .

ومن دعوة المأمون ملك الروم الى الاسلام نفهم عنزة الامة الى عصره . ثم حدثت احداث في بعض بلاد الشرق وديار مصر وربيعة واليمن ، فأطفت نائرتها لم تنعد الارض التي انبعثت شرارتها منها . ولم تهزلها عامة طبقات المجتمع في تلك الامبراطورية العظيمة . قال الحميداني : وقد كانت للخلفاء فتوح ولكنه لم ينسق لاحد ما اتسق للمأمون وعبد الملك بن مردوان والمعتصم بالله الا ان فتوح المأمون وعبد الملك كانت لمن قصد الى ملكها فبلغا في ذلك ما لم يبلغه احد في الاسلام من الملوك . والسبب في نجاح سياسة المأمون ابدأ انه كان يحسن اختيار رجاله ، واختيار المرء قطعة من عقله ، ولا يعرف الرجال الا رجل ، ومن يختار لحماية البيضة وقيام الدولة امثال طاهر بن الحسين وعبدالله بن طاهر والفضل بن سهل وسهل بن هرون وعمرو بن مسعدة — موضوع محاضرنا الآن — الى غيرهم من القواد والوزراء والكتاب والعمال لا ينال عمله غير النجاح ، ولا يعتري سلطانه ضعف ووهن .

الحالة العلمية في عهد عمرو بن مسعدة

اتم المأمون ما بدأ به جده وابوه المنصور والرشيد من ترجمة كتب الاوائل ، واستجد مهرة التراجمة لنقل الكتب التي اخذها من الروم ، وانتقد الى بلادهم لاختها الججاج بن مطر ويوحنا بن البطريق وسلة الخرافي صاحب بيت الحكمة ، وجلب المترجمين من اطراف مملكته . وقد ندب المأمون ابن البطريق هذا الى الروم ليأنيه بكتاب السياسة لارسطو الذي الفه للاسكندر فلم يدع كما قال عن نفسه هيكلًا من الهياكل التي اودعتها الحكماء امرارها الا اتاه ، ولا عظيمًا من عظماء الرهبان الذين انقطعوا لمعرفة الاقصده وانتحاء ، حتى وصل هيكل عبدة الشمس الذي كان بناء هرميس الاكبر لنفسه فظفر فيه بناسك مترهب ، ذي علم بارع ، وفهم ثاقب فتلف به واستنزله ، واعمل الحيلة حتى اباح له المصاحف المودعة فيه فوجد في جملتها الكتاب المطلوب الذي كان امره امير المؤمنين بطليه مكتوباً بالذهب المحلول في رق مصبوغ بالزفير منقوطةً بالفضة البيضاء المحلولة ، فرجع الى الحضرة المنصورة ظافراً بالمراد وسعى بعون الله وبسعد امير المؤمنين وجدده في ترجمته ونقله من اللسان اليوناني الى اللسان العربي .

وكان المأمون يخلو بالحكام و يأنس بمنظرتهم وتلذذ مذاكراتهم ولطالما اراد المترجمين واهل المملكة غلى ان ينبدوا النعصب ظهرياً وهم مؤلفون من مجوس و يهود ونساطرة و بعاقبة مسلمين على اختلاف المذاهب . و ادعى انه رأى فيما يرى النائم انه رأى رجلاً على كرسي جالساً في المجلس ، فعاظمه وتهيبه وسأل عنه فقبل هو ارسطاطاليس فقال : اسأله عن شيء نسأله فقال : ما الحسن ؟ فقال : ما استحسنه العقول . فقال : ثم ماذا ؟ فقال : ما استحسنه الشريعة . قال : ثم ماذا ؟ قال : ما استحسنه الجمهور . ثم قال : ماذا ؟ قال : ثم لا ثم . فكان هذا المنام من أركد الاسباب في استخراج الكتب على ما زعموا .

ولم يكن المأمون في حاجة الى هذه التوطئة بعد ان بدأ ابوه الرشيد بترجمة الكتب الطبية القديمة التي وجدها بانقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتاحها . ولما ولي المأمون الخلافة أتم ما كان شرع فيه ابوه فأخذ يصدق نعمه وصلاته على المترجمين والفلاسفة ، حتى كان يعطي حنين بن اسحق زنة ما ينقله من الكتب الى العربي مثلاً بمثل من الذهب وكان حنين رئيس الترجمة عنده ، ومن رؤساء الترجمة يوحنا بن ماسويه وعمر بن الفريخان . وربي المأمون بني شاكر محمداً واحمد والحسن حتى صاروا علماء ، وكان ابوهم لصاً فلما اشتد ساعدم حققوا طول محيط الارض ، وكانوا يرزقون النقلة نحو خمسمائة دينار في الشهر ، وكان دخل محمد وحده اربعمائة الف دينار . وهؤلاء الاخوة الثلاثة الذين أولدهم لص ليكونوا علماء أشبه بالاخوة الثلاثة ابناء بوبه الذين أنجبهم صياد ليفتحوا البلاد ويسوموا العباد . ومن النقلة حبش بن الحسن وثابت بن قرة والحجاج ابن مطر وحبيب بن بهريز وعلي بن يحيى المنجم وابو نوح النصراني . وكان جرجس ابن ميخائشوع عند المأمون مثل ابيه اذا خاطبه كناه بابي عيسى جبرائيل واكرمه زيادة على ما كان ابوه يكرمه . ومنهم ميخائشوع بن جرجس وجبرائيل بن ميخائشوع .

ومن منجميه حبش الحاسب واحمد الفرغاني وسند بن علي والعباس بن سعيد الجوهري وعبد الله بن سهل بن نويخت ويحيى بن ابي منصور وكانت هذا في بيت الحكمة ، ومن علمائه محمد بن موسى الخوارزمي صاحب الازياج وصورة الارض ، كان منقطعاً الى خزانة كتب الحكمة للمأمون ، وكذلك علان الشعري كان ينسخ للمأمون

كما كان سهل بن هرون رئيس بيت الحكمة ، والغالب انه كان سفي بغداد عدة بيوت تدعى دور الحكمة او بيوت الحكمة^(١) الى غير هؤلاء من المترجمين والمؤلفين في العلوم المادية . والمأمون هو الذي جمع بعض حكماء عصره على صنعة الصورة التي نسبت اليه ودُعيت الصورة المأمونية صوروا فيها العالم بافلاكه ونجومه وبره وبحره وعاصره وعاصره ومساكن الامم والمدن الى غير ذلك ، وهي احسن مما تقدمها من جغرافية بطليموس وجغرافية مارينوس . وقد وضع له علماء رسم الارض — قال الزهري : انهم كانوا سبعين رجلاً من فلاسفة العراق — كتاباً في الجغرافيا أعان عمال الدولة على التعرف الى البلاد والامم التي أظلتها الراية العباسية . هذا الى عنايته بالفلك ، وفلكية الفزارى اول من استعمل الاسطرلاب من العرب . وعُني بالطبيعة والرياضيات فوق عنايته بالطب ، ومعرفة العقاقير والنبات والحيوان الى ما شاكل تلك العلوم مما كان له الاثر المحسوس في إدخال المدنية على دولة العرب ، وفتح به المأمون باب العقل على مصراعيه في كل مطلب وشأن .

قال صاعد : ان المأمون أقبل على طلب العلم سفي مواضعه واستخرجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة فداخل ملك الروم وأتخفهم بالهدايا الخطمية وسألم صلتهم بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا اليه منها بما حضرهم من كتب أفلاطون وارسطاطليس وأبقراط وجالينوس وأقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم اءحكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما امكن ثم حض الناس على قراءتها ورغيبهم في تعلمها فنفتت سوق العلم في زمانه وقامت دلة الحكمة في عصره وتنافس ادلو النباهة في العلوم لما كانوا يرون من إحطائه لتخليها واختصاصه لمقلديهم فكان يخلو بهم ويأنس بمنظرهم و يلتذ بمذاكرتهم فينالون بذلك عنده المنازل الرفيعة والماراتب السنية ، وكذلك كانت سيرته مع سائر العلماء والفقهاء والمحققين والمحدثين والمتكلمين واهل اللغة والاخبار والمعرفة بالشعر والنسب فأثقت جماعة من ذوي القبول والتعلم في

(١) كان جد احمد القبي المعروف بالصنوبري الحلبي صاحب بيت حكمة من بيوت

حكم المأمون .

ايامه كثيراً من أجزاء الفلسفة وسنوا لمن بعدهم منهاج الطلب ومهدوا اصول الادب حتى كادت الدولة العباسية تضاهي الدولة الرومية ايام اكتمالها وزمان اجتماع شملها . وازدادت عصر المأمون بكثير من حملة الشريعة والادب ومنهم يحيى بن اكيثم وابو محمد اليزيدي والحسن بن زياد وابو داود الطيالسي وابو عبيد القاسم بن سلام وابن الاعرابي والنضر بن شميل وابو عمرو الشيباني ومحمد بن عمر الواقدي وابو عبيدة والنراء والاخفش والاصمعي والصغاني والضي والشافعي وابن سعد وابن داود وابن ابي دؤاد وابن حرب وابن حنبل والجاحظ والقواريري وقتيبة وسعدويه الواسطي وابن الجعد وابن علية الاكبر وابونصر التمار وابو معمر القطيعي وابوالعوام البزاز وابن شجاع وبشر المريسي وبشر بن الوليد وسجادة ومحمد بن نوح وابو هرود بن البكاء والذهيل محمد بن الهذيل وابو زكريا المري ومحمد بن مبشر ، الى مئات غيرهم كانوا نخر الدولة وعنوان نبوغ الامة . اما الشعراء والكتاب فكانوا طبقة عالية كثيرة العدد والحصي ، جيدة النحوي والاسلوب تغلب الرقة والجزالة على اهل هانين الصناعتين ، تأثروا كلهم بالحضارة الجديدة حتى غدا الشعر المدي البديع ظاهراً الاختلاف عن الشعر الجاهلي ، بعيداً عن وصف الاطلال والدمن والركاب وطلب النار والمفاخرات الفارغة . هذا وكان الجمهور يشارك الادباء في فهم الشعر ، وقدر الخطب والرسائل قدرها ، فلم يكن الشعراء في وادى والامة في آخر ، بل كان الشاعر او الكاتب اذا قرض شعراً او حبر خطاباً لتناقله الابدي في الحال ، وتعاود الرواة فيفسو في الامصار . وهذا ما كان يزيد في طلالة أدب الاديب ، وشعر الشاعر ، وخطبة الخطيب ويحثه على تجويد مقاله .

أعمال الكبير كبيرة ، والمأمون العظيم باعماله وأقواله لم يخرج عن هذا الحد ، فكان خليفة المسلمين بكل ما في لفظ الخلافة من معنى شريف يجمع مصالح الدين والدنيا . كان رحمه الله يفكر منذ عهد بعيد في خلق القرآن حتى اعتقد ان كل من لم يقل بقوله ضال ، فوضع هذا المبحث موضع المناقشة بين العلماء فقال السواد الأعظم بقوله ، وأبي بعضهم تورعاً ان يوافقوه على ان القرآن مخلوق ، فطلبهم للمبحث وكان في مصيفه في الرقة فكتب الى عامله في بغداد ان يثخن القضاة والمحدثين ويكشفهم

عما يعتقدون في خلق الله القرآن وإحداثه ، وقال له « واعلمهم ان امير المؤمنين غير مستعين في عمله ولا واثق فيما قلده الله واستحفظه من امر رعيته بمن لا يوثق بدينه وخلوص توحيده و يقينه » و « انه لا توحيد لمن لم يقر بان القرآن مخلوق » وامر ايضا بان يكتب الى الآفاق بذلك فوافق اكثر المحتجين وهرب افراد وحاولوا التملص . وقد أحدث هذا الرأي ضجة في الامة شأت كل فكر جديد ينقسم فيه الناس بين مثبت وثاني . ودل بعض الممنعين عن التصريح بما لا يعتقدونه على الاخذ بالاحتياط سفي دينهم ، فأرذلي بعضهم وما أراد المأمون أذاهم ، وقبض الى ربه وبعض الذين توقفوا عن التصريح بما أريدوا على البيان فيه قيد السجن . وكان من مفاخر هذا الخليفة ايضا تحكيم العقل في الشريعة فاتخذ أعداؤه من ذلك سبيلا الى النيل منه وصموا ذلك الخنة . وفي هذا العصر الزاهر نشأ عمرو بن مسعدة وكان من جملة رجالات السياسة فيه .

اصل عمرو بن مسعدة وحليته ونشأته :

هو عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول بن صول . وصول (بضم الصاد) كان رجلا تركيا وكان ملك واخوه فيروز على جرجان ونجسا بعد التركية وتشبها بالفرس وصول كما قال البيروني لقب ملوك دهمستان كان يطلق عليهم كما يطلق شاهنشاه وكسرى على ملوك الفرس الساسانية وباسيل وهو قيصر على ملوك الروم وبطلميوس على ملوك الاسكندرية وتبع على ملوك اليمن وخافان على ملوك الترك والخزر والقرغز وحنوته على ملوك البرك الغزية وبغبور على ملوك الصين وبلهرا على من ولي الهند وراي على من استأثر به نوج والنجاشي على صاحب الحبشة وكايل على ملوك النوبة ومهراج على ملوك جزائر البحر الشرقي وإصفه بنده على ملوك جبال طبرستان ومصمغان على ملوك ديباوند وشار على ملوك خرجستان (خرجستان) وزادويه على ملوك سرخس وبهمنه على ملوك آسا وآيتورد ونيدون على ملوك كاش وإرخشيد على ملوك فرغانة وأفشين على ملوك أشروسنة وتدن على ملوك الشاش وماهويه على ملوك صرو وكنبار على ملوك نيسابور وطرخون على ملوك سمرقند والحجاج على ملوك السرير واناهاذ على ملوك جرجان وقبار على ملوك الصقالبة وغمروذ على ملوك الشر يانين وفرعون على ملوك القبط

وشير باميان على ملوك باميان والعز يز على ملوك مصر وكابل شاه على ملوك كابل
وثرمد شاه على ملوك اترمد وخوارزم شاه على ملوك خوارزم وشروان شاه على ملوك
شروان وبخار خداه على ملوك بخارا .

ولما وافى يزيد بن المهلب بن ابي صفرة سيفه ولاية ساجان بن عبيد الملك بن
سروان جرجان آمنهما فأسلم صول على يده وغدا محمد بن صول من رجال الدولة
العباسية ودعاتها بعد ذلك . وكان بعض اهاليهم ادعوا انهم عرب وان العباس بن
الاحنف الشاعر خالم . وكان مسعدة والد عمرو مولى خالد بن عبد الله القسري امير
العراق وكان يكتب له . وكتب خالد بن برمك ثم كتب بعده لابي ايوب وزير
المنصور على ديوان الرسائل . وكان لمسعدة اربعة بنين بجاشع ومسعود وعمرو ومحمد .
وبجاشع هو الذي يقول فيه ابو العتاهية :

علمت يا بجاشع بن مسعدة ان الشباب والفراغ والجددة

مفسدة للمرء اي مفسدة

بدأ عمرو بن مسعدة في خدمة الدولة عاملاً من العمال فظهرت كفايته وبلاغته ،
وبالبلاغة توصل الى الخليفة فعدّ احد أفراد قلائل في رجاله ، قال احمد بن يوسف
الكاتب : دخلت يوماً على المأمون وبهده كتاب يماود قراءته تارة بعد أخرى ، وبصعده
و بصوت ، فلما صرت على ذلك مدة من زمانه التفت اليّ وقال ، يا احمد أراك مفكراً
فيما تراه مني ، قلت : نعم ، فقال : ان سيفه هذا الكتاب كلاماً نظير ما سمعت الرشيد
يقول في البلاغة ، زعم ان البلاغة انما هي التباعد عن الاطالة ، وانقرب من معنى
البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ ، على الكثير من المعنى ، وما كنت أتوهم ان احداً
يقدر على ذلك . وقال : هذا كتاب عمرو بن مسعدة اليّنا ، ففككته فاذا فيه :
« كتابي الى امير المؤمنين ، ومن قبلي من قواده ، ورؤساء أجناده ، في الانقياد والطاعة ،
على احسن ما تكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم ، واتقياد كفاة تراخت أعطياتهم ،
فاختلت لذلك أحوالهم ، والتسائت معه امورهم » . فلما قرأته قال : ان استحسناني اياه
بعثني ان امرت للجند قبله بأعطياتهم لسبعة اشهر ، وانا على مجازاة الكاتب بما يستحقه
من حل محلّه في صناعته . وفي رواية ان المأمون امر لعمرو بن مسعدة برزق ثمانية

اشهر وانه قال لاحمد بن يوسف لله در عمرو ما ابلغه ، الا ترى الى ادماجه المسألة في الاختبار ، واعفائه سلطانه عن الاكثار .

وكان عمرو بن مسعدة وكنيته ابو الفضل ابيض أحمر الوجه ، وكان المأمون يسميه الرومي لبساض وجهه وكان يخضب وتوفي بأذنة سنة سبع عشرة ومائتين . ولم نعرف منشأه ومولده وأساتيده وغاية ما عرفناه انه كان أحد أخوة أربعة احسن ابرهم — وكان كاتباً ايضاً — تربيتهم كل الاحسان حتى جاءت من اقدم هذه البلاغة النادرة التي كان من اثرها ان أصبح عشير المأمون ، وكان هو وابو عباد ثابت بن يحيى يكشبان بين يديه ويخلوان معه ويمارحانه . ولكي يصل الرجل الى هذا المقام مع مثل هذا الخليفة العظيم في كل شؤنه يجب ان ينطوي على صفات عالية يعزها مثلها في الأقران والأتراب .

قال عمرو بن مسعدة : كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي لرفع اليه ، غلامه ورقة يستز يدنه في روايتهم فرمى بها الي وقال : أجب عنها فكتبت : « قليل دائم خير من كثير منقطع » فضرب بسده على ظهري وقال : اي وزير في جلدك . وقد شهد لعمرو بن مسعدة بالبلاغة أعيان البيان في عصره ومنهم الفضل بن سهل فقال فيه : انه أبلغ الناس ، ومن بلاغته ان كل أحد اذا سمع كلامه ظن انه يكتب مثله فاذا رآه بعد عليه . وهذا كما قيل لأحد البلغاء ما حدث البلاغة فقال : التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يقدر على مثلها ، فاذا رامها استصعبت عليه .

ولم يؤثر عن عمرو انه الف في موضوع خاص وأفرد مسألة في التأليف ، وعده ابن النديم في الشعراء الكتاب ولم يذكر الا ان له ولاخيه مجاشع خمسين ورقة من الشعر وهي من الضائع ايضاً . والغالب ان مهام الدولة لم تترك له وقتاً يصرفه في درس خاص ، او وضع كتاب او رسالة : وما نلقطه العلماء والادباء من كلامه ، فهو مما صدر عنه بالمناسبات ، ورواه له المعجبون به ، وما أعظم المفقود منه . والمظنون ان لو كانت جمعت له رسائله على ايجازها لكان منها ديوان كبير ، لان من صرف أعواناً طويلاً وهو قابض على يراعتة يعالج بها الموضوعات السياسية والادارية في ذاك المجتمع العظيم لا شك انه يجمع له صفحات كثيرة مما كان مقلاً معروفاً بالايجاز .

وأفادنا ابن عساكر مؤرخ دمشق ان عمرو بن مسعدة زار هذه العاصمة مع المأمون ،
 وانه من رجال الحديث فأُسند حديثاً عن المأمون في سند ذكره عن عمرو بن مسعدة
 قال : سمعت المأمون امير المؤمنين يقول حدثني ابي عن ابيه عن عمه عبد الصمد بن علي
 ابن عبد الله بن عباس عن ابيه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : علقوا السوط حيث يراه اهل البيت فانه أدب لهم . وفي الامثال « علق سوطك
 حيث يراه اهلك » والمعنى اجعل نفسك بحيث يهابك اهلك ولا تغفل عنهم وعن
 تحويرهم وردعهم » .

ولم نعلم نوع الدراسة التي انصرفت اليها همة عمرو بن مسعدة في صباه حتى بلغت
 به البلاغة ذاك المقام ، بيد ان ظواهر الحال تدل كل الدلالة على ان من كان هذا
 شأنه من الاثشاء في ذاك العصر الزاهي بمن يشار اليهم بالبنان في البيئات ،
 يستحيل ان يبلغ هذا المبلغ الا بادوات كثيرة ، بل لا يتأتى له ذلك الا بجميع أدوات
 البيان والشريعة ، يجمعها الى ما خصت به فطرته من سلامة الطبع وجودة الابداع ،
 وفوق ذلك لا بد له من التخرج بهذه الصناعة أعواماً طويلة . وصحف التاريخ لم
 نعرفنا الى عمرو بن مسعدة الا انه تام الادوات ، كأب بلاغته مما ارتجل ارتجالاً
 او وهبته اياها الفطرة عرضاً . وصرف عمرو ايام حياته على ما يظهر بانفاذ امر ولي امره
 وجعل نفسه وفقاً على مهام الخلافة ، فأقبلت عليه الدنيا اقبالاً عظيماً فنعم ولد واغتبط
 وقصده القاصدون ، وطابت نفسه باصطناعهم والاحسان اليهم ، وعطف على العفاة
 والقياد فاستكثر من الأنصار ، وانبسطت نفسه و يده بالعطاء فتعشقت نفوس الناس
 واهل الدولة ، والخليفة من وراء ذلك يمدد ويطلق يده في المال والنوال . ومن جعل
 وكده في هذه الأعمال يتعذر عليه ان ينقطع الى نفسه اياماً يصرفها في عمل يخلد به
 ذكره ويم القاصي والداني وال حاضر والمقبل نفقه وذلك لان هذا العمل مما يستغرق
 العمر ، ولا يبرز فيه الا من حكموا على أوقاتهم وموتوا بالفراغ ، ولا سبيل الى ان
 يجمع التطل الى ذلك بينه وبين شيء آخر من أعمال العالم وما جعل الله لرجل من
 قلوبين في جوفه .

واختلفوا في كون عمرو بن مسعدة ولي الوزارة او لم يتولها فقال ياقوت : سماء

بعض الشعراء وزيراً لعظم ، ينزله لا لانه كان وزيراً وهو قوله :

لقد امدد الله الوزير ابن مسعدة وبث له في الناس شكراً ومحمداً

وقال المسعودي : ان المأمون استوزر الفضل بن سهل ثم أخاه الحسن بن سهل فلما اظهر العجز عن الخدمة لهوارض من العلل ولزم منزله ، عدل المأمون الى استكتاب كُتَّاب لعله بكتابتهم وجزالتهم ، وانه ليس في عصرهم من يوازيهم ولا يدانيهم فاستوزرهم واحداً بعد واحد اولهم احمد بن ابي خالد ثم احمد بن يوسف ثم ابو عباد ثابت بن يحيى وعمرو بن مسعدة بن صول ، وكان يجري مجرام ولا يعبده كثير من الناس في الوزراء ، قال : ولم يكن يسمى بين يدي المأمون احد من كتابه وزيراً ، ولا يكتاب بذلك فلاجل هذا ترك كثير من الناس ان يعد من ذكرنا في الوزراء .
ومهما كان فالرتبة التي بلغها عمرو بن مسعدة وزارة وزيادة .

روي البيهقي ان المأمون قال لولده وعنده عمرو بن مسعدة ويحيى بن اكثم : اعتبروا في علو الهمة بمن ترون من وزرائي وتخاصي انهم والله ما بلغوا مراتبهم عندي الا بانفسهم ، انه من تبع منكم صغار الامور تبعه التصغير والتحقير وكان قليل ما ينقذ من كبارها اكثر من كثير ما يستدرك من الصغار فترفعوا عن دناءة الهمة ، وتفرغوا لجلال الامور والتدبير واستكفوا الثقات وكونوا مثل كرام السباع التي لا تشتغل بصغار الطير والوحش بل يجليها وكبارها واعلموا ان اقداكم ان لم تنقدم بكم فان قائدكم لا يقدمكم ولا يغني الولي عنكم شيئاً ما لم تعطوه حقه . وكان اليه ديوان الرسائل وديوان الخاتم والتوقيع والازمة ويندبه الخليفة في مهام السلطنة .

وسواء تقلد ابن مسعدة الوزارة ام لم يقلدها فان المهمات السياسية التي كان يندب اليها مهمة للغاية تدل على الثقة به ، فقد حكي ابن منصور وكان على يربد عبدالله بن طاهر يخبر المأمون ان عبدالله بن طاهر يخرج في كل ليلة من عسكره ويخرج اليه نصر بن شيبث فيجتمعان ويتحدثان ، فدعا المأمون بعمر بن مسعدة فأمره ان يظهر علة يحتاج ان يقيم لها في منزله وان يخرج على خمس عشرة دابة من دواب البريد ، ولا يعلم احداً حتى يصير الى عبدالله بن طاهر ويقول له : يا ابن الفاعلة لقد هم امير المؤمنين ان يأمر عبداً اسود ثم يوجهه مكانك ويملكك سائلاً له . وامر عمرآ ان لا يسلم عليه ولا يسمع

له جواباً . فخرج عمرو فلما اجتمع مع عبدالله لم يسلم عليه حتى بلغه الرسالة على رؤوس الناس ثم انصرف ، ولم يسمع منه جواباً . فلما كان يوم الاربعين من مصير عمرو وافي نصر بن شيبث . ونصر هذا كان عصي على المأمون وعبدالله بن طاهر من أجل قواد المأمون .

وذكروا ان المأمون^(١) قال لعمرو بن مسعدة وهو في الرقة : ما زالت تسألني في الرّنجبي حتى وليته الأهواز ، فبعدت في مرة الدنيا يأكلها خضياً وقضياً ، ولم يوجه اليها بدرهم واحد ، أخرج اليه من ساعتك ، قال عمرو : فقلت في نفسي أبعد الوزارة أصير مستغنياً على عامل خراج ، ولكن لم أجِد بداً من طاعة امير المؤمنين ، فقلت اخرج اليه يا امير المؤمنين فقال : احلف لي انك لا تقبم ببغداد الا يوماً واحداً ، فخلفت له ، ثم انحدرت الى بغداد في سفينة فلما صرت بين دير هزرقل ودير العافول اذا رجل يصيح يا ملاح رجل منقطع . فأمر بان يركب معه ، وكان من حديثه معه بعد ان ادعى انه حائك فكان حائك كلام ، وأعجز عمرو بن مسعدة باسئلته ما هو مدون في كتب الادب ، ولما عاد الى الخليفة اخبره خبر الحائك وحديثه حديثه ، فقال له الخليفة فلاي شيء يصلح هذا الرجل فقال — هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة فولاه المأمون البناء والمرمة .

شيء من كلامه

ومن كلام عمرو بن مسعدة : أعظم الناس أجراً ، وأنهم ذكراً ، من لم يرض بموت العدل في دولته ، وظهور الحجّة في سلطانه ، وايصال المنافع الى رعيته في حياته ، وأسعد الرعاة من دامت سعادة الحق في ايامه ، وبعد وفاته وانقراضه . وقال : الخط صور الكتب ترد اليها ارواحها .

(١) في رواية ابن عبد ربه في العقد ان المعتصم هو الذي عهد الى عمرو بن مسعدة وليس ذلك بصحيح لان عمراً مات قبل المأمون وعزرا ابن قتيبة الفضة الى الرشيد ولم يعلم من طريق مأمون ان عمراً بلغ الوزارة في ايام الرشيد بل ان المأمون هو الذي رفعه اليها .

وقال عمرو بن مسعدة (او ثابت ابو عباد) لا تستصحب من يكون استمتاعه بمالك
وجاهك ، أكثر من امتاعه لك بشكر لسانه وفوائد علمه ، ومن كانت غايته الاحتياج
على مالك وإطراءك في وجهك فان هذا لا يكون الا رذي الغيب ، سريعا الى الدم .
وكتب الى الحسن بن سهل : اما بعد فانك من اذا غرس سقي ، واذا أسس
بنى ، ليستقم تشييد أسسه ، ويحني ثمار غرسه ، وثناؤك عندي قد شارف الدروس ،
وغرسك مشفر على اليبوس ، فتدارك بناء ما أسست ، وسقي ما غرست ان شاء الله .
وكتب الى بعض أصحابه في شخص يمز عليه : اما بعد فوصل كتابي اليك سالم
والسلام . أراد قول الشاعر :

بديروني عن سالم واديرم وجلة بين العين والائف سالم
اي يحل مني هذا المحل .

وكتب الى المأمون في رجل من بني ضبة يستشفع له بالزيادة في منزله وجعل
كتابه تعريضا : « اما بعد فقد استشفع بي فلان بالامير المؤمنين لئلا يطولك علي ، في إلحاقه
بنظرائه من الخاصة فيما يرتزقون به ، وأعلمته انت امير المؤمنين لم يجعلني في مراتب
المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك تعدي طاعته والسلام » فكتب اليه المأمون قد
عرفنا توطنك له وتعريضك لنفسك وأجبتك اليها ووافقناك عليها . وقوله :
« ان امير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين وفي ابتدائه بذلك تعدي طاعته »
من الكلام السري الذي يدل على مبلغ أدب عمرو وبعد غوره في السياسة ووقوفه
على روح عصره ونفسية الخلفاء .

قدم رجل من أبناء دهاقين^(١) قرش على المأمون لعدة سلفت منه ، فطال على
الرجل انتظار خروج امر المأمون ، فقال لعمرو بن مسعدة : أوصل مني رقعة الى
امير المؤمنين تكون انت الذي تكتبها تكن لك علي نعمتان . فكتب : « انت رأى
امير المؤمنين ان يفك أسر عبيده من ربة المظل بقضاء حاجته ، او يأذن له بالانصراف
الى بلده فعل ان شاء الله » فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمرأ فجعل يعجب من حسن

(١) الدهاقين الزعماء ارباب الاملاك بالسواد واحدهم دهمقان بكسر الدال معرب .

لفظها ، وإيجاز المراد . فقال عمرو : فما تبيحتها يا امير المؤمنين . قال : الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه ، لئلا يتأخر فضل استحسناتنا كلامه ، وبجائزة مائة الف درهم ، صلة عن دناءة المظل ، وسماجة الاغفال اه . وهذا مما يدل على سعة عقل المؤمن وولوعه بالبلاغة وتقديره اهلها حق قدرهم ، دع ما هنالك من نفس ما أحببت الالجود والعطاء .

ومن حكم عمرو بن مسعدة : العبودية عبودية الايحاء ، لا عبودية الرق .

الود أعطف من الرحم . ان الكريم ليرعى من المعرفة ما رعى الوصل من القرابة . عليكم بالاخوان فانهم زينة في الرخاء ، وعُدّة للبلاء . مَثَلُ الاخوان مثل النار ، قليلها مناع وكثيرها إوار . النفس بالصديق ، آنس منها بالعشيق ، وغزل المودة ، أرق من غزل الصباية . من حقوق المودة ، عفو الاخوان ، والاغضاء عن نقصير ان كان . ذكر رجل رجلاً فقال حسبك انه 'خلق كما تشتهي اخوانه . المودة قرابة مستفادة . ما تواصل اثنان فدام تراصهما ، الا لنضلهما او فضل احدهما . أسرع الاشياء انقطاعاً مودة الأشرار . المحروم ممن حرم صالحه الاخوان . لقاء الخليل ، شفاء الغليل . قلة الزبارة ، أمان من الملالاة . اخوان السوء كشجر النار يحرق بعضه بعضاً . علامة الصديق اذا أراد القطيعة ان يؤخر الجواب ، ولا يتنديء بالكتاب . لا يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له . من لم يقدم الامتحان قبل الثقة ، والثقة قبل الانس ، أثرت مودته ندماً . اذا قدمت الحرمة ، تشبهت بالقرابة . العتاب حياة المودة . ظاهر العتاب ، خير من باطن الحقد . ما أكثر من يعاتب لطلب علة . ويبقى الود ما بقي العتاب . كونه الحقد - في الفؤاد ككون النار في الزناد . القريب بعيد بعداوته ، والبعيد قريب بمودته . لا تأمنن عدوك وان كان مقهوراً ، واحذره وان كان مفقوداً ، فان حد السيف فيه وان كان مغموذا . لا تعرض لعدوك سيف دولته فانها اذا زالت كفتك مؤونته . نصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأنيب .

روى البيهقي قال : أخبرنا بعض أصحابنا قال : شهدت المؤمن يوماً وقد خرج من باب البستان ببغداد فصاح به رجل بصري : يا امير المؤمنين اني تزوجت بامرأة من آل زياد وان ابا الرازي فرق بيننا وقال هي امرأة من قريش قال : فأمر عمرو ابن مسعدة فكتب الى ابي الرازي : انه قد بلغ امير المؤمنين ما كانت من الزيادة

دخلك إياها اذ كانت من قريش فمضى تحت إليك العرب لا أم لك في أنسابها ،
ومضى وكنتك قريش يا ابن الخناء^(١) بأن تُلصق بها من ليس منها ، نخل بين الرجل
وامراته . فلئن كان زياد من قريش انه لا ابن مُمَيَّة بغي عاهرة لا يتفخر بقرايتها
ولا يتناول بولادتها ، ولئن كان ابن عبيد لقد باء بالمر عظيم اذ ادعى الى غير ابيه
لحظه تبحرته ومُلك تهره ا .

وامر المأمون عمرو بن مسعدة ان يكتب لرجل به عناية الى بعض العال في
قضاء حقه وان يختصر كتابه ما امكنه ، حتى يكون ما يكتب به في سطر واحد
لا زيادة عليه فكتب عمرو : كتابي كتاب واثق بمن كتبت اليه ، معني بمن كتب
له ، وان يضيع بين الثقة والعناية حمله .

وكتب الى بعض الرؤساء وقد تزوجت أمه فسأه ذلك ، فلما فرأها ذلك الرئيس
تسلي بها ، وذهب عنه ما كان يجده ، وقيل ان هذه الرسالة من إنشاء ابن العميد وهي :
الحمد لله الذي كشف عنا ستر الحيرة ، وهدانا لستر العورة ، وجدع بما شرع من
الحلال انف الفيرة ، ومنع من عضل الامهات ، كما منع من وأد البنات ، استزالا
للنفوس الأبية ، عن الحمية حمية الجاهلية ، ثم عرض لجزيل الاجر ، من استسلم لواقع
قضائه ، وغوّض جليل الذخر من صبر على نازل بلائه ، وهناك الذي شرح للنقوى
صدرك ، ووسع في البلوى صبرك ، والعمك من التسليم لمشيئته ، والرضا بقضيته ،
ما وفقك له من قضاء الواجب في احد ابوبك ، ومن عظم حقه عليك ، وجعل الله
تعالى جده ما تخرعته من آنف ، وكظمته من أسف ، معدوداً فيما يعظم به اجره ،
ويجزل عليه ذخرك ، وقرن بالخاضر من امتعاضك بفعلها ، المنظر من ارتعاضك بدفتها ،
فتسنوني بها المصيبة ، وتستكمل عنها المثوبة ، فوصل الله لسيدي ما استشعره من الصبر
على عرسها ، بما يكتسبه من الصبر على نفسها ، وعوضه من امرة فرشها ، أعواد نعشها ،
وجعل تعالى جده ما ينعم به عليه بعدها من نعمة ، معرى من تقمة ، وما يوليه بعد
قبضها من منحة ، مبرأ من محنة ، فأحكام الله تعالى جده وتقدمت اسماءه ، جارية على

غير مراد المخلوقين ، لكنه تعالى يختار لعماده المؤمنين ما هو خير لهم في العاجلة ، وابقى لهم في الآجلة ، اختار الله لك في قبضها اليه ، وقدومها عليه ، ما هو أنفع لها ، وأولى بها ، وجعل القبر كفراً لها والسلام .

أقول وهذه رسالة أشبه بكلام ابن العميد للتوازن والترصيع والمزاوجة الظاهرة في اسماعها ، ثم للطول الذي لم يكدر يؤثر في شيء مما انتهى اليها من كلام عمرو بن مسعدة ، وكلامه بإيجازه أشبه بالتوقيعات . وهناك قرينة أخرى وإن كانت ضعيفة جداً وهي أن عمرو بن مسعدة لما سأله حائك الكلام في السفينة وهو قاصد إلى الأهواز كما مر بنا قبل هذا عن طبقات الكتاب وقال له أنا كاتب رسائل قال الحائك لعمرو : « فصدق لك تكاتبه في المحبوب والمكروه تزوجت أمه كيف تكتب اليه تهنيئه أو تعزيه . قال عمرو : هو والله إلى الذمزية أقرب قال : كيف تعزيه قلت : لا أجد إلى ذلك سبيلاً . إلى أن عاد ذلك الحائك وأجاب عن طبقات الكتاب طبقة طبقة ثم قال في حل الاشكال : « أما الرجل الذي تزوجت أمه فتكتب اليه أن الأقدار تجري بخلاف محاب المخلوقين ، وستر في عافية خير من شائنة في أهلها ، والله يختار للعباد ، فخار الله لك في قبضها اليه ، فإن القبور أكرم لها والسلام » . وبهذا رأينا أن الذي أجاب في هذه المسألة هو الحائك لا سيد الكتاب عمرو بن مسعدة الذي يخذله التجارب وراجت بضاعته بهذا الضرب من الكتابة فقد قال عن نفسه أنه كتب إلى عامل دسوقي كتاباً أطاله فأخذه المؤمن بيده وكتب « قد كثرت شاكوك فأما عدلت ، وإما اعتزلت » .

ولا أرى أن نمر بهذا الإيجاز بل الإعجاز دون أن نمرض له بشيء يبقى على ذكر منا . فالإيجاز في اصطلاح علماء البيان هو اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل . وقال ابن الأثير هو حذف زيادات اللفاظ ، وهذا نوع من الكلام شريف لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة ممن سبق إلى غايتها وما صلى ، وضرب سيفه أعلى درجاتها بالقدح الممل ، وذلك لعل مكانه ، وتعذر إمكانه ، والنظر فيه هو إلى المعاني لا إلى اللفاظ ، فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير ، ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل ، ومثال ذلك الجوهرة الواحدة بالنسبة إلى الدرام الكثيرة فمن ينظر إلى طول اللفاظ

يؤثر الدرافم لكثرتها ، ومن ينظر الى شرف المعاني يؤثر الجوهرية الواحدة لنفاستها .
والبلاغة كما قال ارسطاطاليس ان تجعل في المعنى الكثير كلاماً قليلاً ، وفي القليل
كلاماً كثيراً . وهذه البلاغة الموجزة يلجأ المرء في كلام هذا الفنان الفنان الذي تن
نظراته بفتنه ، ولسان حال ما يقوله المناطق العبرة بالكيفية لا بالكمية .

لا نجد في الفاظ عمرو شيئاً من الوحشي ولا السوقي ، فالفاظه مختارة مخولة ،
ترتضيها وتنفهمها عامة طبقات القارئ والسامع . اما تركيبه ونسجه ، وهناسر نصاحته ،
فهو أبسر تركيب يجري مع الطبع ، كأنه في ابراده يتكلم كلامه المعتاد معرباً وبسطه
في الورق . نعم وهناك صعوبة تحديه في جوامع كلمه . الاحجار الكريمة والمعادن الثمينة
قد انتقل في الايدي ويحبب بها ناظرها ، وبفاخر بها مالكوها ، ولكن متى وصلت الى
ايدي الصائغ الحاذق والجهيز النقاد ، تزيد بها ورؤاء ، وتجلي فيها يد الصناع وفكر
الفنان . فالسبك الحسن في كلام عمرو هو الذي تفرد فيه ، ولما رأى انه أبدع فنه زاد
في تجويده وطال مرانه عليه ، لا تقطاعه معظم حياته الى الخدمة ، والسياسي من جملة
خصائصه ان يوجز ويجمع احياناً ويعرض لثلا يؤخذ باقراره وتؤدل له عباراته ،
فكان في ذلك اكبر عون لعمرو على النبوغ في هذه الطريقة طريقة ابن المقفع وسهل
ابن هرون واضرابها .

نقلنا أمثلة قليلة من اثر عمرو بن مسعدة اما شعره فقليل جداً . ذكر المترجمون
له انه كان له فرس آدم أغر ، لم يكن لأحد مثله فراهة وحسناً ، فبلغ المأمون خبره
وبلغ عمرو بن مسعدة ذلك ، فخاف ان يأمر بقوده اليه فلا يكون له فيه محمدة ، فوجه
به اليه هدية وكتب معه :

يا اماماً لا يدا	نيد اذا عدت امام
فضل الناس كما يف	ضل نقصاناً تمام
قد بعثنا نيجراد	مثله ليس يرام
فرس يزهي به لد	حسن مرج ولام
دونه الخيل كما مش	لك في الفضل الانام
وجهه صبح ولكن	سائر الجسم ظلام

والذي يصلح للمو لي على العبد حرام

وعمر هو القاتل :

ومستغذب للعجز والوصل اذنب اكتمه حبي فينسأى وأقرب
اذا جدت مني بالرضا جاد بالجفا ويزعم اني مذنب وهو أذنب
تعلت الواث الرضا خوف هجره وعلمه حبي له كيف بغضب
ولي غير وجه قد عرفت طريقه ولكن بلا قلب الى اين أذهب
قالوا ومذان البيتان الاخيران متنازعان . على ان محمد بن عمرو بن مسعدة ذكر
ان اباہ لم يقل عن الشعر شيئاً الا بيتاً واحداً فوقع في ظهر رقعة لرجل :
اعزز علي بامر انت طالبه لم يمكن النجح فيه واتقضى أمدہ

محاسنه للشعراء والادباء والعلماء

ثبت ان عمرو بن مسعدة كاتب يعطف على الشعراء ويرتاح الى الشعر والادب
كل الارتياح ، وذكروا ان شقيقه مجاشع بن مسعدة كان صديقاً لابي العتاهية الشاعر
يقوم بجوائحه كلها ، ويخلص مودته ، فمات ، وعرضت لابي العتاهية حاجة الى اخيه
عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها فكتب اليه ابو العتاهية :

غنيت عن العهد القديم غنيتا وضيعت ودأ بيننا وآنيتا
ومن عجب الايام ان مات مألتي ومن كنت تغشاني به وبقيتيا

فقال عمرو : استطال ابو اسحق اعمارنا وتوعدنا ، ما بعد هذا خير ، ثم
فضى حاجته .

ومر عمرو بن مسعدة مرة بابي العتاهية وهو جالس على الطريق ، فوقف عليه
يسأل عن حاله ، فما قام اليه ورفع اليه رأسه وهو يقول :

أقعدني اليأس منك فما أرفع رأمي اليك من كسلي

وعرفنا من هذا ان ابا العتاهية كان يدل على عمرو بن مسعدة وكلاهما كان
يعرف لصاحبه قدره .

ومجا شقيقه مجاشع حماد عمجد وهو صبي حينئذ فشبب حماد بامه فبلغ الشعر عمرو

ابن مسعدة غبغت الى حماد بصلة ، وسأله الصنع عن اخيه ، ونال اخاه بكل مكروه ،
وقال له : شككتك أمك أن تعرض لحما ، وهو بثاقف ^(١) بشاراً ويقاومه ، والله
لو قاومته لما كان لك في ذلك نخر ، ولئن تعرضت له لينهمك كك وسائر اهالك وليفضحك
فضيحة لا يغسلها ابداً عنا .

لما أعيت الحسين بن الضحاك الحيلة في رضا المأمون عنه رمى بامره الى عمرو بن
مسعدة وكتب اليه :

انت طودي من بين هذي المضاب	وشهابي من دوث كل شهاب
انت يا عمرو قوتي وحياتي	ولساني وانت ظفري ونابي
أتراني أنسى ايدك اليه	مض اذا اسود نائل الاصحاب
اين عطف الكرام في ما فط ^(٢) الحما	جة يحموت حوزة الآداب
اين اثلافك الرضية حالت	في ام ابن رقة الكتاب
انا في ذمة السحاب وأظا	ان هذا لوضمة في السحاب
قم الى سيد البرية عني	قومة تستجر حسن خطاب
فلعل الآله بطني عني	بك ناراً علي ذات التيهاب

قال : فلم يزل عمرو يأنطف للمأمون حتى اوصله اليه ، وادرك رزقه .

وفي عمرو بن مسعدة يقول ابو محمد عبد الله بن ايوب التيمي :

أعني على بارق ناضب	خفي كبحيك بالحاجب
كأن نالقه في السما	يدنا كاتب او بدا حاسب
فردتي منازل تذكراها	يبيج من شوقك الغالب
غريب يحن لأوطانه	ويكي على عصره الذاهب
كفالك ابو الفضل عمرو الندي	مطالعة الامل الكاذب
وصدق الرجاء وحسن الوفاء	لعمرو بن مسعدة الكاتب
عريض الفناء طويل البناء	في العز والشرف الثائب

(١) بثاقف يخاصم . (٢) المأقط موضع القتال .

هو المرتضى لصفوف الزما ن ومعتصم الراغب الراهب
جواد بما ملكك كفه على الضيف والجار والصاحب
بأدم الركب ووشي الثيا بوالطارف والطفلة الكاعب
نؤمله لجسام الامو ر ونرجوه للجلل الكارب

وختمها بقوله :

كسبت الثناء وكسب الثنا ، افضل مكسبة الكاسب
يقينك يحلو ستور الدجى وظنك يخبر بالفساب

وأشيد محمد بن داود بن الجراح لمحمد البيهقي النصيبي وقيل لمسلم بن الوليد
في عمرو بن مسعدة وقد اشتكى :

قالوا ابو الفضل معتل فقلت لم نفسي الفداء له من كل محذور
يا ليت علمه بي ثم ياب له اجر العليل واني غير مأجور

وكان بين عمرو بن مسعدة وابراهيم بن العباس الصولي مودة وقرابة فحصل لابراهيم
ضائقة بسبب البطالة في بعض الاوقات فبعث له عمرو مالا فكتب اليه ابراهيم :

سأشكر عمراً ما تراخت مني ابادي لم تَمُذُنْ وان هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكسأت قذى عينيه حتى تجلت

وذكر ديعبل الشاعر ان عمرو بن مسعدة كان يقوم بامر عمرو بن ابي بكر يعني
المؤملي قاضي دمشق وكان محمد بن داود يحمل عليه فقال :

لثبات بين المدعين وزارة وبين الوزير الحق عمرو بن مسعدة
فهمهم في الناس انت يجبهوم وهم ابي الفضل اسطناع ومحمد
فأسكن رب الناس عمراً جنانه وأسكنهم داراً من النار موصدة

قال حميد بن بلال : ولي عمرو بن مسعدة فارس وكرمان فقال له بعض اصحابه :
ايها الامير لو كان الحياء يظهر سؤالاً ، لدعاك حياثي من كرمك ومن جميع اهلك الى
الاقبال علي بما يكثر به حسد عدوي ، دون ان اسألك . فقال عمرو لا تبغ ذلك

بابتذالك ماء وجهك ، ونحن نغنيك عن إراقتك في خوض السؤال ، فارفع ما تريد في رفعة يصل اليك سرّاً . ففعل .

ولقد جرى ذكر عمرو بن مسعدة في رسالة الحَيِّمة وفيها وصف ما جرى من المناظرة بين عبد العزيز بن يحيى المكي وبين بشر بن غياث المريسي بحضور أمير المؤمنين المأمون في مسألة خلق القرآن جاء فيها كلام لعمرو بن مسعدة . ومنه ما قاله عبد العزيز : فلما كان يوم الاثنين صليت الغداة في مسجد ذي الذي كان على باب منزلي فلما فرغت من الصلاة إذا بخليفة عمرو بن مسعدة قد جاءني ومعه جمع من الفرسان والرجالة فحملني مكرماً على دابته حتى صار إلى باب أمير المؤمنين فأوقفني حتى جاء عمرو بن مسعدة فدخل فجلس في حجرته التي كان يجلس فيها ثم أذن لي بالدخول عليه فدخلت فلما صرت بين يديه أجلسني ثم قال لي : انت مقيم على ما كنت عليه او قد رجعت عنه فقلت : بل مقيم على ما كنت وقد ازددت بتوفيق الله تعالى إيماناً بصيرة في أمري فقال لي عمرو بن مسعدة : ايها الرجل قد سمعت نفسك على امر عظيم ، وبلغت الغيابة في مكروها ، ومرضت لما لا تقوم لك به في مخالفة أمير المؤمنين ، وادعيت بما لا يثبت لك به حجة على مخالفتك ، ولا لاحد غيرك ، وليس وراءك بعد الحجة عليك الا السيف ، فانظر لنفسك وبادر امرك ، قبل ان تقع المناظرة وتظهر عليك الحجة ، فلا تنفك الندامة ولا يقبل منك معذرة ولا يقال لك عثرة ، فقد رحمتك واشفقت عليك مما هو نازل بك ، وانا استقبل لك أمير المؤمنين وأسأله الصبح عن جرمك ، وعظيم ما كان منك اذا اظهرت الرجوع عنه والندم على ما كان ، وأخذ لك الامان منه والجائزة ، فان كانت لك ظلامة ازلتها عنك وان كانت لك حاجة قضيتها لك ، فانما جلست رحمة لك مما هو نازل بك بعد ساعة ان أقمت على ما انت عليه ورجوت ان يخلصك الله تعالى على يدي من عظيم ما أوقعت نفسك فيه .

عظمة أخلاقه

روى ابن نايف في كتاب ملح المألحة قال : دخل الحسن بن سهل على المأمون فقال له : كيف عمك بالمروءة قال : ما أعلم ما يريد أمير المؤمنين فأجيبه . قال :

عليك عمرو بن مسعدة قال : فوافيت عمراً وفي داره صناع وهو جالس على آجرة ينظر اليهم فقلت : ان امير المؤمنين يأمرك ان تعلمني المروءة . فدعا بآجرة فأجلسني عليها وتحدثنا ملياً وقد امتلأت غيظاً من نقصيره بي ثم قال : يا غلام عندك شيء ؟ يوكل قال : فقدم طبقاً لطيفاً عليه رغيفان وثلاث سكرجات^(١) في احدها خل وفي الاخرى مري^(٢) وفي الاخرى ملح فأكلنا وجاء الفراش فوضأنا ثم قال : اذا شئت فنهضت مخفطاً ولم أودعه فقال لي : ان رأيت ان تعود اليّ في يوم مثله . فلم اذكر للامامون شيئاً مما جرى . فلما كان في اليوم الذي وعدني لقياء سرت اليه فاستوثق لي عليه فتلقاني على باب الدار فعاثني ، وقبل بين عيني ، وقدمني أمامه ، ومشى خافي ، حتى أقعدني في الدست^(٣) وجلس بين يدي ، وقد فرشت الدار وزينت بانواع الزينة واقبل يتحدثني ويتنادر^(٤) معي الى ان حضر وقت الطعام ، فأمر فقدمت أطباق الفاكهة فأعينا منها ونصبت الموائد فقدم عليها انواع الاطعمة من حارها وقارها وطلوها وجامضها ثم قال : اي الشراب أعجب اليك فاقرحت عليه . وحضر الوصائف للخدمة ، فلما أردت الانصراف حمل معي جميع ما أحضر من ذهب وفضة وفرش وكسوة وقدمت الى البساط فرس بمركب ثقبيل فركبته ، وأمر من بمحضرتي من العلمان الروم والوصائف حتى سموا بين يدي وقال : عليك بهم فهم لك ثم قال : اذا زارك اخوك فلا تشكلف له واقتصر على ما يحضرك واذا دعوته فاحنفل واحتشد ولا تدعن ممكناً ، كفعلنا بك عند زيارتك إيانا وفعلنا يوم دعوناك .

وما الحسن بن سهل الذي يُعلم المروءة وهو الوزير العظيم العاقل العالم الذي كان مثال المروءة زوج ابنته بوران من المأمون فعمل « من الولايم : الافراح مالم يمهده مثله في عصر من الاوصار وكان ذلك بغم الصلح وانتهى امره الى ان ثر على الهاشميين والقواد والكتاب والوجوه بنادق مسك فيها رفاع باسماء ضياع واسماء جوار وصفات دواب وغير ذلك فكانت البندقة اذا ومنت في يد الرجل فتحها فيقرأ ما في الرقعة فاذا علم ما فيها مضى الى

(١) السكرجة قصاع يوكل فيها صغار . (٢) المُرِّي رب ملح ونقول له

سلامورة . (٣) الدست صدر البيت . (٤) يتنادر علينا حدثنا بالتواد .

الوكيل المرصد لذلك فيدفعها اليه ويتسلم ما فيها سواء كان ضيعة او ملكاً آخر او فرساً او جارية او مملوكاً ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدرهم ونواذج المسك وبيض العنبر» وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين الف الف درهم . لا جرم ان في امر المأمون عمه بالذهاب الى عمرو بن مسعدة يتعلم منه المروءة ما يشعر بمنزلة عمرو من الخليفة وانه عظيم في أخلاقه ويعرف كيف يربي الناس عليها .

قال ابراهيم بن الحسن بن سهل كنا في مجلس المأمون وعمرو بن مسعدة يقرأ عليه الرقاع فجاءته عطسة ، فلوى عنقه فردها ، فرآه المأمون فقال : يا عمرو لا تفعل فان رد العطسة وتحويل الوجه بها يورثان انقطاعاً في العنق . فقال بعض وله المدي ما أحسنها من مولى لعبده ، وامام لرعيته ، فقال المأمون وما في ذلك ؟ هنا هشام اضطربت عمامته فأهوى الأبرش الكابي الى إصلاحها ، فقالت هشام انا لا تتخذ الاخوان خولا ! فالذي قال هشام أحسن مما قلته . فقال عمرو : يا امير المؤمنين ان هشاماً يتكلف ما طبعته عليه ، فما تم تدل^(١) به ، ليس له قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قيامك بحق الله وانك والملك كما قال النابتة الديباني :

الم تر ان الله أعطاك سورة^(٢) يرى كل ملك دونها يتذبذب
لأنك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبدأ منها كوكب

ثروته ونعمته

ظهر ان عمرو بن مسعدة كان ذا نعمة وافرة وثروة طائلة ، على كثرة ما بذل من العطاء للعلماء والشعراء ، والاحسان على فامديه ومن انتهى اليه ، ومت اليه بسبب من الاسباب . وقد كان له قصور في دار السلام وله ساباط يعرف به يقال له ساباط^(٣) عمرو بن مسعدة وهو فوق الجسر ومن منازل منزله بحضرة طاق الحرابي ابراهيم بن ذكوان . جمع كل هذا من مال دولة خدماً بالاخلاص والعقل وربما كان فيها ما أخذ

(١) يقال ما يمد لك عندي شيء اي ما يشبهك . (٢) السورة الشرف والنفل والرفعة . (٣) الساباط سقيفة بين دارين او جدارين والطاق عقد البناء حيث كان والجمع أطواق وطباقات .

من غير حله ان صح ما روي ان المأمون وقع في قصة منظم من عمرو بن مسعدة :
« يا عمرو عمر نعمتك بالعسل فان الجور يهدمها » ولما مات عمرو رُفِعَ الى المأمون
انه خلف ثمانين الف الف درهم . فوقع على الرقعة « هذا قليل لمن اتصل بنا ، وطالت
خدمته لنا ، فبارك الله لولده فيه » . اي ان عمر خلف ثمانية ملايين دينار واذا
جعلت نسبة بين قيمتها منذ نصف واحد عشر قرناً بقيمتها اليوم لا يبعد ان يكون
ما خلفه نحو اربعة وعشرين مليوناً من الجنيهات . وروي المسعودي انهم عرضوا لمال
عمرو ولم يعرض لمال وزير قبله والرواية الاولى أصح وهي عن الصولي ابن عم عمرو
ابن مسعدة . والمسعودي يقصد بقوله هذا الخط من قدر المأمون لعداوة مذهبية كأن
المأمون كان يخاف عمراً في حياته فينضي عنه وأراد الانتقام منه بعد مماته بان
يصادر اولاد احد رجاله بعده .

خلف عمرو هذه الثروة من مال الدولة التي أخلص لها الخدمة في سره وجهره
بعد ذاك البذخ والرفاهية في زمن كانت الخلافة العباسية الكل في الكل ، وفي أيام
خليفة يعرف أقدار الرجال ويرى انه يقل في اصطناعهم كل بر ومكرمة ، وكان
يعتمد على عقلهم وإخلاصهم في تدبير ملكه ، وللعقل قيمة عظيمة دونها كنوز الارض
وركاؤها في نظر المأمون . ولقائل ان يقول ومن اين لفراد ان يجمع مثل هذه الثروة
العظيمة وهو متيقظ بخدمة الدولة ، لا يعمل فيما يجهده الناس في الجمع ليكون بعض
مال حسن القومة عليه . فالجواب ان الخلفاء كانوا يقيمون رجال دولتهم الولايات
العظيمة وربما نزلوا لم عن خراجها السنة او السنين . ويهبونهم من ضروب العطايا
من ناطق وصامت وعقار ومناع ما يتأثلون به ويرثاثون . والدولة التي قدرت مساحة
نمالكها بنحو مساحة قارة اوروبا اليوم وضمت جميع الاقطار العاصرة في آسيا وافريقية —
اذا جمعت جميع دخلها لا يحتاج اليه ، وثقف الحركة الاقتصادية في البلاد لا محالة ،
فتري من الحكمة ان تنتقل الثروة في الايدي . وما كانت الدولة سبيل الحقيقة تحتاج
يومئذ الى تنقعات كبيرة لإطعام الجيوش وإعداد الاساطيل وتجهيزها بالمدمرات
والمهلكات شأن دول اليوم ، والحروب المدمرة في هذه الحضارة الحديثة لم تعرف في
عصر العباسيين . وليس غير الحروب تستنزف الاموال وتذهب بارواح الرجال .

ولقائل من تشبع بروح الديمقراطية في هذا العصر وهل هذا هو المعقول في قيام الملك من الإفراط في الإفضال على الراد يسوغون جباية قطر أو أقطار صبرة واحدة وهي تجمع بالدائق والدرهم . وهل يمثل هذا نصح الخلفاء الأول أو أرباب الدول الغربية اليوم . فالجواب ان طبيعة القرن الثاني والثالث غير طبيعة القرن الأول وهذان القرنان الاخيران لا يشبهان بحال قرون البشر منذ عشرة قرون خصوصاً اذا وضعنا موضع النظرايضاً اتساع رقعة الملك، وعمران العراق وحده دع غيره من الاقطار، فان كل هذا أعظم حامل على البذل . ولهذا كان للخلفاء في هذا العطاء بعض مبرر لاعمالهم ، وان كان لا مبرر من إسراف ، لكن حالة العمران اقتضت ذلك في الدهر السالف . وكان الاولى ان يعمدوا الى القصد في الأخذ والقصد في العطاء ، ويقوموا بما ينفل المصانع والمعالم في أرجاء المملكة والمنصف يقول ان هذا النظام البديع في تنظيم الموازنات هو وليد العصور الجديدة . وهذا التقدير وهذا التقدير . في التافه والقطمير هما من خلق دول الغرب . وكان ذلك على حالة ابتدائية في عصر الأمويين والعباسيين ولم تكن أسباب الحياة تشبهت هذا الشعب . ولا الاوضاع هذه الاوضاع ولا الابداع في النظم هذا الابداع .

هذا أقصى ما أبتقته لنا الاباء من أخبار هذا الوزير العربي النابغة بدهائه السياسي وبلاغته ، ومن الأسف قد دُما فاضت به قريحته البراقة التي عرفت بالبلاغ المتمتع وعرفنا من سيرته ما أطللنا به من نافذة ضيقة على ما خُصت به نفسه وانطوى عليه من الصفات السامية التي كانت بها عظمت . وربما لم يخل عصره من بلغاء أمثاله لو فتح لهم الطريق لاغنوا غناءه ولكن الطبائع تختلف وهذه الرقة في السياسة يصعب ان يبرز فيها كل انسان فهو كما كتب الحسن بن سهل الى محمد بن سماعة القاضي وقد احتاج الى رجل يولي به بعض الاعمال فقال انه يريد رجلاً جامعاً لخصال الخير ذاعفة ونزاهة طعمة^(١) . قد هذبته الآداب . وأحكمت التجارب . ليس بظنين في رأيه . ولا بمطمعون

(١) في الاساس : ومن الجاز فلان طيب الطعمة وخبيث الطعمة بالكسر وهي الجهة التي منها يرتزق بوزن الحرقة .

في حبه . ان اؤمن على الأمرار قام بها وان قلد معها من الامور أجزاء^(١) فيه .
 له سن مع أدب ولسان . تغدده الرزاة ويسكنه الحلم . قد فر^(٢) عن ذكاه وفطنة .
 وعرض على قارحة^(٣) من الكمال . تكفيه اللحظة . وترشده السكتة . قد أبصر
 خدمة الملوك وأحكامها . وقام في امور فحمد فيها . له أناة الوزراء . وصوله الامراء .
 وتواضع العلماء . وفهم الفقهاء . وجواب الحكماء . لا يتبيع نصيب يومه بجرمان غده .
 يكاد يسترى قلوب الرجال بحلاوة لسانه . وحسن بيانه . دلائل الفضل عليه لائحة .
 وأمارات العلم له شاهدة . مضطجاً بما استهض . مستقلاً بما حمل اه .
 ومثل هذه الصفات هي صفة حمرو بن مسعدة . وأنتم به وبسيده وسقياء ورعياء
 اعصر أخرج عظماء يحى لنا التمجيد بهم معها بهمة عهدنا بهم .



(١) أجزاءني كذا: كفاي وهذا مجزى . (٢) اني جرت واختبر فيهما واصله
 من فر الدابة كشف عن اسنانها لينظر ما سنها . (٣) قوله وعرض على قارحة الخ
 كناية عن بلوغه درجة الكمال .

مناقشة لغوية

عثر رصيفنا الفاضل الاب انتاس الكرمل في (عثرات الأفلام) التي ينشرها
المجمع العلمي - على ثلاثة مواضع حسبها بطلاً للنقد والمواخذة فذكرها في مجلته
(لغة العرب) (جزء ٧ ص ٤) وعلق عليها تخطئةً موقفاً . وقد رأينا ان ننهب
الى حجتها فيها :

(١) قلنا في عثرات الأفلام ان قولهم (طاف جسده على وجه الماء) صوابه
(طفا جسده) فردّ الاب هذا وعلق عليه كلاماً ذكر فيه (ان طاف مقلوب طفا)
بمعنى يجوز استعمال كل منهما مكان الآخر . ولا نظن هذا صحيحاً لوجوه : الاول
ان جمهور اللغويين قالوا (طفا الشيء فوق الماء اذا علا عليه ولم يرسب) وقالوا (طاف
حول الشيء وبالشئ اذا دار حوله . (الوجه الثاني) ان القلب في مثل هذا سماعي كما نص
عليه الرضي في شرح السافية . ولم نظفر بنقل عن اللغويين بصرح بان (طاف مقلوب
طفا) . (الوجه الثالث) على فرض صحة ان (طاف مقلوب طفا) لا يلزم منه ان يصح
حلوله محله في بكل استعمال . نعم ورد الجواز في مثل (عاث) مقلوب (عشا) و (راء)
مقلوب (رأى) و (ناء) مقلوب (نأى) اما في (طاف) على فرض انه مقلوب (طفا)
فقد خصوا الاول بالانتقال من مكان الى آخر او الاستدارة حول الشيء ويقال في
ضده ثبت وسدك ولزم مكانه كما خصوا الثاني وهو (طفا) بالجسم الذي يعلو وجه الماء
سواء انتقل او لم ينتقل وضده رسب . ومثل (طاف و طفا) في تخالف الاستعمال قولهم :
(غام وغمى) خصوا الاول بنغطية السماء بالسحاب . والثاني بنغطية سقف البيت
بالطين والخشب .

(٢) قلنا في (عثرات الأفلام) في تخطئة من يقول (الأركان على النفس علامة
النجاح) : انه لم يرد (أركان رباعياً) بدليل ان الموثوق بهم من ارباب المعاجم لم
يذكروه كصاحب اللسان والناج والصحاح والأساس . نخطأنا الاب في هذا وقال
ان صاحب الكشف روى جواز (أركان) رباعياً في قراءة من قرأ (ولا تركنوا
الى الذين ظلموا) على البناء للفعول من أركنه اذا أماله . وتمول في الجواب انساني

(العثرات) انما خطأنا من استعمال (الاركان) اي الرباعي اللازم بمعنى (ركن) الثلاثي اللازم اي بمعنى مال كما اذا قال قائل (أفهم زيد) يريد (فهم زيد) فنقول له هذا لا يجوز اذ لم يرد في كلام العرب (أفهم) رباعياً ولا شك ان السياق يعين مرادنا واننا انما نعني ان (أفهم) الرباعي لم يجيء لموافقة (فهم) الثلاثي فلا يصح ان يعترض علينا بانه ورد (أفهم) رباعياً متعدباً . ويعلم الله اننا رأينا (أركن) الرباعي المتعدي بمعنى أمال في تفسير البهزاوي وابي حيان عند قوله تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) بالبناء للجھول كما رأى الاستاذ ذلك في الكشف . لكننا لم تنبه عليه في (عثرات الأقسام) خشية التطويل الذي تجنبه جهد طاقتنا في (العثرات) . والحاصل ان (أركن) رباعياً لم يرد بمعنى (ركن) كما ورد (أقاله) البيع بمعنى قاله . وانما ورد (أركنه) بمعنى أماله على ان تكون همزته للتعدية لا لموافقة الثلاثي وهذا خارج عن موضوعنا .

(٣) آخذنا الاب الناضل في كلمة ثالثة وقبل ان نوردها تقدم بين يديها ملاحظة لنا على رصيفنا وعضو مجمعنا المحترم: ذلك انه كلما رأى احداً فتح نافذة لاصلاح اللغة العربية ونهية كلماتها وتسهيل قواعدها والتوسعة على الناطقين بها في بعض ما حظروا الاقدمون — بادر الى سد تلك النافذة قائلاً ان في هذا الفتح الضر والبرح . وعلى العكس اذا رأى احداً سدة نافذة يكون من شأنها الإفساد في اللغة عارضه وفتحها متألياً ان سيكون في هذا الفتح الربح والنجح . فمثال النافذة التي سدها المجمع ففتحها هو قولنا في العثرات انه لا يجوز ان يقال (مكشنا مع الاخوان فويق ناقة) على ان يكون (فويق) تصغير (فواق) وعلمنا ذلك بانه من الامثال والامثال لا تغير . ولا نريد بذلك الامثال نفسها بل ما يعمها ويم ما كان من قبلها ثقة منا بان قراء مجلتنا انما هم من اهل الفضل الذين يعمون المراد من مثل هذا الإطلااق . فلم يجب الاب سدة النافذة على هذه الصورة وقال ما نصه : « نحن لا نعتبر قولم فويق ناقة من الأمثال بل من الأقوال السائرة مسير الأمثال ولهذا لا نرى مانعاً من اعتبار (فويق ناقة) بتصغير فواق — من الغلط » اه فالأب اعطى فتوى يجوز استعمال (فويق ناقة) بالتصغير وان لم ينطق به العرب الخالص . ولا غرو ان يكون في قوله هذا توسعة وتخفيف واغراء لنا باستعمال نظائر (فويق) مما فيه مخالفة لاهل اللسان فنقول من دون ان يكون ثم ضرورة (على

طرف التثنية (بالتصغير مكان (الثام) بالتكبير و (حمى الوطيس) مكان (الوطيس)
و (لم على وضم) مكان (وضم) و (مات حُتِيف أُنِيفَه) مكان حنط أُنِيفَه وضميت
على أيبيلة مكان ضفت على ابالة في نظير ذلك مما يشكره عليه ارباب (الباب المفتوح)
في اللغة ١١١ .

اما مثال النافذة التي فتحناها للإصلاح اللغوي وقام هو فسدناها في وجهنا ووجه
الناطقين بالضاد فهو قولنا في اثناء الكلام (وتبعه على ذلك صاحب أقرب الموارد الخ)
فانتقد تعدية فعل تبع بعلى . فروي عبارتنا هذه قائلاً هكذا (وتبعه على (كذا) ذلك)
يشير بكلمة (كذا) الى هذا الخطأ الناصح . ولعله يريد ان الواجب ان يقال (وتبعه
في كذا) . وحجنا نحن في ذلك او في فتح هذه النافذة ما اشتهر بين علماء اللغة من ان
حروف الجر بنوب بعضها عن بعض وان (على) خاصة تنوب عن (في) كقوله تعالى :
(ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها) اي في حين غفلة كما صرح بذلك اهل
اللغة والتفسير . ولعله يقول ان معاجم اللغة لم تنقل (تبعه على كذا) بخصوصه فالواجب
ان نتابعهم على ما قالوا . ارايت كيف ان الآب المحترم سد هذه النافذة الموصلة الى
تلقى الهواء الطلق كيلا تموت اللغة اختناقاً . بل ارايت كيف ان الآب يصرح في
نفس رده علينا بقوله : (عدم ورود كلمة أركن في دواوين اللغة لا ينفي وجودها اذ
لغتنا اوسع من ان تضمها دفناً معجم فهي بحر لجي لا قرار له) اسمع ما احسن هذا التصریح
وما احسن فتح النوافذ على هذه الصورة لإصلاح اللغة . ولو فتح غيره هذه النافذة لمارسه
لعمري وقام في وجهه كما عارضنا وقام في وجهنا مدّ فلنا (تبعه على كذا) وان لم نقله
المساجم ونحن نريد ان نفتح نافذة استعمال حرف جر مكان حرف جر كما يجوز اهل
اللسان فمعنى (تبعه على كذا) تبعه في كذا . ثم ان كان رصيفنا الآب يسد علينا هذه
النافذة فهل يسد علينا نافذة أخرى في تصحيح هذا الاستعمال ؟ (نافذة التضمين)
اي ان فعل (تبع) ضمناه معنى (وافق) فعدي تعديته والتضمين في اللغة اشراب كلمة
معنى كلمة أخرى فتعدي تعديتها . فمن اشربنا فعل (تبع) معنى (وافق) فعديناه بعلى
مثلها . ويكفي حجة لنا في جواز هذا التضمين ما قاله ابن جني في الخصائص وهذا هو نص
عبارته : (وجدت في اللغة من هذا الفن (التضمين) شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به ولعله

لر جمع اكثره لاجمعيه لجا، كتاباً ضخماً فاذا مر بك شيء منه فتنقبه وانس به فانه فصل في العربية لطيف حسن اه) فالنافذة التي فتحها ابن جني وتبعناه نحن على رأيه في فتحها يقوم حديقنا الملائمة فيوصدها ويقول للناس انظروا الى المجمع العلمي كيف يريد ان يفسد اللغة !! ألا ينعم من هذا انه يحاول احتكار فتح التوافد في الاصلاح اللغوي؟ وبوشك انت نبارك له نحن فيما يريد ولكن بشرط ان يتنبه فلا يفتح ما سد ولا يسد ما فتح.



اعضاء المجمع العلمي

« في الغرب »

الاستاذ ادوار مونت (Montet)

ولد السيد مونت في ليون سنة ١٨٥٦ وعاش في تلك المدينة حيث درس الدروس الثانوية وجاز فحوص البكاوريا (العالمية) الى سنة ١٨٧٤ ثم اخذ يدرس دروساً عالية تامة وذلك بالاشتغال في جامعات جنيف وبرلين وهايدلبرغ ثم في جامعة باريز حيث نال رتبة دكتور في اللاهوت (مدرسة اللاهوت البرنستاني) وذلك في سنة ١٨٨٣ وقد قدم كتاباً اسمه في اصول الفرقتين الصدوقيين والفريسيين وتاريخهم الى ولادة السيد المسيح . وفي سنة ١٨٨٥ عين المسيو مونت في جامعة جنيف استاذاً للعبرية والارامية والعهد العتيق . ومنذ سنة ١٨٩٤ اخذ يدرس في تلك الجامعة ايضاً العربية وتاريخ الاسلام .

ان مقدرة السيد مونت التي عرفها الخاص والعام في كل ماله مساس بالمذنبات السامية ولا سيما بالاسلام قد دعت الحكومة الفرنسية مرتين لتدببه الى مراكز في بعثة علمية . المرة الاولى كانت سنة ١٩٠١ والمرة الثانية سنة ١٩١٤ وفي سنة ١٩١٠ دعي ليلقي سلسلة من المحاضرات على الاسلام في كولينج دي فرانس بباريز . وكان الاستاذ مونت في رئيس جامعة جنيف من سنة ١٩١٠ — ١٩١٢ .

ان المقالات التي نشرها هذا العالم في كثير من المجلات والصحف وقائمة أهم تأليفه

التي نقرأونها في أسفل هذه العجالة تشهد شهادة ناصعة بان جهاد هذا الاستاذ قد قسمه خلال حياته بين الدروس التي لها علاقة بالعربية والعهد العتيق والدروس الاسلامية .
« قائمة أهم كتب ادوارد مونتيه باللغة الفرنسية »

باكورة في اصول الفرقين الصدوقية والفريسية وتاريخها الى ولادة السيد المسيح (باريز ١٨٨٣) .

• مختصر نحو العبرية والارامية الكتابية (باريز ١٩٠٥) .

• مبادئ النحو العربي (جنيف ١٨٩٦) .

• تاريخ لسكان مقاطعة الفوم من البيمون (باريز ١٨٨٥) .

الدرس الشريف وهو نص غريب نشره عن نسخة كبرديج وذكر اختلاف النسخ بينها وبين نسخة جنيف ودوبلين مع ترجمتها بالفرنسية وترجمتها بلغة القو الحديثة (باريز ١٨٨٨) .

• تاريخ شعب اسرائيل أخذاً من العهد القديم (باريز ١٩١٠) .

• سياحة في مراکش (سياحة العالم) (باريز ١٩٠٣) .

• حاضر الاسلام ومستقبله (ترجم الى الايطالية والمجرية والعربية) (باريز ١٩١٠) .
• الاعتقاد بالاولياء المسلمين في افريقية الشمالية ولا سيما في مراکش (جنيف

صنة ١٩٠٩) .

• دروس شرقية ودينية (باريز ١٩١٢) .

• الاسلام (باريز ١٩٢١) .

• وقد انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي منذ اول نشأته .



الغزالي أم الغزالي

لما وجدت الخلاف قديماً وحديثاً في ضبط هذا الاسم رأيت ان اجمع أقوال العلماء لتصحيح هذا الرسم .

قال ابن خلكان (ط . مصر ١٣١٠ ج ١ ص ٢٩) في ترجمة ابي الفتوح احمد اخي ابي حامد الغزالي : والغزالي بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي المعجمة وبعد الالف لام هذه النسبة الى الغزال على عادة اهل خوارزم وجرجان فانهم ينسبون الى القصار القصاري والى العطار العطاري . وقيل ان الزاي مخففة نسبة الى غزالة وهي قرية من قرى طوس وهو خلاف المشهور ولكن هكذا قاله السمعاني في كتاب الأنساب والله اعلم .

اما ما نسبته ابن خلكان للسمعاني فهو غير موجود في كتاب الأنساب المطبوع في لندن سنة ١٩١٢ بل ليس فيه ذكر لهذه النسبة .

ولكن قال ابن توري بردي في النجوم الزاهرة (ط . بكلاي ١٩٠٩-١٩١٢ ج ٢ ص ٣٥٨) في حوادث سنة ٥٠٥ ان السمعاني ذكره في الذيل ولعل هذا الذيل هو ذيل تاريخ بغداد لابي بكر الخطيب .

ونقل ابو الفداء في تاريخه في حوادث سنة ٥٠٥ ما ذكره ابن خلكان فيها يخص التشديد فقط .

وذكر السيوطي في ألب الباب (ط . ليدن ١٨٤٠ ص ١٨٦) القولين مع تخفيف التحفيف .

وقال ابن الوردي في تاريخه في حوادث سنة ٥٠٥ وتخفيف الزاي وتشديدها من الغزالي مشهور وانشد^(١) بيتاً فيه التحفيف :

(بدر تم اضمي بسيط غرامي فيه يروي عن طرفه الغزالي)

(١) قوله (وانشد بيتاً فيه التحفيف) راجعنا تاريخ ابن الوردي فوجدناه قد استشهد بهذا البيت من دون ان يصرح انه شاهد على التحفيف والظاهر انه شاهد على التشديد . (المجمع)

وقال الياضي في روض الرباعين (ط . مصر ١٠ ص ٣١٠) وفي مرآة
الجمال (ط . حيدر اباد ١٣٣٨ ج ٣ ص ١٨٦) قصيدة في مدح الغزالي فيها
هذا البيت .

(ابو حامد غزال غزل مدقق من العلم لم يغزل كذلك بمنزل)
ونال الشيخ مرتضى في تاج العروس في مادة (غ ز ل) : وغزالة كسحابة قرية
من قرى طوس قيل واليه ينسب ابو حامد كما صرح به النووي في التبيين وقال ابن
الاثير : ان الغزالي مخففاً خلاف المشهور وصوب فيه التشديد وهو منسوب الى الغزال
بائع الغزل او الغزالي على عادة اهل خوارزم وجرجان كالقصارى الى القصار ،
وبسط ذلك السبكي وابن خلكان وابن شهبة .

وقال محمد طاهر الفتي في المغني (دلهي ١٣٢٠ ص ٦٠) بعدما ضبط الغزالي
بالتشديد وروي عن الغزالي انه انكرها وقال انما انا الغزالي بخفة زاي نسبة الى غزالة
قرية بطوس .

وحكى طاش كبري زاده في مفتاح السعادة (حيدر اباد ١٣٢٩ ج ٢ ص ١٩٢)
ان والد الغزالي كان بغزل الصوف . وبيعه بدكان بطوس وروي ايضا ان الغزالي حكى
ان ابيه كان فقيراً صالحاً لا يأكل الا من كسب يده في عمل غزل الصوف .
وبتلخص من هذه النقول ان التشديد هو المشهور الجاري على لسان العلماء قديماً
وحديثاً وان التخفيف مبني على قول السمعاني في الذيل الذي ذيل به تاريخ الخطيب
البغدادى لانه يُعرف له ذيل لكتابه في الانساب ؛

ومن جهة أخرى فاني راجعت معاجم البلدان المطبوعة في اوربا مثل معجم ياقوت
وكتاب الجبال والامكنة والمياه للزمخشري والمكتبة الجغرافية فلم أعثر على قرية اسمها
غزالة كما ذكر السمعاني وانما الموجود فيها ان طوس مشتملة على بلدين يقال لاحدهما
نوقان والاخرى طابران وبها مات ابو حامد ودُفن بظاهرها .

ومما يزيد التشديد العطارى نسبة الى العطار قال السمعاني في كتاب الانساب
المذكور (ورقة ٣٩٢ وجه ١) هذه النسبة الى العماره وقد ذكرناه وقد جرت عادة
عدة من البلاد ان ينسب اهلها الى الطرف مثل خوارزم وجرجان وآمل طبرستان

وذكر هذه النسبة السيوطي في لب الباب (ص ١٨٠) وذكر ياقوت في معجم البلدان
ابا محمد العباس بن محمد العطار الطوسي من أصحاب طابران .

واقنطنت من لب الباب للسيوطي التتاني نسبة الى بيع التبن والجواز في بيع
الجوز والجلابي الى جلب السلع والحدادي الى الحدبد كالحداد والختاطي كالختاط
الى بيع الخنطة والخبازي كالخباز الى الخبز والخفاني كالخفاف الى الخراف
والختاطي كالختاط الى خياطة الثياب والرواسي كالرواس الى بيع الرؤوس والصائغي
كالصائغ الى الصباغة والمطرزي كالطرز الى الطرازة .

الجزائر : محمد بن ابي شبيب .

عضو المجمع العلمي العربي



حول الكراس الشارد

كنت كتبت في مجلة المجمع (جزء ١١ من السنة الماضية) مقالاً في وصف
كراس مخطوط ظفرت به في مكتبي وسألت اهل العلم والفضل ان يذكروا لنا من امر
المخطوط الذي شرد منه هذا الكراس . ولقد كتبت ذلك المقال وانا على يقين ان
الصديق احمد تيمور باشا سيكون اول من يحقق امر ذلك الكراس ويكشف عن
نسبته النمرض والالتباس فكان ما قدرته ورويته في نقسي صحيحاً فقد جاءني كتاب
من العلامة المشار اليه قال فيه ما يلي :

الكراس الشارد الذي تكلمت عنه في المجلة هو من رحلة كبيرة لاحمد الادهمي
اسمها (تحفة الادب في الرحلة من دمياط الى الشام وحلب) عندنا منها نسخة تقع في
٤٧٩ صفحة منقولة من دار الكتب المصرية واول ما في كراسكم يقع في ص ١٠ منها .
وقد اورد المؤلف أبياتاً لوالده في ص ٧٠ ترجم لها بقوله : « ويحبيني قول الوالد الهام
في مدح طرابلس الشام » وكتب بعضهم على حاشية نسخة الاصل (اي والده صالح
افندي الادهمي) . وترون في صلك الدرر جزء ١ ص ١٦٩ ترجمة له جاء فيها انه
احمد بن صالح بن منصور المعروف بالادهمي الحنفي الطرابلسي وانه نشأ بدمياط وتولى

الافتاء بها ثم تقابة الاشراف بمصر وتوفي سنة (١١٥٩ هـ) ولكن ليس بها ذكر هذه الرحلة . وقوله في ص ٤٨٣ من المجلة (فتوجهت الى العذبة) صوابه (العزبة) بالزاي وهي الضيعة او القرية بلغة عوام مصر ولم تزل هذه القرية باقية الى الآن على الشاطئ الشرقي للنيل شمالي دمياط وتسمى بعزبة البرج . والبكري الذي ذكره يغلب على الظن انه احد افراد أسرة البكري الباقية الى اليوم بدمياط . واذا ثبتم الاطلاع على الرحلة لكتابة شيء عنها أرسل بها اليكم في البزيد . اه المراد من كتاب العلامة وهو آية عظمى على فضله ودلوعه بخدمة العلم ونشر أسفاره . والنابش عن كنوزه وآثاره . اما تصويبه (للعذبة) (بالعزبة) فصحيح ولكننا نحن أبقينا الكراس على أخطائه وأشارنا لذلك في اول هامشة علقناها عليه . وقوله : « ان (البكري) الذي ذكره صاحب الكراس يغلب على الظن انه احد افراد أسرة البكري الباقية الى اليوم في دمياط » فيه نظر لانه لم يقل (البكري) وانما قال (الحاج بكري فتح الله) وهذا يدل على ان (بكري) اسمه لا اسم أسرته وان اسم أسرته (فتح الله) وربما كانت هي أسرة فتح الله المشهورة في بيروت الى اليوم . واما أسرة الادهمي المذكورة فما زالت من أسرة طرابلس المشهورة بعراقة النسب ونعرف منها اشخاصا مارسوا الادب والشعر أشهرهم السيد اسحق الادهمي وهو شاعر مشهور له ديوان شعر مخطوط وله قصائد في مدح الامير عبدالقادر الجزائري ولم يخلف سوى ولد ذكر لا نعلم ان كان حيا او لا وقد توفي السيد اسحق في أوائل هذا القرن الهجري .

المغربلي



مطبوعات حديثة

المرأة في شرع الاسلام

« السيد عبد الله الياني — الدكتور في الحقوق »

Condition privée de la femme dans le Droit de l'Islam

رأى فريق من فتيان هذه الامة النابهين ممن قصدوا الى الغرب في طلب العلم، ان من مصلحة الوطن، وحق الامة عليهم، تعريف قومهم الى الغربيين تعريفًا صحيحًا كي لا يظل بعض هؤلاء على رأيهم الفاسد في هذه الامة العربية. فجدوا في وضع أطروحاتهم لنيل العالمية، عن المسائل العربية. لتويراً للاذهان الغربية في الشؤون الاسلامية الشرقية. فجاءت رسائلهم غريبة اللفظ، غريبة الروح.

وفي جملة من قصد هذا القصد، السيد عبد الله الياني. فلقد جعل موضوع أطروحته « مكانة المرأة في شرع الاسلام ». والمرأة العربية — ولا سيما من حيث حقوقها — هي أحوج ما تكون الى التعريف. لذلك احسن الدكتور الياني الى أمته برسالة هذه، إحساناً لا يفيده بعض حقه، الا ان يشار الى الموضوعات المهمة التي عالجها فيها.

قسم السيد الياني أطروحته الى : مقدمة . وثلاثة ابواب . وخاتمة .

لنتناول في المقدمة العهد الجاهلي . فوصف شيئاً من عادات العرب وادبائهم وطبائعهم . وحالة المرأة في ذلك العهد . واما في الباب الاول فقد بحث عن المرأة في العهد الاسلامي، ورد مزاعم الغربيين الذين ينصرون على محمد (ص) معاملته للمرأة . واثبت انه ليس في المتقدمين من المشرعين من عطف على المرأة عطفه . وعاملها بالرحمة والعدل مثله . ذلك على الرغم مما كان يعترض احكامه هذه من قسوة العرب ومستحكم عاداتهم . وذكر في فضول هذا الباب عمل المرأة من حيث هي أم، وما اوجبه لها الشرع الاسلامي من الحرمة والمكانة . وان الاسلام اذا كان رغب للمرأة ان تكون قيمة منزلها، وفضل لها الاشتغال بتدبير المنزل، فليس في شيء مما جاء به ما يدل على

انه حرم عليها الاتجار والعناية بالشؤون الاجتماعية ، بل السياسية . وهو اذا لم يكن جعلها ربة المنزل ، فلقد جعلها فيه مساوية للرجل .

ثم انه سرد جملة من الأحداث التي تدل على قيمة المرأة في الاسلام وعلى معاشره الرسول لنسائه بالاحسان ، ومعاملته لمن بالمعروف . وأشار الى الاسباب الاجتماعية التي ابقت في الاسلام شيئاً من الفرق بين الرجل والمرأة . على انها امام الله والقضاء سيان . واتى بادلة بينة على ان حقوق المرأة هي في كثير من القوانين الغربية ، دونها في الشريعة الاسلامية . وان المرأة في الاسلام قد تولت الملك والحكم . على حين لم تتمتع في بلجيكا واطاليا واسوج ونروج وفي فرنسا — الى اخر ايام الملكية فيها — بشيء من هذا الحق . قال : واذا كانت المرأة قد ضربت في الاسلام ، فقد ضربت ظلماً وعدواناً ، لا يحق شرعي اقرنه القوانين ، كما كانت الحالة في الغرب ، والى هذا اليوم في البورتنال . ثم تكلم عن حق المرأة في النفقة والسكن وما اليها . وعن حقوقها في عقد العقود مستقلة عن الرجل . وعلل الاسباب لنقصان حظها في الارث والشهادة تعليلاً مقبولاً ، مستشهداً في ذلك كله بادلة عقلية وعقلية . مثبتاً ان حظ المرأة الغربية من قوانينها ، لم تكن بانفضل من حظ نسائنا شهادة وارثاً .

وفي الباب الثاني : وعنوانه (الحقوق الموضوعة) فصل شيئاً من مسائل الزواج والوجهة الاجتماعية الاسلامية فيه . وشرائطه الشرعية . وتعدد الزوجات ، واسبابه وفوائده ومضاره . وجاء بما ينبغي ان تكون الشريعة اجازت لابي البنت ان يزوجه كما كينها ارادا . ثم عقد فصلاً للعجائب . وقال انه اثر من آثار الروم والفرس ، اكثر منه عادات عربية موروثه . وأشار الى ملاقته المرأة من التضييق في كل أمة من أم الغرب . ثم نوه بالامتيازات التي منحتها الشريعة للمرأة : كالحضانة ، والمهر ، وان هذا لا يراد به شراء المرأة بالمال كما يتوهم بعضهم ، بل هو تلطيف لعادة قديمة ، ومعاونة للمرأة على قضاء حاجاتها وسداد عوزها .

ثم اجمل في الخاتمة ما كان بسطه في الفصول السابقة . والذي يزيد في قيمة هذا الكتاب ان مؤلفه مضي فيه بروح مشبعة من الاعتدال ، فكتب ما كتب ورائده الحقيقة ، يملئها عليه عقله وعلمه ، لا نزعة وحسه .

واري قبل ان أنهي هذه الكلمة ان ألفت نظر السيد الباقي الى ان بعض العبارات ترجمت ترجمة لا تخلو من شيء من التوسع .

من ذلك ما استشهد به من قول صفيّة للرسول « تُحدث مع ابنة اليهودي في يومي وانت رسول الله » — وهذا قول لم نقله صفيّة بل قالت لها ام سلمة — وقد جاء في الترجمة « وانت تزعم انك رسول الله » ولا ادري من اين جاءت « تزعم » هذه . فلا ظاهر العبارة المترجمة يدل عليها . ولا ما في نفس ام سلمة وهي زوجة المؤمنة ينمّ بها . ومثل ذلك « ان دين الله الاسلام » بدلاً من « ان الدين عند الله الاسلام » وبين العبارتين فرق . وشيء آخر يخالف الصديق فيه ، وهو ما ذكره في سياق كلامه عن المعاملة الحسنة التي ارادها الرسول للمرأة : مساواة بالرجل احياناً ، وتفضيلها عليه حيناً . فلقد قال : « ومع ذلك كله لم يُنفّس عن المرأة » والسبب في ذلك ان الرسول كان في اصلاحات الاجتماعية يلجأ الى الدين ، ويعتقده عاملاً كافياً لتحول جمهر من في الاخلاق الى ان يقول : « وليس — في الوعد والوعيد بالثواب في الآخرة والعقاب — غناء عن القصص العاجل . ولا سيما في قوم عصاة كانوا كالعرب . ولكن النبي لم يأخذ بهذا ، ورأى في العقوبة الدينية الكفاية » ولست ادري كيف رأى السيد عبد الله هذا الرأي ، وهو يعلم جد العلم ان الشرع الذي جاء به صاحب الرسالة كان شديداً في الحق ، صارماً في العقاب . ردعاً لتلك الامة عن روح الاجرام والعصيان . ولم يُنظر النبي العربي الى الآخرة جرماً يجب ان يُعاقب به في هذه الدنيا . اما الوعد بالآخرة ترغيباً في حرمة الام ، وإحسان ادب البنات ، واسباغ النعمة عليهن ، مما استشهد به المؤلف . فتلك اقرب الى النوافل التي تدخل في الحقوق الطبيعية . ولا عقوبة على من لا يفعلها حتى اليوم . فكأن محمداً (ص) اتخذ لها من الآخرة شبه قوة منبهة .

اما ان المرأة لم يُنفّس عنها التنفيس الذي اراده لها صاحب الرسالة كله . فذاك لا يعود الى نقص في الشرع ، ولا الى خطأ في ترتيب العقوبة ، ولكنه يرجع الى قوة في الرجل وضعف في المرأة . والصديق أعزّه الله يعلم ما تفعل القوة والضعف بالام فكيف بالنساء ؟

عارف النكدي

من اعضاء المجمع العلمي

مصنفات الامير عمر طوسون

تفضل صاحب السمو الامير عمر طوسون واهدى المجمع العلمي خمس مجلدات من تأليفه ، في النيل وتاريخه ، وفي مالية مصر منذ عهد الفراعنة الى ايامنا هذه ، وفي جغرافية مصر على عهد العرب كتبها بالفرنسية على احديث اصول في التأليف وجود موضوعاتها وشفعها بمصورات وخطط بديعة دلت على علو كعبه في العلم وشدة شغفه بالبحث وقدمها الى المجمع المصري فنشرت تحت رعاية صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ملك مصر المعظم . وقد كنا رجونا العلامة الاستاذ احمد زكي باشا احد اعضاء مجمعنا العلمي ان ينفصل بالكتابة على هذه الاجزاء كتابة علمية ليستفيد منها القراء علماء منا بان ابن النيل أحق الناس بالكلام على نيله المبارك وعلى عمران قطره المحبوب ، وعساه يفعل ويبر بوعده . ولا يسمننا هنا الا شكر الامير المؤلف على هديته وأفضاله على الآداب . فقد اشتهر بالامس الامير باحسانه وصدقائه ، واليوم يعرف باحسانه في العلم والتأليف . أقر الله به عين الامة العربية . وهذه اسماء هذه التأليف الممتعة بالفرنسية .

(١) Memoire sur les anciennes branches du Nil (époque ancienne et arabe)

(٢) Memoire sur les finances de l'Egypte (depuis les pharaons jusqu'à nos jours)

(٣) Memoire sur l' Histoire du Nil, « 2 Vol. »

(٤) La Géographie de l' Egypte à l'époque Arabe « T.I »

م . ك

—••••—

النشر في القراءات العشر

عني المتقدمون من علماء الاسلام بالاختصاص فبلغ كل منهم شأواً عظيماً فيما اختص به ، ومن حفظ لم التاريخ بين طبائعه صفحة يضاء لجبانهم الطيبة (الامام

الحافظ ابو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (المتوفي سنة ٨٣٣) تخصص المذكور في علمي التجويد والقراءات فحاز قصب السبق فيهما حتى شهد له بذلك علماء عصره ومن اتى بعدهم — رغمًا عما يوجد بين المصاصرين من الحسد — قال الحافظ ابن حجر : انتهت اليه رياسة علم القراءات في الممالك ، وقال الحافظ السخاوي : فنه الذي مهر فيه القراءات ، وقال العمادي في الشذرات عنه : مقرئ الممالك الاسلامية — وفي موضع آخر — الامام الاعظم ، ولقبه الحافظ السيوطي في انقائه بامام القراء ، وحافظ القراء ، وفي الشقائق النعمانية : ان تيمور أولم رليمة عظيمة وعين جانب يساره للامراء وجانب يمينه للعلماء وقدم في ذلك المجلس الشيخ الجزري على السيد شريف الجرجاني . بلغ المترجم من انقائه لهذين العلمين ان ألف فيهما وفي غيرهما كتباً قيمة بقيت أثراً خالداً بعد وفاته . حتى قال الحافظ السخاوي عنه ، وكذلك نظم الهداية في أئمة العشرة بسما الدرة وله ثمان عشرة سنة وربما حفظها او بعضها بعض شيوخه . واذا كانت بعض شيوخه يحفظ ما نظم وهو لم يتم العقد الثاني من عمره فما ذا نقول عن كتابه : (النشر في القراءات العشر) الذي افه وهو في العقد الثامن من عمره ؟ .

لقدل أحسن — أجزل الله مثوبته — الى فن القراءات سيفه كتابه هذا كل الاحسان . وما ذا افول عن كتاب كفانا مؤنة المراجعة في نحو سبعين كتاباً بجمع مسائلها وفرائدها فيه . ويكفي تقرير الحافظ ابن حجر له : بانه جوده . ولم يشأ رحمه الله الا ان يجعل كتاباً عاماً ينتفع به المقرئ وغيره فضمنه مسائل علم التجويد وقواعده ، واتي بنحو مئتي ترجمة لمشاهير المقرئين حتى لو جردناها لأصبحت كتاباً جامعاً وهذا عدا ما ذكره من المسائل الاصولية والفقهية والتاريخية مما لا يسمح لنا المقام بشرحها . واليك كلمة للمؤلف يصف كتابه هذا : وجمعها في كتاب يرجع اليه ، وسفر يعتمد عليه غير ما فيه من فرائد لا تحصى ولا تحصر ، وفرائد دخرت له فلم تكن في غيره تذكر ، فهو في الحقيقة نشر العشر ، ومن زعم ان هذا العلم قد مات قيل له حيي بالنشر .

هنا ما أملاه المقرئ^١ الحجة الشيخ محمد القطب من قراء دمشق المشهورين وقد ظل هذا الكتاب على جلالة قدره نادراً لا ينتفع به الا أفراد قلائل لندرة نسخه المخطوطة حتى قام الاستاذ الشيخ محمد احمد دهمان من قراء دمشق وصححه على اصول معتبرة

وطبعه (في مطبعة التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٥ والجزء الاول منه في ٥٠٤ صفحات)
وقد عني بمعارضته والتعليق عليه وقدم له مقدمة تبين الغرض من نشره وترجم لأؤلفه
الامام المشهور في هذا الفن فشكره كل من يهتمون لعلوم الكتاب العزيز . ولا غرو
فانه من الاسفار التي تتشرف بها الخزان ويتنافس في اقتنائه المتنافسون . جزاء الله
عن هذا العلم الجزيل الفائدة خير جزاء .
م . ك



ارشاد الاربيب الى معرفة الاديب

المعروف بمعجم الادباء او طبقات الادباء لياقوت الرومي . نشره وصححه السيد
(د . م . مرجليوث) الجزء السابع بمطبعة هندية بالموسكي بمصر ١٩٢٥ ص ٣٦٦

أتم رصيفنا الاستاذ مرجليوث ما عثر عليه من هذا الكتاب النفيس في خزائن الكتب
المعروفة في العالم ، فبقي فيه نقص وهو حروف انشاء والذال والذال والراء والزاي
والسين والشين والصاد والصاد والطاء والظاء . وتمت بقية حروف المعجم فانتهي الجزء
الاول والثاني والقسم الاول من الجزء الثالث بالحسن بن ميمون . ونقص من الاجزاء
القسم الثاني من الجزء الثالث . والجزء الرابع برمته . اما الجزء الخامس فكله في حرف
العين وفي السادس تكملة حرف العين وانتهى بمحمد بن الحسن والسابع هذا انتهى
بحرف الياء ، ولعل الزمان يظفر الاستاذ الناصر ببقية الحروف فيكمل بها هذا الكتاب
المتع الذي كشف لنا في الرجال عن طبقة مهمة ليس لها ما يبرها فيما لدينا من كتب
التراجم المطبوعة الا قليلاً . وان فضل الناصر لا يقل كثيراً عن فضل المؤلف فان
من عانى مثل هذه الموضوعات بالنشر في هذا العصر وليس لديه نسخ متعددة مقروءة على
الثقات يعرف مقدار الجهد الذي بذله الاستاذ محيي الكتاب ، فخدم بذلك الادب
العربي كما خدم في القرب الماضي الاستاذ وستيفيلد الجغرافيا والتاريخ بنشره كتاب
معجم البلدان لياقوت ايضاً . ويهذين الكتابين « معجم الادباء » و « معجم البلدان »
وبكتابه « المشترك وضعاً والمفترق صقلاً » عرفنا ايضاً مبلغ المؤلف رحمه الله من العلم
الناضج وما طالع من الكتب وكيف رحل في بلاد الاسلام لعهد اواخر المئة السادسة

الى ثلث المئة السابعة رحلات زادت فوائده كتبه ومادته العلمية . وما نظن الاجادة
تكتب لعالم من علماء العصر اكثر من ذلك على تيسر اسباب التأليف والتنقل اليوم
لذلك ما زال ياقوت الرومي الحموي موضع إعجاب علماء المشرقيات من الغربيين ،
وبفضلهم ظهر فضله لامته ولغيرها ، وبفضل كتبه عرفنا طرفاً صالحاً من مدنية قومنا
واجتماعهم وأصنافهم ومجالاتهم ومراميمهم وأخلاقهم : وقد حوى هذا الجزء الأخير
٢٠٧ تراجم ليست في طولها على مثال ماورد للمشهورين من نوعها في الاجزاء السالفة .
ومن المشاهير التي وردت تراجمهم فيه ابن الاعرابي (محمد بن زياد) وابن السراج
البغدادي (محمد بن السري) والجميعي (محمد بن سلام) وابن زهر (محمد بن عبد الملك)
وغلام ثعلب (محمد بن عبد الواحد) وابن النعادي (محمد بن عبيد الله) والمروزي (محمد
ابن علي) والمرزباني (محمد بن عمران) وابن القوطية (محمد بن عمر) والواقدي (محمد بن
واقد) والحافظ الحميدي (محمد بن فتوح) وابو العيناء (محمد بن القاسم) وابو بكر بن
الانباري (محمد بن القاسم) وابن لنكك (محمد بن محمد) والعماد الكاتب (محمد بن محمد)
والوطواط (محمد بن محمد) وابن شرف القيرواني (محمد بن ابي سعيد) وابن ظفر الصقلي
(محمد بن ابي محمد) ومحب الدين محمود النجار وقطرب وابن القيسراني الحلبي وابن عنين
الدمشقي وابن هاني الاندلسي وابن ولاد وابو عبد الله المرسي الخطيب المصقع والثالي الأزدى
البصري (محمد بن يزيد) وابو القاسم الزمخشري والمعافا بن زكريا النهرواني وابو عبيدة ممر
ابن المثني والمفضل بن ممنة والمفضل الضبي ومكي بن ابي طالب ومنذر بن سعيد البلوطي الخطيب
المصقع ومؤرج بن عمرو البصري والجواليقي والمطرزي ونشوان الحميري ونصر بن عاصم
الليثي وابو عبد الله الشيرازي خطيب شيراز ونصيب بن رباح والنضر بن شميل وواصل بن
عطاء والبحثري ووهب بن منبه وابن سنا الملك والبديع الاسطرلابي (هبة الله بن الحسين)
وامين الدولة بن التليذ وابن الشجري وابن الكلي وهلال الصابي حفيد ابي اسحق والفرزدق
(همام بن غالب) والهيثم بن عدي والشهاب الشاه روردي (يحيى بن حبش) ويحيى بن خالد
ابن برمك ويحيى بن زياد ويحيى بن بتي الاندلسي والخطيب التبريزي (يحيى بن علي) واليزيدي
(يحيى بن المبارك) وابن طباطبا العلوي (يحيى بن محمد) وابن ماري المسيحي وابن السكيت
(بهقه بن اسحق) والسكاكي وابو العجاج الشنمري المعروف بالاعلم النحوي ويونس بن

حبيب الضبي وغيرهم . وقد شفع الناشر كتابه بفهرس لاعلام هذا الجزء واسماء الكتب الواردة فيه . فنهنته بهذه التهمة التي أتحف بها العلم العربي ، ونشكر له مmente وكثرة تحقيقه ، ونستمر الرحمة على جيب المستشرق الانكليزي الذي وقف اهله مبلغاً من المال لإحياء كتب العرب والفرس والترك نطبع منها حتى الآن ٣٩ كتاباً معظمها من الامهات واكثر من ثلاثة أرباعها من كتب العرب . وأنتم واكرم بكل من خدم لغتنا وآدابنا .

محمد كرد علي



مبادي الفلسفة

تأليف (أ . س . رايبورت) ونقله من الانكليزية السيد احمد امين

طبعة ثانية بمطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٩٢٢ ص ٢٢١

هذا الكتاب الصغير الجرم العظيم الخطر فيه خلاصة المنازع الفلسفية على ما يعرفها الغربيون ، واذ قد أغفل المؤلف الاصل التعرض لفلسفة العرب حشي الناقل كتابه بجملة صالحة في الفلسفة عند العرب ونشأتها . وقد تخير في الترجمة كرائم الالفاظ وأجمل الدماير ، والموضوع شاق صعب . فقرب المعاني من الازهان ولم يخرج عن مصطلح العرب في الحكمة ، ووضع بعض الفاظ الاعراب عن الفاظ من مصطلح الفلسفة الحديثة ، وترجم للفلاسفة الذين ورد ذكرهم تراجم موجزة فعرّفهم الى القاري الغربي ، فاستحق المترجم شكر الآداب على هذه العناية وهذا الفضل .

م . ك



مؤتمر الآثار الدولي

« في سورية وفلسطين ١٩٢٦ »

G. Contenau : Le Congrès international d'archéologie de Syrie-Palestine, avril 1926

هذه رسالة ذكر فيها الأستاذ كوتنو أعمال المؤتمر الأثري في الشام خلال شهر نيسان من السنة الفائتة وما قيل في بيروت والقدس من الخطب بما ألقاه الاعضاء

او رئيس الوفد الفرنسي الاستاذ دوسو وما لقيه اعضاء المؤتمر من حفاوة الحكومتين
التنشدتين في سورية وفلسطين ومن بعض أعيانها . وكذلك ما شاهدوه من العناية في
المدن الاثرية التي زاروها مثل تدمر وبعبك وجرش وعمان ووادي موسى واريحا
وحصن الاكراد وحبرون والناصرية وطبرية وسبسطية محلى ذلك بصور الاماكن التي
تجري المنريات فيها مثل جبيل وتدمر والسامرة وكفرناحوم وجرش وغيرها ، وفيه
ثناء على مديري الآثار في المفوضية العليا في بيروت المسيو فيرولو ومدير الآثار في
فلسطين والشرق العربي لما يبذلانه من الاهتمام بالعاديات وإخراجها . وقد جاء في هذا
الكتاب ان مندوب الجزائر دعا المؤتمرين لما تقوض مجلسهم الاخير الى عقد اجتماعهم
القادم في سنة ١٩٣٠ في مدينة الجزائر وهي السنة التي يتم بها قرن كامل لافتتاح
فرنسا مدينة الجزائر . وقال ان تدمر الآن على خمس ساعات في السيارة من حصص
وان بلاد الشام اذا صرفت العناية بفنادقها تصبح مقصد السياح من اهل الارض الخ .
م . ك

— — — — —

جامع التصانيف الجديدة

لجامعه ومرتبته السيد يوسف اليان مركيس الدمشقي طبع بالمطبعة العربية
بمصر لصاحبها السيد خير الدين الزركلي ١٣٤٥ - ١٩٢٧ ص ١٦٣
هذا كتاب في الاسفار والرسائل التي نشرت باللغة العربية في ست سنين في
الغرب والشرق رتبها الاديب جامعها بحسب الفنون فكانت ١٢٠٧ كنب يخرج منها
ما لا بال له من الروايات . وقد اعتمد المؤلف في ذكر بعض هذه الكتب على ما قرأه
عنها في المجلات واعلمه في الطبعة القادمة يدقق في الكتب التي وضعها في فن وهي
ليست منه ويبحث عما فات من المطبوعات ومنها المفيد جداً . وأجل ما في هذا الكتاب
فهرس أسماء جميع المصنفين على حروف المعجم يسهل معه الاهتداء الى مصنفاتهم على
أيسر وجه . وهذه فكرة جديدة جميلة فيها دعوة الى التعريف بالكتب المطبوعة
واقصاف في وقت الباحثين في المؤلفات والمؤلفين فنشكر ابا عذرها ونأمل ان تكون
طبعته من قابل أنفع وأتم .
م . ك

عقلاء المجانين

للعامة ابي القاسم الحسن النيسابوري نشره وعلق حواشيه السيد وجيه فارس
الكيلاني بدمشق والكتاب في ١٦١ صفحة

لم يكذب بنشر كتاب (الحق والمنفلين) في أيدي الناس حتى تذكر فضلاء دمشق
الكتاب الآخر المسمى (عقلاء المجانين) للنيسابوري اذ ان الكتابين وضعاً على غرار
واحد وهما لمؤلفين واعظين كبيرين : ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ والنيسابوري
المتوفى سنة ٤٠٦ هـ . وكان الفاضل السيد وجيه فارس الكيلاني شرع منذ حين بنشر
كتاب (عقلاء المجانين) لكنه لم يوفق الى إنجاز طبعه الا في هذه الآونة فطبعه
طبعاً حسناً وعلق عليه بعض الحواشي . والغرض من وضع الكتاب الاول أعني
(الحق والمنفلين) الذي ألفه ابن الجوزي هو ان تلغظ بمواقفهم فلا تمخروا حذوها
ولا تنسروا في مثام كما ان الغرض من الثاني (عقلاء المجانين) هو ان تشظ بحكمة المجانين
التي تصدر عنهم أحياناً بما قد يندر صدور مثله من العقلاء : فان مما عتينا كلمات الحكمة
من المجانين له هزة في النفس وارتياح يحمل على الانتفاع بما قالوه ووعظوا به . وهذا
كأن تأثير المواقظ والأمثال التي يقال على السنة الطيور والحيوانات . فما جاء في كتاب
(عقلاء المجانين) ما روي عن بعضهم انه قال المجنون لم أر مجنوناً أعقل منك قال : الجنون
ما انت فيه : تأكل رزق الله وتطعم عدوه (يعني ابليس) . وقال الحسن بن علي بن
جعفر الخياط بالكوفة سمعت ابي يقول : رأيت مجنوناً في سوق دمشق وهو يقول :

(يا غافلاً مقبلاً على امله وجاهلاً والقصور في عمله)

(كم نظيرة لامريء يسر بها لعلها منه منتهى أجله)

وانفق الكاتب هذه السطور امس انني صادفت في سوق دمشق رجلاً من ابناء اعيان
الشام . وعهدي به انه يجن ويقتي - فلم علي وسلمت عليه وسألته عن حاله وقلت له :
اني لم أرك من مدة فأين كنت ؟ قال : في مكة ! وكشف جيبه فاذا تحت إبطه رسائل
ظننتها دلائل الخيرات او نحوها . وقال : انه كان يشتغل بامثال هذا في مكة . مشيراً الى
الكتاب ثم فارقت وسألت بعض من يعرفه عن أمره فصحك وقال : ان الرجل كان في

البيهارستان طول هذه المدة . فقضيت عجباً من هذا وقت : ان هذه النكتة ينبغي ان تسطر في كتاب (عقلاء المجانين) . اذ ربما كان مراده من وجوده في مكة ان الإقامة في البيهارستان تطهر المجانين من لوث الجنون . كما ان مكة المكرمة نظير المذنبين من من لوث الذنوب . وبالجملة فان كتاب (عقلاء المجانين) مما يحسن بكل عاقل ان يقرأه ويشكر لمن طبعه ونشره .
المعربي

— ٥٤٩٥٦٦ —

عدة الاديب

وضعه وشرح ألفاظه اللغوية السيدان سليم الجندي ومحمد الداودي جزآن
طبع الاول في مطبعة الترقى بدمشق ١٩٢٦ ص ٨٤ والثاني ايضاً في مطبعة
الترقى في ٨٨ ص سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٦

هذا كتاب في مبادئ الادب اختار لما الاستاذان واضعا هذا السفر جملة صالحة مما تخيراه من الكلام المنظوم والمنثور او تخيره العلماء الذين شيدوا بنيان الادب مما حاكنه فرائح الشعراء والخطباء والحكماء واصحاب المقامات والمقالات على اختلاف موضوعاتها وقد شرحاه شرحاً مستوفياً يقرب منهاولها من اذهان الطالبين الذين يرغبون في ان يشدوا شيئاً من أدب العرب وجمالها الحظ الاوفر للشعر القديم ، فدل على حسن ذوق في الاختيار ومعرفة يحمل العقول على تدبير كلام البلقاء وعسى ان يوفق الاستاذان المحققان الى انجاز هذه السلسلة التي نفتي طلاب الادب عن المطولات وتندرج بهم في مراقي الكلام .
م . ك

— ٥٥٥٦ —

كتاب الاخلاق

تأليف أستاذ علم الأخلاق بمدرسة القضاء الشرعي سابقاً ، والقاضي بالمحاكم الشرعية في مصر ، السيد احمد امين ، طبعته دار الكتب المصرية على ثقة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة طبعة ثالثة أكل من سابقتها وأوسع وقعت في ثلاثمائة صفحة ونيف ، فيه كفاية لمن اقتصر عليه وإعداد لطلاب التبحر في علوم الأخلاق

والنفس والاجتماع ، قد أحسن مؤلفه في اختيار أهم المباحث الأخلاقية وانتقى له أفضل الشواهد ، أخذاً من زهاء ثلاثين كتاباً من الكتب الإسلامية واليونانية والانكليزية ، بعبارة فصحة وصحيفة وطبع متن ، الا هنات لا خطر لها .

هذا الكتاب وأمثاله من المؤلفات الحديثة في الأخلاق ، مما يجب ان لا تكون قراءته مقنصرة على تلامذة المدارس ، بل يجدر بكل قارئ ان يقرأها بامعان ، فان فيها إرشاداً للحاسن الأخلاق التي عليها مدار السعادة في الدنيا والآخرة ، فلهذا ولجنة النشرة الشكر على هذه الطرفة النفيسة .

من اعضاء المجمع العلمي

مسعود الكواكبي

— ❦ —

الكشاف

هي مجلة بديمة صدرت في بيروت جاءنا العدد الاول منها وقد جعلت شعارها العمل على خدمة الإصلاح الاجتماعي عن طريق التربية والتهديب . وحتوت هذه الصحيفة مقالات جميلة منقحة للاساتذة ، صاحبها الرئيس الاستاذ السيد محيي الدين النصولي ومقالة لشيخ الكشافة ومؤسسها السرور بروت بادن بادل وثالثة للاستاذ السيد عبد الباسط فتح الله ورابعة في تأليف الكشافة وخامسة في الفلك اسمها نظرة الى السماء للاستاذ منصور جرداق وسادسة في حياة بيروت وتحولاتها للاستاذ السيد عبد القادر القباني وخطب للاساتذة السادة عمر فاخوري وعبد الله اليافي ومصطفى فروخ في التصوير وما اليه الى غير ذلك من الفوائد والاخبار العلمية التي تهتم الكشافة وغيرهم وقد زينت بعض صفحاتها بصور جميلة . فنحث الادباء على اقتناء هذه المجلة ومناصرتها خدمة للآداب .

م . ك

— ❦ —

الآثار

هي مجلة عامة كان أصدرها في مدينة زحلة العلامة السيد عيسى اسكندر المعلوف احد اعضاء المجمع العلمي ثلاث سنين قبل الحرب ، فكانت من عوامل النهضة السورية

ودعامة من دعائم البحث . وما قد عاد الآن الى نشرها في تلك المدينة فسررنا بعودتها الى خدمتها النافعة للآداب . وليس صديقنا منشيء هذه المجلة والذي يحتاج الى تعريف . فان قراءنا يعرفونه حق المعرفة وعلماء الامة يقدرون جهاده في التاريخ والادب والأبحاث العلمية التي عاجلها فيما كتب ونشر ، ولذلك كانت عودة مجلته الى الصدور مما تبتهج له القلوب وتلج له الصدور .

م . ك

—————

كتب ورسائل مختلفة

- (١) المختصر في ترغيب وترهيب حديث سيد البشر صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الغرر للاستاذ الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي (ص ٦٣) من القطع الكبير . ومعه اللطائف البهية في شرح الاربعين الحديث السيلقية (ص ٤٤) . والبدر المازيل للحزن في فضائل اليمن ومحاسن صنعاء ذات المتن (ص ٣٢) تطلب في مصر من المطبعة السلفية ومكتبتها .
- (٢) تفسير سورة الفاتحة وحل مشكلاتها القرآنية للاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري طبع بمطبعة السيد مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر (ص ٦٤) .
- (٣) فهرست مكتبة السيد مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر عن سنة ١٣٤٥ (١٩٢٧)
- (٤) رواية رفائيل خزاعي في آداب المعاشرة بقلم المطران جرمانوس معقد بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ص ١٠٨
- (٥) دقائق تاريخية للكرمي الملكي الانطاكي — البطريرك مكسيموس الثالث مظلوم سنوه الاخير (١٨٤٨ — ١٨٥٥) بقلم ابن اخيه الشماس توما مظلوم بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ص ١١٠
- (٦) النفس الحائرة رواية اجتماعية خلقية غرامية بقلم الاستاذ فريد حبش عني بنشرها الاستاذ السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بمصر .
- (٧) بول دي سوبن الفاجرة . ترجمها الاستاذ نوفيقي عبد الله نشرها السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بمصر .

مجمع اللغة العربية

(دمشق) : حزيران سنة ١٩٢٧ م الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٥ هـ

محاضرة

في الكرم وتأثيره في عالم الاجتماع

أيها السادة : لقد أسمعكم هذا المنبر منذ عامين محاضرات جمّة . وخطباً عديدة في الأدب واللغة وأنواع شتى من العلوم والفنون . فلاق لي الآث ان اتقل بكم في محاضرتي هذه الى موضوع أخلاقي عمراني . هو منزلة من مزاياكم . ومكرمة من مكارم أسلافكم . له عظيم تأثير في حالة الاجتماع الانساني شرقاً وغرباً . بدواً وحضراً . الا وهو الكرم . وفي بقيتي انكم تجدون فيه لذة وفكاهة . وارتياحاً وعبرة . فأقول :

(الأغنياء يعظمون لانهم أقوى على الإمداد والإحسان)

(فاذا تباهل ذو غنى أضحي الله - فبر أجل نفعا منه للعراف)

(فعلام يكرم منعم ذو ثروة لم يُجد خيراً عالم الاناس)

(والام يزرى بائس ذو حرفة يشقى لينعم ذو التقى المتواني)

(سيحان ربي كم نرى في ذا الوري حيفاً وظلماً واضح البرهان)

الكرم ، والجود ، والسخاء ، والحباء ، والسماحة ، والعرف ، والمعرفة ، والرفان ، والنوال ، والنائل ، والرفد ، والإحسان ، والبذل ، والجأدي ، والندى ، والنخ ،

(١) للاستاذ الشاعر الناصر سليم بك عنخوري احد اعضاء المجمع تليت في ردهة

المجمع العلمي العربي في ٢ ايلول سنة ١٩٢٣ .

والشفح ، والسبب ، والنفل ، والهبة ، والصلة ، والهدية . كلمات مترادفة تدل مع بعض النوارق على معنى واحد . يراد به العطاء نبلاً وأريحية . او عطفاً وشفقة . او إغاثةً ومعونة بلا مقابل مادي . او موجب ديني او قضائي .

فالكرم إذن يقتضي هذا التحديد والتعريف لا يكون أداء الدين او سابق حق . ولا وفاة لركاة او نذر . ولا جزاء لمقربة . او ضمناً لغرامة . او صلحاً عن خصومة . او قياماً بما يلزم المرء عياله من الإنفاق والاقرين . فان هذه المميزات وأشباهها انما هي من قبل ايفاء الحقوق وبراء الذمم والنهوض بالفروض والواجب فلا تحسب من الكرم في شيء كما تعلمون . والكرم نوعان اما خاص واما عام . فالخاص ما شمل شخصاً او أسرة او جماعة في حال من الاحوال . فيكون تقديراً موقتاً ومختصراً بالحسن اليهم دون سواهم . والعام ما يوزن في سبيل خيرٍ او علمي . بحيث ينفع قومًا بجماعتهم او أمة بأسرها أمداً مديداً . وكلاهما مفيد ولازم للجامعة الانسانية . وان كان الثاني أنفع وأبقى وأعم وأتم . ولا فرق من حيث النتيجة بين ان يكون العطاء عفواً قبل الطلب . او تلبيةً للسائل بعد الطلب . وان كانت الاول منها أرفع دلالة . وانصح برهاناً على علو كعب الكرم الجواد واتساع مروءته . ونزاهة غايته .

قال الحسن رضي الله عنه : المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة . فمن تمطيه بعد المسألة انما يأخذ بما بذل لك من ماء وجهه .

وكان قد دخل على أسامة بن زيد وهو يجود بنفسه فرآه يتأوه لدين عليه : منين الف درهم لا يجد له قضاء فحملها عنه قبل السؤال ومضى .

والى فضل هذا النوع من العطاء أشار يزيد بن محمد المهلب مادحاً الوزير سليمان بن وهب :

(وكم ملحف قد نال ما رام منكم ويمنعنا من مثل ذلك التجمل)

(وعودتمونا قبل ان نسأل الغني ولا بذل المعروف والوجه يُبذل)

وشمر العطاء ما جاء بعد وعدٍ ومطل . وتسوية وتأجيل . ولذلك قيل :

« خير البر عاجله » .

منح بشار بن برد احد الامراء فوعده بجائزة ثم مطله زماناً ، ثم حجبه فاعترضه يوماً في الطريق بعد ان شتمت نفسه وقبض على شكجة فرسه وأنشد :

(أظلت علينا منك يوماً صحابة أضاعت لنا برقاً وأبطار شاشها)
(فلا غيمها يصحو فيأْسُ طامعٌ ولا غيثها يهيج فتروى عطاشها)
تفجّل الأمير وبذل له رصلته .

وقد تعجبون يا سادتي لكثرة الكلمات الدالة على معنى الكرم : ولكن هذا التعجب يزول متى عرفتيم ان العرب من شأنهم اذا أحبوا شيئاً ، او خافوا شيئاً ، ارتفـاخـروا ولتافسوا في شيء اكثروا له من اسماء الذات والصفات حتى لقد يتجاوزون في بعضها المئات : كالإبل والأسد والحيل والحبة ، والسيف والرمح والمرأة ، والخمرة ، وغيرها وغيرها . تلك مزية افردت بها هذه اللغة الشريفة فلا يضارعها بها غيرها من سائر اللغات . والكرم كما تعلمون من مميزات هذه الامة . وأسمي مفاخرها . وبه اشتهرت في كل دور من أدوارها — اي حال جاهليتها واسلامها . وفي أطوار بداوتها وحضارتها . وفي عهد تقدمها وتأخرها — فلا عجب اذا تكاثرت فيها اسماءه وتعددت صفاته . وهو في عرف اهلها سجية من سجايا النفس يهتزلها الجواد اهتزاز المتهجد في كف الشجاع . فتفيض يده بما تفيض إحساناً على من يربد ، فيضاً تنبسط له روح المحسن كما تُسرُّ به نفس المحسن اليه . على حد قول القائل :

(تنوّد بسط الكف حتى لو انه اراد أنقباضاً لم تطمه أنامله)
(يفيض سروراً كلما فاض سيّبه كأنك معطيه الذي انت قائمه)
(فلم لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتقى الله سائله)

وهذه السجية موهبة من مواهب الله عز وجل يخصص بها من طاب عنه مره . وسمت أعراقه من عباده . فلا تأتي تكلفاً ولا تطبعاً : فان البخيل اذا نظاهر الجواد حيناً من الدهر لغرض في النفس . او حياء من الناس او تطال المنزلة الاجراد لا يبطي ان يعود الى سالف حاله . وسابق رخصته . ولقد صدق من قال :

(كل امرئ راجع يوماً شيمته وان تخلف اخلاقاً الى حين)

وكنتي بالكرم شرفاً انه من صفات الجمال المطلق والكمال الآلهي والله فيه من الاسماء الحسنى . الكريم . والاكرم . والجواد . والمُعطي . والمحسن . والواهب . والرهاب . والرازق . والرزاق . وما بعد ذلك من حاجة لمستزيد .

والعرب في الكرم كما قلنا البراز المنة لم . والحظ الأوفر . والذكر الشائع . وان
أما نشأ فيه امثال (كعب بن مامة) الاويادي الذي آثر رفيقه على نفسه بنصيبه من
الماء وهو يموت من الظما . واضراب (حاتم الطائي) الذي ذبح ايام المجاعة فرسه ليطعم
ضيوفه واهل حيه ، وهو جائع لا ياتي لنفسه قوتاً . واشباه (هريم بن سنان) المرّي
الذي كان يحمل الديات عن ذوي الثارات ليصلح بين القبائل حجياً للدماء ، وإزالة
للشعنا . وأنداد (صعصعة بن ناجية) الدارمي التميمي جد الفرزدق الشاعر المشهور
بحبي الوئيدات اي البنات اللواتي اعتاد العرب في جاهليتهم ان يدفننهن حيات ليامنوا
شر إملأهن في المجاعات وعار سبيهن في الغارات : فان (صعصعة) هذا كان يفتديهن
من آبائهن بالمال استحياء لمن حتى جاءهم الاسلام فحرم فيما حرم الوأد . ومنعه بعد اذ
كان (صعصعة) استنهي اربعمائة فتاة وفي ذلك يقول حفيده الفرزدق :

(وجدتي الذي منع الوائدات واحبي الوئيدة فلم يوأد)

أجل ان أمة نبغ فيها امثال هؤلاء الاجواد في الجاهلية . ومثبات بل الوف
غيرهم في الاسلام ممن تضرب بمجودم الأمثال . ونفيض بذكر آثارهم الاندية
والاودية — لجديرة بالقول انها المحلية في مضمار البذل والعرفان بين أم الأكوان .
منذ خلق شيطان حتى هذا الزمان .

ولم يقتصر الكرم العربي على الرجال فقط فقد نبغ في نسايتهم من حاكيتهم فيه : فنة
بنت حاتم كانت كأبيها تقرى الضيوف وتهب الالوف وتكسو الفقراء الشفوف . ولانبالي .
وأما البنين بنت عبد العزيز الأموية تعنى في كل يوم رقبة وتحمل عتيقها على
فرس وتقول « لو كان الخيل فيها ما لبسته . ولو كان طريقاً ما سلكته » .

وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : ارسل اليها عبدالله بن الزبير مئة وثمانين الف
درهم فقسمتها بين الناس فنامست وعندها منها درهم واحد . ولقد روي عنها ايضاً انها
احسنت بسبعين الف درهم في يوم واحد وهي في درع مرقع لا ثوب لها سواه .
وسكينة بنت الحسين رضي الله عنها كان يحتم اليها مجيدو الثمراء كالفرزدق
وجريو وجميل وكثير ونصيب فتسمع ما يقولون وتحكم بينهم ثم تحسن اليهم حتى انها اعطت
جميلاً العذري في يوم واحد كسوة وطيباً وخمسمائة دينار ولكل من رصفائه مئة مئة .

وزبيدة ابنة جعفر زوج الرشيد : لقينها نصيب (الصغير مولى المهدي) في طريق الحج فترجل وأنشد ابناً منها :

(سيستبشر البيت الحرام وزمزم بأُم ولي العمد زين المواسم)

(ويعلم من وافي المحصب أنها ستحمل ثقل الغرم عن كل غارم)

فجادت عليه بعشرة آلاف درهم وفرس .

والعباسة بنت المهدي مدحتها حنانه بنت نصيب هذا باربعة ابيات آخرها :

(عليك ابنة المهدي عوزي بياها فان محل الخير في حيث حلّت)

فأمرت لها بثلاثة آلاف درهم وكسوة وطيب .

وأُم سلمة زوج السفاح سمعت كلاماً مستحسنًا قاله خالد بن صفوان لزوجها فأمرت

له بخميس بدر وخميس حل .

وفيها ذكر غني عما لم يذكر من أمثال هذه النوادر الدالة على جود ربات العجبال

فان المقام مقام الماعز وإيجاز لا مقام تفصيل وإسهاب .

ولم ينس الكرم بأمله الى هذا الشار ، ويرتفع بصاحبه الى الأوج الاسمي من المجد

والسؤدد الا لانه المرآة الصافية التي تنجلي من شعاعها عاطفة الانسان نحو اخيه

الانسان . ومبلغ ما تكنه الاقنعة النقية من شواعر الرقة والرأفة والحنان . فهو كما

لا يتجهلون ابن الرحمة وأثرها الظاهر للعيان : فان الأريحية لا تنبعث في النفوس

فنفيس على الأكف فتتهلل لها الوجوه بحيث تكشف ضياءاً ، وترحزح بلاءاً ، وتدفع

مصيبة . الا اذا مست الرحمة قلوب أصحابها ، وتسربت الشفقة الى صميم شغافها .

فتحدو بها الى إغاثة ذي الحنة بالمال الذي يسمونه سيد الارض ، وعديل الروح ،

وقاضي الحاجات — وما إطلاقه من الأيدي بالمين السهل — لولا ذلك الشعور

الفاعل بالأعصاب الحساسة فعل الكهرباء الا وهو الرحمة الباعثة على الكارم .

ولقد جاء في الحديث النبوي الكريم « ارحموا من في الارض يرحمكم من في

السماء » فالمراد من الرحمة هنا ليس التوجع والتفجع لمصائب الناس فحسب ، بل يراد بها

مع ذلك ظهور آثارها بالمعونة والإغاثة والإمداد مالاً وجاهاً وعملاً على قدر الوسع

والطاقة بلا من ولا إذاعة ولا استعلاء . لان الرحمة غير المقرونة بالإحسان والإسعاف

لا نفع لها ولا جدوى مادامت مقصورةً على التأوه والتألم فقط ولا تُعدها إلى الإغاثة والمعارنة التي هي أس العمران ودعامة الحياة وركن الاجتماع .

يظن بعض الناس أن التعاون إنما يراد به أن يكون أحداً مثلاً نسيجاً والآخر حراثاً ، والآخر نجاراً . فيتبادل كل منا حاجته من الآخرين بالشراء بحيث تستغني الأفراد عن تعدد الأعمال التي تقتضيها الحياة . وهو ما يقال له (توزيع الأعمال) وتبادل المنافع . وعليه تجري جميع أمم الأرض . وبه تقوم الحضارة . ويصلح شأن الجماعات في كل عصر ومصر .

أجل أن ما وصفناه هنا إنما هو ضرب من ضروب التعاون الذي هو نتيجة ضرورية وطبيعية لحياة المجموع . وليس هو التعاون كله : فإن له ضروراً أخرى أهمها ما كان صادراً عن عاطفة الرحمة : فأن الحياة الدنيا كثيرة المعثر والصدمات والجوائح والأمراض . فإذا لم يكن كل فرد عوناً لصاحبه أو لن حوله من بني نوعه حال عثائه ومحبته سقط المجموع لتخاذل الأفراد وآل امرء إلى النعس والشقاء المؤديين إلى الضعف والبوار والانقراض وهيئات يتوفر لأمة حفظ أو يستقيم لها شأن إلا بهذا الضرب من التعاون المجاني الطوعي الذي نسميه هنا كرمًا وإحساناً وعاطفة ورحمة بل بمقدار ما يزداد عدادُ الرحماء الكرماء المحسنين في قوم زادت حياتهم بسطةً ومنعةً ومعشتهم راحةً ودعةً . وظهر في أفرادهم ومجموعهم من آثار القوة والنعمة ما ينيلهم الفبطة والسعادة والنعيم والهناء والعكس بالعكس . ولكن قل من يتفكرون .

لقد مرَّ بكم بإساذني عن الكرم واسمائه ومعانيه وحدوده ومنزته وأنواعه وتأثيره في المجتمع الإنساني ما يحتمله المقام . ولقد رأيت قبل أن أعالج تقسيمه إلى أقسام تتميز فيها منافعه من مضاره أن أروي لكم لمّا من مكارم الأجواد من السلف مما فيه فكاكة وعبرة وذكرى .

فمن هؤلاء (حاتم الطائي) الذي مرَّ بكم ذكره وهو أشهر أجواد العرب ذكراً وأبعدهم صيناً . وإليه ينسب الكرم في الجاهلية . فيقال (كرمٌ حاتمِيٌّ) كما ينسب في الإسلام إلى البرامكة وزرراء الرشيد فيقال (كرم برمكي) .

وكان حاتم هذا مع جوده شاعراً مطبوعاً وبطلاً مغواراً وغازياً مظفراً إذا قاتل

غَابَ ، واذا غَنِمَ أَنهَبَ ، واذا سُلَّ وَهَبَ ، واذا ضَرَبَ بالقَدَاحِ فَازَ ، واذا سَابَقَ سَبَقَ ، واذا أَسَرَ أَطْلَقَ .

وبما تفوق به على أقرانه حتى كان سبباً لشهرته وإذاعة صيته أنه كان يرسل عبده في ليالي الشتاء الباردة المظلمة فيضرمون النار على رؤوس التجار ، وفي مفارق الطرق ، ليمتدبى بها أبناء السبيل ، فيقصدونه للقرى والمبىث . فاذا جلبت النار ولو ضيفاً واحداً عتق موقدها من الرق سروراً بضيفه . وفي ذلك يقول مخاطباً عبده :

(اوقد فان الليل ليل قرء عسى يرى نارك من يمر)

(ان جلبت ضيفاً فانت حر)

وكان اذا أهل الكثر الاصم الذي تعظمه العرب في الجاهلية فخر كل يوم عشراً من الابل . فيطعم الناس . فلما زاد إنلانه للمال وهو لا يزال في حجر اوليائه ارسله ابوه وقيل جده الى المراعي ليعمده عن الناس . فمر به هنالك ثلاثة من الشعراء وهم عبيد بن الابرص و بشر بن ابي حازم وثابتة بن زيان . ففرق بينهم مالا أهله من الابل وقفل الى الحبي مسروراً كمن عاد من ظفر او غنيمة . ولما سأله جده سعد عن الابل قال له « طوّقتك بها طوق الحمامة مجدداً وكرماً » فقال مفتظاً (شهد الله انني لا أساكنتك بعد اليوم ابداً) ثم ترك له جارية وفرساً ذات فلي ورحل عنه . وفي ذلك يقول حاتم من ابيات :

(وما خسرني ان سار سعد باهله واقرني بالدار ليس معي اهلي)

(سيكني ابتناء المجد سعد بن حشرج واحمل عنكم كل ما ضاع من ثقلي)

فما عثم ان جاءه جماعة من بني أسد وقيس . وقالوا له : ان لنا صاحباً فقد راحلته فقال حاتم خذوا فرسي هذه واحملوه عليها . فلما اخذوها تبعها المهر فخرت الجارية وراءه لتمسكه ونعيده فصاح حاتم بالقوم « ماتبعكم فهو اكم » فذهبوا بالجميع اي بالفرس والمهر والجارية . وبقي وحده لا يملك شيئاً .

ومر في احد الاشهر الحرم بقوم من بني عنزة واذا يأسير لهم يدعوه باسمه ويقول له : انقذني فقد اكنتي الايسار . فقال له : ويحك ما انصفتني فقد نوت بي واستجديتني وانا هنا غريب ولا مال لي . ثم سارم القوم واقتداء منهم على مال معلوم . وقال لهم :

خأوا سبيله . وانا أقيم مكانه في قيده حتى أعطي الفداء ففعلوا وما يرح اسير القوم
يقامي الذل والامتهان حتى تيسر له الوفاء .

وقيل نزل عليه ضيف ولم يكن عنده شيء ففخر ناقة الضيف وأطعمه منها . ثم قال
له . قد فخرت نانتك فاحتكم قال (راحلتين) قال حاتم لك عشرون أرضيت قال نعم
قال فلك اربعون . ثم قال لمن لديه من قومه من اتاني بناقة الآن فله ناقتان بعد
الغارة فانوه باربعين فدفعها للضيف . وأداهما لم ثمانين .

وكان قيس بن عاصم المنقربي من سادات العرب وأجوادهم قنزل به ذات يوم
ضيف فأطعمه وأكرمه جرياً على عادته . واذا بقومه بتصارخوت ونسائه يبكين .
فسأل ما الخبر ؟ فقالوا له ان ابنه قُتل . وان القاتل هو الضيف . فقال ما لكم اليه من
سبيل . فقد دخل في ذممي وشرم بطعامي . ثم عزل من ماله دبة القنيل ودفعها
الى أمه . وما زال يرعى ضيفه ويتحارسه حتى بلغ حماء .

وكان قيس هذا اذا قدموا له طعاماً يقول التمسوا اكبلاً ابي ضيفاً يأكل معي
فلم يأكل سمة وحده .

وسرّ انسافس العرب بابواء الضيف وإطعامه كائناً من كان انما هو كونهم اهل
مضارب وخيام واصحاب ابل وشاء . يدفعهم الاحتفاظ بها . والقيام على تربيتها وانما اشيا
الى انتجاع منابت الكلاء وارتياح مناهل الماء فهم ابدأ مشقة لون من صرتع الى صريع .
ومن سهل الى واد . لا يستقر بهم مكان . ولا يقوم لهم بنيان . فلا يجد المسافرون
منهم في طول تلك البوادي وعرضها نزلاً او خاناً او دسكرة للمبيت او الطعام كما
يوجد في المدن والمواضع على النحو المعروف منا الآن . فيلجأون بحكم الضرورة الى
استضافة بعضهم بعضاً التماساً للراحة والنوم والقوت . وتخلصاً من وحشة الانفراد في
حنادس الليل . ووقايةً لنفوسهم مما قد يفاجئها في تلك الفلوات الخالية من عدو
غادر ، او اسد كامر ، او وحش جائع نافر .

فمن كان من سادتهم واشرافهم كريم النفس ، واسع النعمة ، طلاباً للشهرة رفع عماد
مراذقه ، وتوسط به الحي تميزاً له عن سواء ليقصده المسافرون فيبذل طعامه للصادرين
والواردين والرائحين والغادين ، ولو كابد في ذلك عرق القربة ومنهى المشقة .

ولقد شاعت هذه المكرمة فيهم . وتمكنت من خاصتهم وعامتهم . حتى عُدَّ
لا ضرباب عنها والزهد فيها عاراً وسبباً تشتم فيها الابناء عن الآباء . وتقدم الاحفاد
عن الأجداد . ولقد بطرق الضيف ارملة عجوزاً وحيدة لا مال لها الا شاة او عنز
نقتات بدرها وتكتسي بصوفها او شعرها فتذبحها اكراماً لضيفها وهي طلقه الوجه ببذولة
الأنس ثم تبقى الى ما شاء الله أليفة الفقر حليفة البؤس فيحسب عملها هذا مأثرة لها
يتحدث بها فتيانهم . ويتناقلها ركبانهم الى امد مديد .

ولا يزال ذلك شأن البدو وبعض اهل المدر حتى يومنا هذا : فكم وكم في بلادنا
هذه من شيوخ عشيرة او قرية لا تطفأ ابدانهم ولا تنزل قدورهم يبسطون بكل يوم
عشرات من الاسمطة للذايعين والآيين ويذلون الملف والماء لخيول المقيمين والراجلين
لا يلتمسون عن ذلك بدلاً ولا يتغفون اجراً . الا طيب الاحدوثة ونباعة الذكر . وغاية
ما يبط الوناليه من دواعي الفخر ان ينزل بهم ضيف خطير فيغرون له كبشاً . ويطبخون ارزاً .
ويجمعون اهل الحي او القرية على جفانهم فيأكلون هنيئاً مريئاً . وينقلبون حامدين شاكرين .
واذا استقرأنا يأسادة ماسرّبكم من اخبار الكرم الجاهلي نجده منحصر في اربعة انواع :
وهي بذل الدبات عن مخاريب القبائل والمشار كما كان يفعل هرم بن سنان ، واستحياء
المؤثرات من البنات بافتدائهن من آباءهن بالمال كلما ثور عن صمصمة بن ناجية جد
الفرزدق . واقتداء الاسرى بالمال او بالنفس كما فعل حاتم باسير بني عذرة . وقرى
الضيوف وايراء ابناء السبيل كما هو شائع عند الجميع .

وهذه الأنواع الاربعة منبئة بالضرورة عن الحاجة فهي والحالة هذه مثلاًمة مع
عادات ومعايش الوسط الناشئة فيه . موافقة كل الموافقة لاقوام رحالين ذوي غزوات
لا ينقطع ، وأسفار لا تهدأ ، وعداوات لا تزول . وفي ذلك برهان على ان اولئك
البدو أقدر من كثيرين منا على ائزال مخائهم مواضعه . بخلاف ما فعل حاتم من توزيع
مال جده برمته بين ثلاثة من الشعراء سرفاً وتبذيراً . واعطائه ضيفه بدل الناقة التي
فخرها لا يطعمه اربعين ثم أداء الاربعين الى قومه ثمانين بينما هو فقير وقير لا يملك من
حطام الدنيا الا ما يؤمل اغتنامه من سلب ونهب عن طريق الغزو والحرب . فان سبى
ذلك من سفه الرأي ما لا يصدر عن عاقل مفكر بصير .

يُبد أن ظهور الاسلام وانصواء متفرقي القبائل وشذاذ القوم كافة تحت لوائه
بعد أن كادت تطحنهم الأحقاد والضغائن . وتأكلهم الحروب والغارات . ثم دخولهم
عن طريق الجهاد والفتح في بلاد الفرس والروم وما وراءهما من شواسع البلاد وأطراف
الممالك وانتقال الخلافة من الحجاز إلى الشام على العهد الأموي ثم إلى العراق على
العهد العباسي . كل ذلك قد وسَّع نطاق الكرم العربي وحوَّله إلى جهات أخر .
ففتن فيه أجواد ذلك العصر الذهبي نفناً ينطبق على حضارتهم المكتسبة وثروتهم المغنَّمة .
وترقيهم الناشئة حتى صار أميركم بن زائدة الشيباني — وهو من صنائع المنصور ورجاله —
يركب في قسيته نصالاً من الذهب فيرمي بها العدو والصيد وفي ذلك يقول الشاعر :

(يركب في القسي نصال تبري و يرمي للعدى كرمًا وجودا)

(فالأمرى شفاء من جراح وأ كفان بان سكن اللخودا)

ومع هذا رجل عصامي . نشأ في بني شيبان وكان أدلّ بيدٍ على الخليفة المنصور
بان أنقذه من تهلكة فرفع شأنه . وأسنى مقامه . حتى صار أميراً مدحاً يشار إليه بالبنان .
وقد اشتهر بالحلم كما اشتهر بالكرم حتى قيل أنه لم يغضب . ولم يفتظ قط .

ولما شاع عنه هذا الخلق وتداولته الألسن تراءى أحد شعراء الأعراب مع قوم
على مئة بعير يُعطاهما إذا استطاع إخراجهم وإخراجهم عن حبله ويعطيهم مثلاً إذا أخفق .
فجاء يوماً وهو على سريره بين أشرف قومه وخاصة أهله . وابشدره بلا تحية ولا
سلام بقوله :

(أتذكر إذا لحافك جلد شاة واذ نملاك من جلد البعير)

فبُهِت الحضور من نخة الرجل وسوء أدبه وتعده الخط من كرامة الأمير .
أما معن فبقي محافظاً على سكينة وأجابه بلا حدة ولا استياء قائلاً : نعم اذكر ذلك
ولا انساه . فقال الشاعر :

(فسبحان الذي أعطاك ملكاً وطأحك الجلوس على السرير)

فقال معن : سبحانه على كل حال . فقال الشاعر :

(أمير يا كل الفالوذ سرّاً ويطعم خيفة خبز الشمير)

فقال معن : الزاد زادنا . نأكل منه ما نشاء . ونطعم ما نشاء . فقال الشاعر :

(فلست مسلماً ان عشت دهرأ على معن بتسليم الامير)
 فقال معن : السلام سنة تأتي بها كيف شئت . فقال الشاعر :
 (سأرحل عن بلاد انت فيها ولو جار الزمان على الفقير)
 فقال معن : ان جاورنا فمرحباً بك . وان رحلت فمصحوب بالسلامة . فقال الشاعر :
 (فجد لي يا ابن فاعلة بشيء فاني قد عزمت على المسير)
 فقال معن : أعطوه الف درهم . فقال الشاعر :
 (قليل ما أتيت به واني لا أطمع منك بالمال الكثير)
 فقال معن : أعطوه الفاً أخرى . فتقدم الشاعر الى سرير معن وقد يئس من
 إغضابه فقبل يده وقال :
 (سألت الله ان يتيك ذخراً فمالك في البرية من نظير)
 فقال معن : أعطيناك على هجرةنا الفين فأعطوه على مدحنا اربعة آلاف . ولما
 عرف منه قصة الرهان الباعثة له على هذا التمجيم أعطاه ايضاً مئة بمير مكات التي
 خسرها بالرمان . ومئة أخرى بدل التي كان يتوقع ربحها .
 واحاديث معن في الكرم اكثر من ان تحصى . وما قيل فيه رثاء له بعد موته :
 (كأن الشمس يوم أصيب معن من الظلماء مأساة جلالا)
 (وكان الناس كلهم لمن الى ان زار حفرته عيالاً)
 وقيل دخل يزيد بن مزيد مسجداً باليمن فوجد في قبلته مكتوباً :
 (مضى معن وخلفني ببعثي على معن بن زائدة السلام)
 فسأل يزيد عن قائله ولما اُعتدي اليه أعطاه الف دينار . فقال الرجل يرحم الله
 معنًا : فقد أحسن اليّ حياً وميتاً .
 ومن فنون السماحة عند العرب قبل الاسلام وبعده ان يقصد الرجل جواداً منهم
 يؤدي عنه مهر فتاة أحبها فخطبها ولا مال له فيحمل عنه المهر مما كان جسيماً ويمطيه
 ما ينفق في وليمة بنائه بها . كما فعل عمرو بن ابي ربيعة الشاعر غير مرة . وهو ايضاً
 من أفضل أنواع الكرم وأنجمها في الحسن اليهم كما لا يخفى .
 اما صلوات الشعراء بالألوف وعشرات الألوف فهو شأنهم بدواً وحضراً وجاهليةً

وإسلاماً . وقد فاقت باخبارها كتب التاريخ . والأدب العربي حتي لم تبق حاجة لمزيد .
ومن لطيف فكاهات هذه الصلوات . ان علي بن جبلة مدح ابا دلف القاسم بن
عيسى العجلي أحد كبار قواد المأمون ثم المعتصم بتصيدة منها هذان البيتان :

(انما الدنيا ابو دلف بين بادية ومحتضرة)

(فاذا ولي ابو دلف ولت الدنيا على أثره)

فأعطاه الف دينار . ثم بينما كان بعد أعوام يسير ابو دلف في بعض الأزقة مع
رفيق له اذ اشرفت فتاتان من قصر فسمع احدهما تقول للآخرى « انظري : هذا
ابو دلف الذي يقول فيه الشاعر » « انما الدنيا ابو دلف الخ » فقالت الاخرى :
أو هذا هو ؟ قد والله كنت أحب ان أراه منذ سمعت ما قال فيه ذلك الشاعر . فالتفت
ابو دلف الى رفيقه . وقال له : ما انصفنا علي بن جبلة ولا وفينا حقه . فانه اعطانا
مجداً باقياً . واعطيناه ما لا زائلاً . وان ذلك لمن اكبر همي . ثم بعث الى علي وكان
مريضاً لا يقوى على مفارقة بيته بالف دينار ولا زال يبره ويواصل إحسانه اليه حتي مات .
ومن عجيب امر ابي دلف هذا انه مع فرط سخائه بالمال كان بخيلاً بالطعام حتي
اشتهر عنه ذلك فقيل فيه :

(ابو دلف يجود بالف الف ويضرب بالحسام على الرغيف)

(ابو دلف لطبخه فنار ولكن دونه ضرب السيوف)

ومن أغرب نوادره في الصلوات انه لكثرة جوده قد ركبته الديون حتي لزم
داره واشتهر عنه ذلك فدخل عليه بعض الشعراء وأنشد :

(أيارب المنايا والعطايا وباطلق الحيا واليدين)

(لقد خُبرت ان عليك ديناً فزدني رقم دينك واقض ديني)

فقضى دينه ووصله . و ابو دلف كان مع كرمه الذي تجاوز حد الاسراف وحلمه
الذي لم يتقدمه ولم يتأخر عنه من بضاياه فيه ذا رأي اصيل وغناء رخيم وشعر جيد
وبأس شديد . وهي صفات ومحامد قلما اجتمعت في غيره . ومن شعره متحمساً ومفتحاً :

(أجود بنفسي دون قومي دافعاً لما نابهم قدماً واغشى الدواهي)

(واقحم الامر المخوف اقتحامه لا يدراك مجد او أعاد ثاوباً)

وله الايات المشهورة في الغزل المزوج بالفخر :

(أحبك يا جنات فانت مني مكان الروح من جسد الجبان)

(ولو اني أقول مكات نفسي خشيت عليك بادرة الزمان)

(لا أقدمي اذا ما الخيل حامت وهاب كلفتها حرء الطعاب)

فما مرء بكم من اخبار ممن وابي دلف هذين بظاهر لكم مبلغ اسراف أولئك الناس وإغراقهم بالجود والبذل حتى كانوا يستدينون ويهبون ويغنون غيرهم وينفقون وكما توسعوا في العطاء على طالبي رفقهم ومستجدي فضاهم كان هؤلاء يتقنون في استنباط الحيل واختراع الأساليب للبالغة باستدرار النعم منهم واستزادة أنواع الصلات والهبات لهم . متزلفين اليهم بفروب من الوسائل لا تمر على خيال مفكر ولا تخطر على فؤاد لبيب . حتى صار الشعراء والرواة والمغنون في تلك المصور اكثر الناس مالا . وأعظمهم جاها . وأوسعهم نفوذاً وتبسطاً وترفاً .

فالأخطى النجاسي الشاعر كان يدخل على الخلفاء والامراء من بني أمية وهو ينبخر ثملاً وعجباً وفي عنقه فلادة الذهب ثم يخرج وفي يده الصلات الكبار والهبات الجسام ثم يشفع فيمن يريد فلا ترد شفاعته . كل ذلك لانه مداحهم المجيد القائل فيهم :

(شمس المداوة حتى يستقاد لهم واكرم الناس أحلاماً اذا قدروا)

وجرير التميمي اخذ من عبد الملك بن مروان عشرة آلاف درهم وعشرين راحلة وجارية حسناء . لقوله في المروانيين :

(أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح)

ومروان بن ابي حفصة كان يرقل بالحرير والخز وينقلب على الاستبرق والدياج ويأخذ من المهدي العباسي فما بعده من الخلفاء حتى المتوكل مئاة الالف من الدراهم والدنانير لانه رجح أحقية الخلافة للعباسيين على الفاطميين من آل البيت بقوله :

(أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البسات ورائة الأعمام)

فيل لما دخل على المهدي اول مرة وأنشده الشعر الذي يقول فيه هذا البيت وصله بسبعين الف درهم . وقال له هي لك مني في كل حول مادمت حياً . وفي ذلك يقول مروان مفتخراً :

(بسبعة بن الفأراشي من رجبائه وما نالها في الخلق من شاعر قبلي)
 وأبان بن عبد الحميد اللاحي أخذ من الرشيد عشرين ألف درهم في أول مرة
 دخل عليه لقوله ضارباً على الوتر ذاته الذي ضرب عليه مروان بما يتعلق بإرث الخلافة :
 (نشدت بحق الله من كان مسلماً أعم بما قد قلته العجم والعرب)
 (أعم رسول الله أقرب زلفاً لديه أم ابن العم في رتبة النسب)
 (وأيهما أولى به وبهمده ومن ذاك له حق التراث بماوجب)
 (فان كان عباس أحق بتلكم وكان علي بعد ذاك على سبب)
 (فأبناء عباس هم يرثونه كالعالم لابن العم في الإرث قدحجب)
 وأبو الفتح مات عن سبعة عشرة بدره من المال لانه كان ملازماً باب الرشيد
 وأعقابه من بعده منقرّباً الى قلوبهم بما يبدو في شعره من آثار الزهد في الدنيا مع انه
 كان من أشد الناس حرصاً عليها وطمعاً بها .

وابن الخطاط الشاعر دخل يوماً على المهدي مستجدياً مادحاً فأمر له بخمسين ألف
 درهم . فلما قبضها فرقها بين الناس وانشأ يقول :

(لمست بكفي كفه ابتغي الغنى ولم ادر ان الجود من كفه يهدي)
 (فلا انا منه ما افاد ذرو الغنى أفدت واعنائي فبددت ما عندي)
 فأعطاه خمسين ألف دينار :

ودخل اسحق الموصلي المتني على الرشيد يصحبه الاصحبي الراوية وكان الرشيد
 منقبضاً كثيراً . فأنشده ابياتاً مطلعها :

(وآمرة بالبخل قلت لها انصري فذاك ثني ما اليه سبيل)
 وختمها :

(وكيف أخاف الفقر احرم الغنى ورأيت أمير المؤمنين جميل)
 فقال له الرشيد : « الله درّ ابيات تأتينا بها ما اشدّ اصولها . واحسن فصولها .
 واقلّ فضولها » . ثم احسن اليه بخمسين ألف درهم . فقال له اسحق : ان وصفك لشعري
 يا أمير المؤمنين احسن منه فعلام آخذ الجائزة ؟ فضحك الرشيد . وقال اجعلوها له
 مئة ألف درهم . فقال الاصحبي الآن علمت ان اسحق احق مني بصيد الدرام .

ودخل يوماً أبو دلامة الشاعر على أبي العباس السفاح وكان كثير الأدلالت عليه فطلب منه كلب صيد فأعطاه . فطلب غلاماً يقود الكلب . فأعطاه . فطلب دابة تحمل الصيد فأعطاه . ثم طلب جارية تصلح الصيد فأعطاه . ثم طلب منه داراً تجمعهم فأعطاه . ثم مالاً ثابتاً ينقضي عليهم من غلته فأعطاه أرضاً عامرة وأرضاً غامرة ثم استبدل الغامرة بالعامرة فجعل له الاثنين عامرين .

فتأملوا يارعاكم الله كيف فرّق ابن الخياط الدرام ليأخذها دنائير وكيف احتال استحق حتى جعل الخمسين ألف درهم مئة ألف وكيف تذرّع أبو دلامة بطلب كلب للصيد حتى توصل ببعض كلمات إلى نيل هذه النعم المتوالية التي تعود عليه بالخير الكامل والهناء الشامل . وفي ذلك من شدة الحرص على ابتزاز الأموال ما لا يجهلون .

وكل ما اشرت إليه من احاديث الجود على إفراطه . وما أثر الاحسان على عظمتها . لا يعدّ شيئاً في جانب ما كان يصدر عن البرامكة وزراء الهادي فالرشيد من مدهشات العطاء الذي يتجاوز حدّ المقول . وكاد يحسب من مبالغات أمل التاريخ : فقد كان لآل برمك في هذا الخلق القديح المملّى والسهم الأثقل والنصيب الأوفر حتى قيل عنهم انهم شفاة اسقام دهرهم . وغياث اجداب عصرهم . ومنزع مأهوج في زمانهم لاسيما احدثهم الفضل الذي قال فيه أبو النضر :

(وللناس معروف وفيهم منائع) ولن يجبر الاحزان الاجدا الفضل)

(اذا ما العطايا لم تكن برمكية) فتلك العطايا ما تمرّ وما تحلي)

وهم ولئن لم يكونوا عرباً في الاصل بل كان جدّهم الاعلى فارسياً الا انهم تشابوا في العراق وترعرعوا في دور الخلفاء . وخالطوا خاصة العرب وعلمتهم واقتبسوا آدابهم وعاداتهم حتى اصبحوا كأنهم من صميمهم .

كان البرامكة يخرجون بالليل سرّاً وهم مشكرون معهم الاموال صرراً بين الثلاثة آلاف والخمسة آلاف فيطرقون الأبواب من بيوت المحايج اهل الستر والحرمان فيدفعون الى اصحابها الصرة بعد الصرة . وربما طرحوا ما معهم في عتب الابواب فكان الناس لا عتبادهم ذلك يعدون الى العتب اذا اصبحوا فيأخذون ما يجدون . واتصل بخفاف المصري ان يحيى بن معاذ في حاجة وقد ركبته من الدين ثلاثمائة

الف درهم حتى أرغم على إغلاق بابه توارياً عن غرمائه . فأخبر الفضل بن يحيى .
فقال له : دللتنا على مكرمة . ثم أمر له بمائة الف درهم . وحمل الى يحيى بن معاذ
ثلاثمائة الف درهم قضى دينه بها .

وخرج الراقي من المدينة بعد ان ساءت حاله وركبه الدين قاصداً البراءكة
وهو لا يعرفهم وهم لا يعرفونه . فدخل على يحيى بأسمال من الثياب تجيط به الكآبة
والبؤس وقصاري ما يمتناه الف درهم فدفع اليه كيساً ولم يعلم ما فيه . فلما تناوله خرج
مهرولاً حتى اذا انتهى الى بيته فتحه فاذا فيه اربعة آلاف دينار . فكاد يفسى عليه
من السرور ثم ما ابطأ ان ابتاع اثواباً اصلح بها حاله وبكر من الغد على يحيى ليودعه
ويشكره فتوسم فيه يحيى علماً وفضلاً وادباً فقال له أقم عندنا ذلك مثلها في كل عام
فأقام عنده عزيزاً مكرماً موسماً عليه حتى فرقت بينهما النكبة .

ونظم أبان ابن عبد الحميد كتاب كليله ودمنة شعراً ليسهل حفظه مبتدئاً بقوله :
(هذا كتاب ادب ومحبة وهو الذي يدعى كليله دمنه) .

فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار . وأعطاه ابنه الفضل خمسة آلاف
دينار . وقال جعفر سأستظهر كتابك هذا . وحسبك مني ان اكون روايتك فيه .
وما الممت عنه من مكارم البراءكة ان هو الا صباية من بحر مما يؤثر عن هذه
الامسة التي لم يتم بعدها ولا روي عن احد قبلها من يحاكيها او يتحداها بالجود
الفائض والسخاء الا انهم لا سيما على المحاميج من اهل النعمة وبيوتات المجد والعلم والفضل .
خلافنا لسيف الدولة الحمداني صاحب حلب الذي كان يصادر اموال الناس ويبتز
مواريثهم لينهل افراس شاعره ابي الطيب المنيني بالمسجد . ويهب سائر من يقف ببابه .
ويلتف حوله من الشعراء فأرات المسك ونوافج العنبر . وتقايس الخلع والالوف المؤلفة من
الدنانير لقاء ما يسمعون من الاطراء غير المعقول كقول ابي الطيب مخاطباً اياه :

(كأنك في ثوب . وصدرك فيهما على انه من ساحة الارض أوسع)

وفي ذلك وامثاله ما يخالف قواعد الاجتماع ، وسنن العطاء ، وقوانين الاقتصاد
في هذا العصر الذي لكل ثقافة فيه حساب ، ولكل بذل مقياس ، فان ابواب الثبرين
والمتمولين في الغرب من ملوك وامراء وصوفى محجبة . وخزائنها مقفلة دون امثال

هؤلاء المدّاحين المخترقين . وانهم يبذلون الملايين في سبيل مشروع خيري او معهد علمي و يرصدون مئات الالوف لمن يكتشف مثلاً دواءً ناجعاً للسل او السرطان او الطاعون . وليهبون ماله فوق المأمول لمن يؤلف احسن كتاب في التربية او نوع من العلوم ، ولا يبذلون ديناراً واحداً لمسيحياً او مداح كاذباً كان او صادقاً بل يقولون له انصرف الى العمل مادمت قادرّاً عليه فان عجزت لك من ملاجئ العجزة ما يغنيك عن التسول المنافي لسنة الحياة . فان الانسان الماني 'خلق ليحمل . لا ليعيش كلاً على عوائق الناس . وفي هذا القول ما ينطبق على ما اوحته الشرائع التي اجمعت على وجوب العمل وكراهة البطالة حتى عدّ العمل ضرباً من العبادة . وما دام الانسان معاني في جسمه وعقله لا يجدر به ان يكون ساقط المهمة ، دنياً النفس ، يبذل ماله وجهه التماساً لما في ايدي غيره من ثمرات انما به ليعيش على بساط الراحة والدعة والحمول مثقلاً من معصية الى كبيرة . ولا بدع ولا غشابة فان رأس البطل مخزن الشيطان . والاحسان الشخصي انما يكون للارملة واليتيم والمريض والسجين والمعجز والمدرّفق . لا لرجال اشداء اقرباء بقاسموتك مالك استجداء وتحبلاً . لبيد دور في سبيل شهواتهم وهم وادعون . والكرم بوجه عام يقسم الى ثلاثة اقسام : القسم الاول ما نسميه (الكرم العادل) و يُعق لصاحبه ان يسمى المحسن الجواد . والقسم الثاني (الكرم الجائر) ويقال لصاحبه المسرف المتلاف . والقسم الثالث (الكرم الاحمق) ويدعى صاحبه المبذر السفيد .

﴿ القسم الاول ﴾

« الكرم العادل »

هو الكرم الحق الذي يستحق وحده ان يسمى كرمًا . وله شرطان : الشرط الاول ان يكون من فضلة مال المحسن لا من صلبه . لانه اذا كان من صلب المال لا يلبث المحسن معها كان ثرياً واسع النعمة ان يفترق فيظلم نفسه واهله وبلاده : اذ يصح عاجزاً عن الكسب ، قاصراً عن الاحسان ، بل عالة على سواء . وهنا نتجلى حكمة الآية الكريمة (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) : الشرط الثاني ان ينزل المرء احسانه منزله و يضعه في محله بحيث ينفع المحسن اليهم نفعاً صحيحاً . لا يضر مستقبلهم و اخلاصهم وعاداتهم .

وانضرب لذلك مثلاً — زيد متوسط النعمة ، ربه السنوي الف دينار ، يتفق منها بلا تبذير ولا تقير ثلاثمائة ، ثم يقسم الباقي وهو سبعمائة ، الى شطرين احدهما يضيفه الى رأس ماله انما له ، وتحوطاً لعثرات الايام ، والآخر يرصده للاحسان . ان شاء احتبس الى ان ينمو ويتضاعف بما يليه في مستقبل الاعوام بحيث يصبح كافياً لاحسان ثابت عام : كل إنشاء مدرسة او مكتبة او ماوى للايتام . تدوير فائده ، وبيع نفعه ، و يبقى لصاحبه الذكر الخالد . وان شاء أطلقه لوجوه بعض الاحسان الخاص كامداد عائلة أخنى عليها الدهر فسلبها نعمتها حتى كاد ينكشف سترها ، ويفتضح امرها ، بحيث تصبح مضغة في أفواه الشامتين ، او إغاثة تاجر امسى على شفير الافلاس . فينقذه من ذل التقاضي وربال السجن بأن يعاونه سرّاً على تفقته وايقاض ما يستحق اجله من دينونه الى ان يأذن الله بالفرج . او ان يتوسم باحد اولاد البؤس النباهة والذكاء فينفق على تثقيفه وتعليمه ما يصيره نافعا لأمرته . جلاباً للفوائد له ولوطنه . فلا يبقى نكسا يعيش كالخشرات ، عالة مفسداً ، ويموت ذمياً شقيفاً غير مأسوف عليه . الى غير ذلك من ضروب المكارم التي تحفف الآلام ، وتزيل الحزن ، وتفرج الكرب ، وتجلب الفوائد .

هذا هو الكرم العادل الذي نتمشي عليه الأُم الراقية الآن . فيرضى عنه الصواب ونقر به عين الحكمة ، وانوفر فيه شروط الاحكام والائمان والانصاف . فلا يظلم المحسن بان يستهلك ماله في سبيل ارضيته ، ويصبح من المملقين بل يدوم رانكاً في نعمته ، مقبلاً على كسبه ، قذيراً على مواصلة الاحسان لبني جلدته ، مستغنياً عن استجداء من لا اخلاق لم ولا مروءة ، ولا يظلم المحسن اليه بان يكون ميتالاً الى البطالة ، فيغربه بما يناله منه غنيمة باردة على الكل وبغض العمل ، وتبديد ما يعطاه في سبيل اللهو والزهو والشهوات .

أجل ان هذا النوع من الكرم يا سادة هو المعول عليه عند بعيدي النظر من متولي الغرب . وكل ما ننظره ونسمع به . او نقرأ عنه من المرافق الحيوية والمعاهد الادبية والعلمية . والملاجئ الخيرية القائمة في طول البلاد وعرضها على تضارب أنواعها ، ونذات مراميها وغاياتها ، انما هو اثر من آثار هذا الضرب من الاحسان .

وهو لسوء الطالع مفقود ، أو يكاد يكون مفقوداً تحت سماء هذه البقعة التي كتب عليها منذ مئتين من السنين الغبن والحيف والجهل والحرمان .

أجل ثم أجل ياسادتي فان بهذا الكرم رُفِعَ منار الانسانية ، وتمننت دعائم العمران ، وتمهدت للام الغربية سبل السعادة والغبطة والحضارة ، وخفت عنها وطأة شقاء الحياة وبؤسها . ولولا لكان العجزة منهم بأنون منطرحين في زوايا الطرق ومنعرجات الأزقة ، شاكين آلام الامراض والجوع والمترية يلتمسون الموت فلا يجدونه . ولكن ابناهم وناشئة النساء منهم هائمين على وجوههم ، يكتشفهم الجهل والفساد ، ويحيط بهم الذل والمسكنة مما نرى أمثاله بيننا كل يوم . والعين تقطر دماً ، والقلب يتفطر حزناً . فان بهذا النوع من الكرم لا بغيره أنشئت مكاتب وملاجئ للعمي والصم والخرس والمقعدين . يتعلمون بها القراءة والكتابة والحساب وضرورياً من الصناعات التي تلائم أحوالهم . في يشون رغداً آمنين مطمئنين . فلا يكونون عبئاً ثقيلاً على عوائق الناس ، فيكرهم اهلهم ، وتنبو بهم الارض ، وتبكي عليهم السماء .

وبه لا بغيره ترقى العلوم والفنون والصناعات ، وزاد الاكتشاف والاختراع حتى سخر الانسان المناصر لخدمته فخاص لمسافر في الماء . وركب طائراً في الهواء واستنار بالكهرباء . واستخدم البرق لنقل الاخبار . والبخار لجبر الاثقال وسرعة الترحال . الى غير ذلك مما لورؤي الى اسلافنا لعدوه خرافات وأساطير تحكى ولا تعقل ، وتروى ولا تخيل .

هذا هو الكرم الحق الذي يهرج باصحابه الى مقام الاعلام المحمودي الاثر الخالدي الذكر لا ما افتخر به عنزة العنسي بقوله :

(ولقد شربت من المدامة بعدما	ركد الهواجر بالمشوف المعلم)
(بزجاجة صفراء ذات أسرة	قرنت بأزهر بالشمال مقدم)
(فاذا شربت فاني مستهلك	مالي وعرضي وافر لم يكلم)
(واذا صحت فما افسر عن ندي	وكما علت شمائي ونصكري)

فان من يفخر بسكره ويستهلك ماله كله في سبيل أريحته عادلاً كان او جائراً ثللاً ارضاحياً هو الى الجنون أقرب . وخلق بئله ان يحجر عليه الى ان يصبح من العافلين .

﴿ القسم الثاني ﴾ « الكرم الجائر »

وهو الذي يجور على صاحبه المثيري فيستكثر ما لديه مما تركه له آباؤه او جاءه عن طريق الصدق والاتفاق . فيأخذ بالتوسع في العطاء والاسراف في الاتفاق . فان مشى أحاطت به حاشيته من اهل البطالة واللام . وان جلس طوّقه فريق من اهل الحرص والطمع والنفاق . وان ركب ركب في موكب يشبه موكب الملوك . يقصده المحتالون المخزقون من كل ادب و صوب . فيغدق عليهم الذوال و يكيّله لم جزافاً ليقال عنه انه جوادٌ وهاب . يُعطي بغير حساب . فلا يمرّ عليه حين من الدهر حتى يصبح ككثيرين من اولاد البيوتات في بلادنا خالي الجيب بادي الانقراض . متدهوراً في مهواة اليأس والبؤس ، فهو ظالم لنفسه ، لانه أفقرها وأذلها ، ظالم لعائلته وذوي قرباه لانه أحوجهم وأشقاهم ، ظالم لمن أحسن اليهم لانه أغرام بالتسول والكل ، وكرامة العمل . فأصعب هذا القسم من الاحسان آفة الوطن الكبرى ، وبلاؤه الادم ، وشره المستطير . ولو تديروا ووعوا لكان لم من تراث آباؤهم وتليد أموالهم وطارفها ما يتوهن به على استدرار أخلاف النعمة . واستعمال ما أودعه الله في فطرتهم من مزايا البذل في موضعه مع الاعتدال والروية والرفق . فعاش كل منهم سعيداً مجيداً ، ومات فقيداً حميداً ، حافظاً له الوطن واهله مكارم تعود عليه بحسن الاحدوثة وآثاراً غلده له الثواب ، ولكنهم لا يتديرون .

﴿ القسم الثالث ﴾ « الكرم الاحق »

ينشأ ابن النعمة في بيت ابيه طاعماً كامباً مخدوماً مكفياً المؤونة لا يطالب بشيء الا ان يكون رجلاً كامباً مقصداً نافعاً . فيلج باب الاعمال مديراً او كاتباً في احدى الخطط الاميرية او المؤسسات التجارية براتب لو تدير فاحتفظ به ، وحرص على انمائه في الطرق المشروعة لآف منه على تراخي الايام ثروة يستطيع معها عند الحاجة ان يكون رب بيت ينفق عليه من سعة ثم يكون من المحسنين : فانت اضافة شعرة الى شعرة تؤلف حبة كما يقول العوام . ومن لا يصبأ بالقليل لا يتسنى له الكثير .

(قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد)
فبدلاً من ان يسلك هذا السبيل الهادي الأمين الذي ينتهي به رويداً رويداً
الى منزلة أفاضل الرجال العاملين ، يقول في نفسه اني لا أزال في ريتي الصبوة وبيع
العمر لا يطلب مني شيء ولا أسأل عن شيء ، فما خسرني لو بذلت رائي باسداء الجليل
واصطناع الاخوان ، فيبسط صدره ويجلسه لمن يعرض له من الانواب والأقارب
فيستأنسون به ويتألبون حوله فتنتفخ الكبرياء كالزق و يتوهم انه أصبح من مشاهير الاعلام
التميزين بالوجاهة والفضل : فاذا استقرضه احدهم ديناراً فتحه بدينارين ، وان استحسن
لديه تحفة أهداه تحفتين . ثم ينتهز فرصة عطلة وأدقات فراغه فيسدد عروم الى الولائم
والمآدب ومعاهد النزهة والطرب . فلا يمضي من الشهر اسبوعان حتى ينفد راتبه
فيستلّف من بعض الصيارفة على راتب الشهر الآتي ولا يزال يتدرج في هذه الطريق
حتى تتراكم عليه الديون ، وبضيتي عليه الدائنون ، فيهرع بعضهم الى ابيه فيشكروا
وبعضهم الى رئيسه فيتظلمون .

هنالك تنقش الغامة عن عيني ذلك النور المسكين فتنبلي الحقيقة له كما هي فلا يشمر
الا وابوه ماقت له ورئيسه ساخط عليه ، وأصحابه منفرقون عنه ، يتجنب الظهور في
الأسواق لئلا يرى فيطالب أمام الناس . وينقطع عن الأندية ، ويحتمل الحلق ،
كيلا يضطر الى الاتفاق ولا مال لديه : يجلس في دائرة عمله ناكس الرأس ، خائر
النفس ، متوزع الفكر لا تنبسط نفسه الى عمل ، ولا تصغي أذنه الى حديث ، ولا يبرح
ذلك شأنه حتى ينتهي الى احد امرين : اما ان يرأف به ابوه فيفي ما عليه ثم يكون
مسيطرأ على حركاته وسكناته الى ما شاء الله وهو ذليل واجم كظيم . واما ان يتيسر
له من غامض علم الله رزق جديد او زيادة في الراتب فيتخلص من شدته بعد ان
تبليغ روحه الخلقوم فيتخذها عبرةً تنكب به عن مثل هذه المهواة الى ان يوافيه
الأجل المحتوم .

هذا اذا لم يدركه العزل وتنابيه الفضيحة من قبل . فيساوره النم وتنقاسمه الامراض
فيلزم البيت خاسئاً مخذولاً مهووراً : يرى الدنيا وما حوت من زخرف ظلمات بعضها
فوق بعض . ولبست العاقبة لمن لا يزدجروا .

وهذا الفريق أيضاً حَسَكٌ ينشِبُ في حلقِ الاجتماعِ الانساني فيمنعه هُنا، ويسلبه قراره . ويجعل حياة البلاد الاقتصادية الى الاختصار أقرب . قال الله المشتكى من قبل ومن بعد .

لقد طال بي يأسُادة نفس الكلام حتى لم يبقَ سبيلٌ للزبد على انني أرجو ان يأتي يوم ، وهو منا قريب ، يقف فيه متمولونا وناشئتنا موقف الاعتدال بين منزلي التقدير والتبذير . ويختارون من ضروب الاحسان ما يجمله نافعاً مفيداً عاماً معزراً للعلم والصناعات وملاجئ الخير والمبرات محققاً عن كواهل الانسانية مصابها وإحسانها وأسقامها حيثما يرجون بهذا الوطن العزيز الى المستوى الذي يستحقه اهل من الغبطة والسعادة والرغد . انه سبحانه ولي التوفيق .

عضو المجمع العلمي العربي

سليم غنوري



منشأ اللغات

اختلف الباحثون من الملّين وغيرهم قديماً وحديثاً في مأخذ اللغات على أقوال :
فقال قائلون انها توقيف من الله تعالى . وفسر بعض هؤلاء ذلك بالوحي وبعضهم
بالإلهام والآخر بقدر وبعضهم بالأمرين .

وقال آخرون انها من وضع البشر . وفسر بعضهم ذلك بمواضعة حكماء البشر
على اختراع أصوات خاصة بتفاهمون بها ، وتابعهم في ذلك العامة . وبعضهم باشتراك
أفراد الناس - في ارتجال بعض الألفاظ . ولقن غيرهم عنهم من غير سابقة اتفاق .
وبعضهم بالتدرج في بناء الألفاظ من محاكاة أصوات الحيوان وتفاعل قوى الطبيعة
بحرف أو حرفين الى التزويد بالتكرير والمحقات والقلب والتبديل .

وقال قوم بالتوفيق بين الأمرين بالتوقيف من الله بمعنى الإلهام والإقصاد على
الارتجال أحياناً ، وبالوضع بالتقصيد الى محاكاة الأصوات منه ومن غيره وتعديلها أحياناً .
وعلى هذا الرأي جمهور المحققين من الملّين وغيرهم .

ونفصّله ان الانسان كسائر الحيوان مفطور على ان يعبر عن انفعالاته النفسية
بأصوات مختلفة ، فانا نسمع المرة ، مثلاً نتموه بضمة أصوات مختلفة تظهر بها بالإلهام من الله
انفعالاتها ومطالبها ، فصوت الاستعطاء والاستعطاف غير صوت الزجر والغضب الخ .
وشأن الانسان الناطق بالطبع في ذلك ليس أقل من شأن الحيوان الأعجم بما ركب
فيه من قوة الارادة والتمييز ، وما أودع أداة صوته من الموهبة العظيمة التي جعلته يحكي
كل صوت وينوء حروفاً منطقية ، فبالقدرة على الحكاية أمكنه ان يعبر عن المعاني
المشعرة بها الأصوات الفطرية في نفسه وغيره بمحاكاتها بالحروف الشبيهة بها كالفعل
البيغاء التي هي دون الانسان في الادراك ، وبطبيعة القوة الناطقة التي أودعها الله اياه
وميزه بها على سائر الحيوان أمكنه ارتجال بعض ألفاظ يعبر بها عن رغائبه القليلة في
بدء نشأته ثم تولد عنها غيرها .

فيشعر انه عندما كان يجيش صدره باظهار رغبة او رهبة يصيح بصوت مصور
بصورة ما ، فيسمعه غيره ويفهم منه مراده باضافة قرينة حال او إشارة كما نشاهد

ذلك كثيراً في بعض الأطفال عند محاولتها النطق ، فإذا وجد انه أدى غرضه استعمله ثانية وثالثة في انهام رفقائه ، فيذاع بينهم ويعرف ، ولا يحتاج في استعماله الى قرينة ، وهكذا يفعل غيره فعله ويقلدهما ثالث ورابع حتى تشكلت من هذه الالفاظ المرتجلة والمحكية اللنة الاولى الضرورية للبيئة التي يعيشون فيها ، وينفق عليها طبيعة من غير عمل ولا قصد الى الاتفاق . ثم تتسع هذه اللغة بعوامل النمو المعروفة من تنوع الوضع وتشعب الالفاظ بتشعب المعاني الحكية الى معاني جزئية ، ومن الاشتقاق والقلب والابدال والزيادة والنقص والنحت والتحويل من الحقيقة الى المجاز ، فيشتهر المجاز ثم يصير حقيقة . والتجوز في اللفظ قد يكون من عمل المرء وحده ، او من عمل طائفة معه . راقية تحاول علماء ارضنا صناعة وتضع لمعانيها وأدواتها مصطلحات تشتهر ونصير حقيقة عرفية .

هذا وقد اختلف الحكماء فيما نطق به الانسان ابتداءً ، فقال قوم انه نطق اولاً بالاصوات الدالة على الانفعالات الوجدانية كالنأوه والأنين والتأفف والقهقهة وأصوات الزجر والغضب والخوف . ثم كانت يستعمل للحسوسات الاشارة باليد وتزوية الوجه قياساً على التجهيزات في ذلك . ثم وضع الالفاظ المحسوسات بالحكاية او الارتجال . ثم الالفاظ الدالة على حركة النفس الفكرية . وقال قوم انه ابتداءً بالاشارة الى المحسوسات ثم الوجدانيات ثم العقليات . والظاهر تساوي مرتبة الوجدانيات الفطرية ووضع اسماء المحسوسات ، وتأخر مرتبة العقليات في الوجود ، حتى لتري جميع لغات البشر عاجزة عن التعبير عن كثير من المعاني التي تتخالج النفس بل عن كثير من معاني المحسوسات كالفرق بين الروائح والطعوم .

ثم اختلفوا ايضاً في اقسام الكلام وضع ابتداءً ، فقبل اسماء المفردات والمصادر ثم الافعال ، ونحت من كليهما اسماء الضمائر والاشارة والموصولات والحروف ، وقبل الأفعال ثم الاسماء الخ .

واذا فطنا نشأة النوع الانساني على نشأة الطفل كما يقول جمهور حكماء العصر فقد لحظنا في الأطفال الذين عطينا بتربيتهم انهم نطقوا بالاسماء الدالة على رغائبهم الفطرية وبعض المحسوسات المحيطة بهم ، ثم نطقوا باسماء المصادر ، ثم تلتها الافعال ،

وسبق المضارع فيها أخويه الماضي والامر . ثم ببعض أسماء الإشارة وجاءت الضمائر والوصولات والحروف متأخرة وتلتها بقية المشتقات . ويؤيد هذا كثير من الحكايات التي تروى عن الأم المتوحشة بأفريقية وجزائر المحيط الأعظم .

وكل ما ذكرناه يقرب إلى ذهن تصور نشأة اللغة الأولى للإنسان . أما اللغات المنقرضة منها ثم من أنفها فننشأ من هجرة بعض طوائف أهل اللسان الأصلي إلى جهات متباعدة فيدفعهم التقاطع إلى نسيان بعض الكلمات لعدم استعمالها في وطنهم الجديد وإلى تفرقها على طول الزمان ، ثم يرون في هذا الوطن ما لم يروه من قبل من أنواع الحيوان والنبات والجماد فيضطرون إلى وضع كلمات على الوجه الآنف الذكر وهكذا ، فتباعد اللغة الفرعية عن الأصلية كلما تباعد الزمان والمكان ، ويزيد مدى التباعد إذا جاورها أمما تتكلم بغير لسانهم فيستغيرون من لغاتهم كلمات تمثل بعد حين في بنية لغتها ، ثم إذا طال الأمد على أهل لغة وكثر عددهم وارتقت الصفات الإنسانية فيهم اتسعت هذه وتعددت أساليب التعبير فيها وضاق حفظ أي فرد من علمائها عن أن يحيط بها .

أحمد الإسكندري

الزهرة :

عضو المجمع العلمي العربي



الموازنة

بين الالهوية الالهية ورسالة الغفران

— ا —

بين ابي الملاء المعري ودائتي شاعر الطالين

أجمع المؤرخون على ان ولد ابي الملاء المعري كات سنة ٣٦٣ هجرية وكانت وفاته سنة ٤٤٩ اي سنة ١٠٥٧ مسيحية ومنزلته من علوم اللغة والصناعة الشعرية فوق ان تحتاج الى بيان ، ومكانته بين امراء الكلام فوق ان يبرز بمرحان وكان له وقوف على سائر علوم عصره ولا سيما العلوم الفلسفية والدينية والهيئة ، اما ذكؤه وحفظه فما بعد من خوارق الآيات بل من المعجزات ، ولولا ما لدينا من كتبه وشعره ، مع ثبوت فقد البصر منذ الرابعة من عمره ، لكان ما نقل اليها من ذلك الى التكذيب اقرب منه الى التصديق . بيد ان من كان يحفظ ذلك المقدار الجزيل من شتات اللغة والشعر والعلوم ، ويتكلم بما تكلم به ثراً ونظماً ، ويتخوض في موضوعات سائر أحوال عصره وعلومه ، لحقيق بان يُعَدَّق ما نقل اليها عنه ، فمن ذلك انه كان قاعداً يوماً في دكان يهودي ببغداد واتفق ان جاءه خصم له وتكلم بالعبرانية ، ثم مرت على ذلك ايام فما كما بعدها الى القاضي فقال للمدعي هل عندك شاهدان على ما نقناله ، فقال عندي رجل يهودي وثان مسلم اعمى ، فأحضرهما القاضي ولما سأل ابو الملاء شهادته قال اني اعرف احدهما بصوته ولعلي اعرف الثاني ايضاً بصوته ، وهما قد تكلم في حضورى بالعبرانية ولم أفهم منهما شيئاً ولكني أحفظ ما قالاه او ما قاله احدهما ، وأعاد العبارة بالبرية وهو لا يفهم ما يقول ، وكان في شهادته ربح الدعوى ، انقلها باختصار .

وبما اشتهر عنه انه اذ كان في بغداد سنة ٣٩٩ أنشده احد الشعراء قصيدة — ولعله ابو الخطّاب الجيلي — قال ابن الاثير في الكامل في حوادث سنة تسع وثلاثين واربعمائة وفيها مات ابو الخطّاب الجيلي الشاعر ومضى الى الشام ولقي المعري وعاد ضريراً ومن شعره :

(ما حكمُ الحبِّ فهو ممثِّلُ وما جناءُ الحبيبِ محتملُ)

(تهوى وتشكو الضنى وكل هوى لا ينحل الجسم فهو منتهلُ)

فلما اتى على آخر القصيدة قال له انت أشعر من بالعراق ، ثم عاد ابو العلاء الى الشام ولزم بيته في معرة النعمان ، وبعد خمس عشرة سنة من ذلك التاريخ جاءه شاعر فأنشده قصيدة ولم يذكر اسمه له ، فلما اتى على آخرها قال ابو العلاء : ومن بالشام ، فعجب الشاعر من فطنته وحذقه ، وسئل ما معنى ما قال لك فذكر للسامعين حكايته معه في بغداد وقوله له انت أشعر من بالعراق وانه عرفه الآن بنفسه فعطف على عبارته تلك بقوله ومن بالشام .

وأما مثل هذه الروايات عن ابي العلاء كثيرة ولم أبرد بذكر ما أوردته منها اثبات المنقول او تنقيح ، فلذلك مقام آخر ، وانما أوردت ذلك تمهيداً لما سيأتي في هذه الموازنة . وانت تعلم انه قلما نبغ شاعر في فنون المنظوم ، او جاء عالم برأي جديد في علم من العلوم ، الا وقام له من الخوصوم والحساد ، او المساجلين والنقاد ، قوم تدفعهم غرائزهم للتعريض به والطعن عليه ، وقد يكون بينهم أفراد لا غرض لهم الا تنقيص الحقائق ، وتليب مآثم ، هذا شأن البشر في كل عصر ، ولا سيما في تلك القرون السحيقة ، يوم كانت الأديان في الشرق والغرب تجارة يتزلف بها العلماء الى مسنبي الحكام والامراء ، بعضهم للتمسك بالرفق ، وبعضهم للتكسب كيفما اتفق ، وآلة فاطمة في ايدي الملوك والحكام نوصلاً لمطامعهم السياسية وأهوائهم النفسانية ، ولهذا لم يكن بدء للفلاسفة والعلماء من الإلباس ما يكتبون في اي علم غير علوم الدين ، ثوباً من التدين والورع ليأمنوا غائلة عدو يقدرح او حسود يشي بهم وينم .

فاذا علم هذا فلننظر اولاً نظرة ناعمة في رسالة الغفران هذه ، ففي بدء ما ينسب عليها طولها ، وهي رسالة من صديق الى صديقه ، ويؤخذ عن ذلك ان رسائلهم لذلك العهد كانت طويلة لعسر وسائل النقل وبُعد المسافات ، مما كانت عليه حالة الطرق في تلك العصور من فقد الأمن ، ولم تكن البرود الحاجات الحكومات ، فاذا ما هم القريب او الصديق بالمكانبة ، لم يكن له بدء من البحث عن مسافر امين يودع بين يديه رسالته ، وهذا لم يكن ميسوراً . ولذلك كانت رسائلهم طويلة ، الا ان المسافة

بين معرفة النعمان وحلب ليست إلا ساعات على القافلة ، فلا ينطبق عليها ما ينطبق على الرسائل التي تقتضي خوض البحار وقطع المسافات الشاسعة في الصحاري والقفار . ثم إن هذه وإن كانت جواباً عن رسالة وردت أبا العلاء من صديقه ابن القارح ، فلم تكن رسالة اخوانية ، إذ طولها وما فيها من الأغراض التي لا أحسب المعري إلا تعد لها وتوخاها ، يخرجها عن الاخوانيات ، و ينزلها منزلة معجم لعربص كلام العوب وغريب أشعارهم في ظاهرها ، وإنما هي في الحقيقة مفاكحة بين صديقين في الاعتقاد متبادلين ، ولا أحسب الشيخ ابن القارح إلا على مذهب الفلاسفة الزنادقة ، وسيأتيك الدليل فيما يجي^٤ . أما أبو العلاء فقد كان فيلسوفاً قولاً وفعلًا ، أقول فعلًا لأنه لم يكن بين فلاسفة العرب كلهم من طابق بين قوله وفعله سواء . فهذا الرئيس ابن سينا على فضله ورسومه قدمه في العلوم الفلسفية ، كان نعماً شديد الشبق ، وكان هو ووالده يتقلدان الأعمال للسلطان في الدولة السامانية ، وقيل أنه مات بالسجن . وقال فيه كمال الدين ابن يونس :

(رأيت ابن سينا بعادي الرجال وفي السجن مات أخس المات)

(فلم يشف ما ناله بالشفاء ولم ينج من موته بالنجاة)

والشفاء والنجاة من أشهر كتب الرئيس كما هو معلوم .

أما ابن الصائغ وأبو بكر بن طفيل وأبو الوليد بن رشد فكلمهم ممن اشتغل مع العلم بالسياسة ولم تصرفه الفلسفة عن الرئاسة ، بل إن أكابر فلاسفة اليونان قبلهم ، لم يحصلوا على منزلة المعري العالية . فان ديوجينوس المشهور بالكلي لتشفه وزعده في الدنيا ، قد اشتغل في صباه مع أبيه الصراف بالتزوير والتزييف ، ونفي من وطنه بعد التحقير والتعنيف . ورسطاليس أنسب إليه عقوق استأذه أفلاطون ، وأشياء إن صدق رادوها الصقت به العار على مر القرون ، بل إن أفلاطون نفسه اشتغل بالسياسة وحام حولها وأُسبت إليه أفعال لم يجزم بصحتها ولم يقطع بتكذيبها .

وإين من هؤلاء كلهم أبو العلاء فقد أجمع حساده وخصومه على زعده وإنسكه ، وعظ بالعفاف ونهى عن الدنس . ومات وقد جاوز الثمانين ولم يدنس له عرض ، وحرص على الفضائل ولزمها ، ذم الدنيا وأعرض عنها ، حرّم ذبح الخيول منبه

الاربعين من عمره ، فمكث خمسا واربعين سنة لم يذق لحما ، سمي نفسه رهين الحبسين
لفقده بصره ولزومه منزله فمكث اثنتين وخمسين سنة بعد عودته من بغداد في بيته .
وهو لم يكن يعتقد بدين من الاديان ، لا كما تفعل له اصحابه والمتشيعين لفضله ،
زعموا منهم ان القول بذلك مما يحبط من قدره ، وقد علموا ان جل فلاسفة اليونان
والرومان وغيرهم من الامم الخالية لم يكونوا على دين . وان منهم من كان على الوثنية
والجوسية لم يقدح ذلك في علمهم ، بيد ان عصور المتشيعين للمري لم يكن يباح فيها
اعلم ان يمالن بمدح زنديق وان بلغ من العلم والفضيلة ما بلغه المعري ، ولم يكن اولئك
المتشيعون بالعدد القليل منذ كان حيا . فقد بلغ مرتبة من تجلة الناس ووقارهم لم يروها
تاريخ من تواريخ الارض كلها عن عالم اوفيلسوف او ملك . فقد روى الحافظ السائي
قال جلس على قبر ابي العلاء المعري عند دفنه نحو من مائة وثمانين شاعرا ورثاء اربعة
وثمانون شاعرا منهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم صوفية وترجمهم باسمائهم .
فلابدع بعد ذلك اذا مارأي اولئك الفضلاء واما شلم ان يجعلوا له صدق الاعتقاد
درعا يتقون بها الوشايات ، ووسيلة يتسلون بها لنشر مؤلفاته ، ولست التي القول على
عوامته فحسبك من قوله في لزومياته .

(اذا رجع اللبيب الى حجاب) نهان بالمذاهب رازدراها
(نخذ منها ما أداء لب) ولا ينمك جهل في صرافا
(واهت ادبانهم من كل وجه) فهل عقل يشد به عراها
وقوله :

(وجاء لنا شرائع كل قوم) على اثار شي رتيوه
(وغير بعضهم اقوال بعض) وابطلت النعي ما اوجبه
وقوله :

(هفت النصارى والحنيفة ما اعتدت) ويبرد حارت الجوس مضلما
(انسان اهل الارض ذو عقل بلا دين) وآخر دبن لا عقل له
وكثير من مثله في كتبه مما لا يحتمل التأويل .

ولست اراه اراد برسالة القرآن الا الانتقاد على ما ذكره فيها ، وقد قلت قبل

هذا اني أحسب ابن الفارح على مذهبه ، لا لان رسالة القرآن قد كتبت اليه فقط ، بل لانها جواب على رسالته التي لاخلها تغرب الا على هذا الوتر — وان لم يكن ذلك صريحاً — لقول المعري في اوائل رسالته : وقد وصلت الرسالة التي بجرها بالحكم مسجوراً ، ومن قرأها لاشك مأجوراً ، اذ كانت تأمر بتقيل الشرع ، وتعييب من ترك اصلاً الى فرع : أفلم يجد ابن الفارح من طلبة العلم وغيرهم من محبي العلوم الشرعية في حلب يومئذ جديراً بتعلم الشرع وحدوده سوى ابي العلاء ، وهو بحر العلوم ، ولا سيما والمفهوم من جواب ابي العلاء انها تتضمن أغراضاً أخرى كثيرة ، وان عنوانها بغير ذلك كما ذكر في اول رسالة القرآن .

وعلى الجملة فلا شك عندي انه لم يقصد برسالته تلك الا مذاكرة المعري في معنى كلامهما عليه متفقان واليه قاصدان . وحسبك من ذلك ان رسالة ابن الفارح في تقيل الشرع ، فبدلاً من ان يجيبه المعري عليها بما يتعلق بذلك او بالاعتراض على شيء منها او بشرح ما يعنى له في ذلك كله ، تراه يدعو له بالجنة ويحدثه عنها فيها وفي الجحيم من الغرائب ويقول له « ومثلها شفع وقع ، وفرتب عند الله ورفع ، والنتيها مفتوحة بتجويد صدر من بليغ مجيد وسبغ قدرة ربنا جلت عظمتها ان يجعل كل حرف منها شبح نور .. » الى آخر ما ذكر عن هذه الرسالة مما لا أراه فيها هازلاً منقاداً لا جاداً معتقداً وحسبك قوله « وانما أذكرها لانه قد يجوز ان يقرأ هذا الهذيان ناشئ لم يبلغه ذلك » .

واما ظاهر ما فيها من الفاظ التقوى ، فليس بمحجة على نفي ما أقول واليك عبارته عن المنابي : واذا رُجع الى الحقائق فنطق اللسان لا ينبي عن اعتقاد الانسان لان العالم مجبول على الكذب والنفاق ويحتمل ان يظهر الرجل تديناً وانما يجعل ذلك تزينة الى آخر ذلك .

ولم يكن ابو العلاء ممن يحسب لفظ الزنديق شتماً او تحقيراً وانما هو وصف يراد به ان الموصوف بهذا اللفظ لا يدين بمذهب من المذاهب ، وهو المعبر عنه في كتب اللغة ، وقد وصف به كثيرين ممن ذكروا في رسالة القرآن ، لا تحقيراً بل بياناً وتمييزاً .

واما اختياره تسمية هذه الرسالة برسالة القرآن ، فلا أدري أهو الذي اسماها

أم ابن القارح أم سواء ، والارجح ان يكون هو المسمي ولعله استحب لها اسم الغفران
لطلاوة وقعه في الآذان وقد أراد به التفاؤل لصاحبه بالغفران أسوة بمن ذكرهم من
الزنادقة والملاحدة والكفار ، الذين سيرام في الجنة راتعين وقد نجوا من عذاب النار ،
وغفر الله لهم لكلمة خير قالوها ، أو بيت فيه وصية صالحة ، يريد ان كتاب ابن القارح
« في ثقبيل الشرع » وذنم من ترك الوقوف عند حدوده ، سيكون سبب الغفران له
ودخوله الجنة كغيره من الزنادقة ، وهو برهان لما ذكرناه من ان ابن القارح ايضا كان
من الزنادقة ، وان كتابه لا ينبغي عن اعتقاده ، وان ابا العلاء رام ممازحته في مضمون
الكلام والثناء عليه في ظاهره ، وامل نصدي ابن القارح لتأليف تلك الرسالة في
ثقبيل الشرع اي لزوم حدوده ، مما كان عليه من الزندقة التي كان يپوح بها لابي العلاء
في خلواتها ، هو الذي وحى اليه موضوع رسالة الغفران وابتكاره ، فكان آية في
الزل صورته الجدة ، وثوب تقريظ صداه النفل ولحمته الحمد .

وقد آن لي ان أذكر جملاً منها نوضح لك غرضه في الانتقاد على ثوب الانتقاد
وهزلاً يضحك الناكل والمتفجع ، ويشغل عن الراضع المرضع ، وهزلاً ترتعش له
المفاصل ، وترتعد منه الخصائل ، بآية بيان يعجز المصور عن تصويره بعد دقيق اللحظ ،
بأبداع وصف وأبرع لفظ ، وقائله لم ير نوراً ولا تصويراً ، منذ كان طفلاً صغيراً .

« الطواف في الجنة »

قال بعد وصف خمر الجنة : فأما الانهار الخمرية فتلمب فيها سمائك هي على صور
السمك بحرية ونهرية ، وما يسكن منه سبغ الميراث النبعية ، وبظفر بصروب النبت
المرعية ، الا انه من الذهب والفضة وصنوف الجواهر ، المقابلة بالنور الباهر ، فاذا مد
المؤمن يده الى واحدة من ذلك السمك شرب من فيها عذبا لو وقعت منه الجرعة في
البحر الذي لا يستطيع ماء الشارب ، لحلت منه أسافل وغوارب ٠٠٠ وكأني به ادام
الله الجمال ببقائه اذا استحق تلك الرتبة يبقين التوبة ، وقد اصطفى له ندامي من ادباء
الفردوس ، كأخي شمالة واخي دوس ، ويونس بن حبيب الضبي ٠٠٠ وهو ايد الله العلم
بجياته معهم كما قال البكري :

(نازغتهم قضب الريحان مرثقا وقهوة مرة راودفها خضل)

وابو عبيد: يذكركم بوقائع العرب . . . وتمش تقومهم للعب فيقذفون تلك
الآنية في أنهار الرحيق . . .

ثم برينا الشيخ علي بن منصور وهو ابن الفارح نفسه ينتقل في أمصار الجنة فيسأل
حميد بن ثور: وهو الذي يقول:

(اري بصري قد رايتني بعد صحرة وحبك داء انت تصيح وتسلما)

كيف بصرك اليوم فيقول اني لا كون في مغارب الجنة فألمح الصديق من اصدقائي
وهو بمشارفها ويأتي بينه مسيرة الالف أعوام للشمس التي عرفت مسيرها في
العاجلة . . . ثم يخطر له حديث شئ يسمى التزمة في الدار الثانية فيركب نجيباً من
نجب الجنة خلق من ياقوت ودر ، في سبح بعد عن الحر والقر . . . ثم يصنع مأدبة
في الجنان يجمع فيها ما أمكن من الشعراء ويعدد ما فيها من ضروب الماعون العسجدية ،
والخون الذهبية ، والفواير^(١) من اللجين والصحاف العجيبة والأقداح والكؤوس
ذوات التصاوير والأباريق والزجاجات ، والبواطى والطاسات ، من أشكال الجواهر
وأشكال الأنظمة وأجناس الطير والحيوان ، وكل طهارة حلب منذ عمرت الى ما بعد
البعث ، وجميع المقتنيات والمغنيات ، تخدم بين ايديهم جوار من الطور العين ، وغلابة
كانهم الأولاد المكنون ، وينشيئ الله بحكمته شجرة جوز تنفض عدداً لا يحصى الا الله
لنشق كل جوزة عن اربع جوارير يقصن على أيسات الخليل فتتهزأ رجااء الجنة . . .
ثم يرى بين من يخاطبهم من الشعراء عبيداً فيقول: السلام عليك يا اخا بني اسد
فيقول وعليك السلام . واهل الجنة أذكاء ، لا يخالطهم الاغبياء ، لملك تريد ان
تسألني بم غفر لي . . . ثم يساجل الشعراء ويحضر مآثرهم ونشأتهم ويفترق اهل
ذلك المجلس بعد ان اقاموا فيه كمر الدنيا اضعافاً كثيرة .

ومن منزله فيبته وبنما هو (اي الشيخ علي الفارح) بطوف في رياض الجنة لقيه
خمسة نفر فيقول ما رأيت أحسن من عيونكم من اهل الجنان فن انتم خلد عليكم التيميم
فيقولون نحن عورات قيس . . .

(١) خوان الطعام او الموائد .

ومن هذا الباب طلب رضوان جواراً منه ليدخله الجنة ونظمه قصيدة الى آخر هذه الحكاية البديعة .

وابدع من ذلك واغرب قصصه على لسان ابن القارح كيف حُشر وحوسب الى ابن يقول : فلما خلصت من تلك الطموش ^(١) قيل هذا الصراط فاعبر عليه ، فوجدته خالياً لا عريب ^(٢) عنده ، فلبوت ^(٣) نفسي في العبور ، فوجدتني لا استمسك فقالت الزهراء صلى الله عليها لجارية من جواريتها بافلانة اجيزيه فجعلت تمارسني ^(٤) وانا اناظ عن يمين وشمال فقلت يا هذه ان اردت سلامتي فاستملي معي قول القائل :
(ست ان اعيالك امرئ فاحمليني زَقَفُونَه)

فقلت وما زَقَفُونَه ؟ قلت ان يطرح الانسان يديه على كتفي الآخر ويمسك بيديه ويحمله ويطنه الى ظهره ، اما سمعت قول الجحيجلول من كفر طاب ؟

صلحت حالي الى الخلف حتى صرت امشي الى الوري زَقَفُونَه
فقلت ما سمعت بزَقَفُونَه ولا كفر طاب الا الساعة ، فتحملني ويجوز كالبرق الى آخر ما ذكر ؟ . ومن هذا الباب ايضا عريضة نابغة بني جمدة والاعشى ومنها : ويثب نابغة بني جمدة على ابي بصير فيضربه بكوز من ذهب فيقول اصليح الله به وعلى يديه لا عريضة في الجنان انما يعرف ذلك في الدار الغائية بين السقاة والعجاج وانك يا ابا ليلى لم تترع ^(٥) .

ومن بدائع مفاكهاته : فيأخذ سفرجلة او رمانة او نفاحة او ما شاء الله من الثمار فيكسرها فتخرج منها جارية حوراء عينا تبرق لحسنها حوريات الجنان فتقول من انت يا عبد الله ؟ فيقول انا فلان ابن فلان : فتقول اني امدني بلقائك قبل ان يخلق الله الدنيا باربعة آلاف سنة . . . ويخطر في نفسه وهو ساجد ان تلك الجارية على حسنها ضاوية ^(٦) فيرفع رأسه من السجود وقد صار من ورائها ردف يضاهي كتيبان عالج ، وانقاء الدهن ، ورملة يبرين وبني سعد ^(٧) ، فيمال من قدرة الله اللطيف الخبير .

(١) البلايا والمصاعب . (٢) اي لا احد . (٣) جربت . (٤) تلاعبني .

(٥) منسرع الى الشر . (٦) نجيفة . (٧) اسماء تلال من الرمل كالجبال الصغيرة

مشهورة عند العرب .

و يقول يا رازق المشرقة سناها ، ومبلغ السائلة مناسها ، والذي فعل ما اعجز وهال ،
ودعا الى الحلم الجمال ، اسألك ان تقصر بومس^(١) هذه الحورية على ميل في ميل ،
فقد جاز بها قدرك حد التأمل . . . (ستأتي البقية)

القاهرة :
فسطاكي المحامي
عضو المجمع العلمي العربي

اعضاء المجمع في الغرب

السيد پدرسن (Pedersen) له نيركي

ولد الاستاذ پدرسن يوم ٧ تشرين الثاني ١٨٨٣ واختلف منذ من السابعة الى
مدارس مختلفة حتى سنة ١٩٠٢ ودخل جامعة كوبنهاغ فدرس اللاهوت وعني عناية
خاصة بدرس التوراة ولا سيما العهد القديم وقد اوصله درس اللغة العبرية التوراتية الى
دراسة سائر اللغات السامية ولما جاز الامتحان سنة ١٩٠٨ عني من سنة ١٩٠٩ —
١٩١٢ بالدروس السامية في ألمانيا وهولاندة وباريز وبودابست ونال سنة ١٩١٢
شهادة الدكتوراه بتأليف كتبه على اليمين عند الشعوب السامية وفي الاسلام .
وفي سنة ١٩١٦ عين استاذاً للعهد القديم في جامعة كوبنهاغ وخلف استاذة القديم
الاستاذ بول منذ سنة ١٩٢٢ في تدريس اللغات السامية . وعني عناية خاصة بالعبرية
والعربية . وعاون من سنة ١٩١٣ — ١٩١٩ في المجمع العربي الذي بعده الاستاذ
فيشر الالماني للنشر في ليبسيك وذلك بشيئة شواهد عربية قديمة ولا سيما من
الشعر القديم .

وفي سنة ١٩٢٠ — ١٩٢١ رحل الى مصر وفلسطين وسورية لدرس العربية
الحديثة والتوسع في معرفة الاسلام . وله بضعة تأليف منها ما كتبه بالداينيركية
ومنها بالالمانية ومنها في بعض موضوعات التوراة ومنها نقول دينية اسلامية . ومن

ابجائه رسالة في بلاد العرب الوسطى والواييين وأخرى في الدليل على اليوم الآخر من القرآن ورسالة على الازهر الشريف وتاريخ التعليم في الإسلام . وهو مؤثر في الموسوعات الإسلامية وفي عدة مجامع ومجلات كتب فيها مقالات او عارض فيها نصوصاً باخرى . وقد انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي منذ سنة ١٩٢٢ ولنا به صحيفة وأنسة ابام كونه في دمشق .

— ❦ —

مطبوعات حديثة

الذئف

« لابن رشيق القيرواني وزميله ابن شرف »

أودع الي المجمع العلمي رسالة بهذا العنوان هداية من زميلينا الناضلين محب الدين الخطيب وعبدالفتاح قتلان صاحبي المطبعة السلفية في مصر لا تتجاوز صفحاتها المائة والعشرين من القطع الصغير وهي مما عني بجمعه السيد ابي البركات عبدالعزيز اليمني الساني الراجكوتي الاستاذ بالكلية الشرقية في مدينة لاهور (عاصمة بنجاب الهندية) مشفوعة برسالة أخرى تطوي على ترجمة ابن رشيق عذا سأتكلم عنها في فرصة ثانية ان شاء الله .

ولقد وضع لي مما طالعت في تلك الرسالة ان ابن رشيق لم يجمع شعره جال حياته وبدوته فبقيت فرائده مبعثرة لتلاعب بها ايدي الضياع الا مارواه واستشهد به بعض المؤلفين من أساطنة التاريخ ونوابغ اهل الأدب مما جاء متفرقا في كتب شتى فبعثت الغيرة السيد ابي البركات المشار اليه الى التماسه من مواطنه باذلا الوقت والعناية حتى نسي له الاشتغال عليه نقا ومقاطع وابياناً فذة نسقها في هذه الرسالة مرتبة على حروف المعجم وذيل صفحاتها بحواشٍ ذكر فيها المآخذ التي نقل عنها مع تعيين الصحيفة والطبعة واسم الكتاب المأخوذ عنه ثم شفع كل ذلك بشرح لطيف لما ورد في المتن من الالفاظ اللغوية التي قد تغرب معانيها على معظم القراء وهي طريقة جذبا لو تحداها عامة الكتبة والمنشئين لما ينجح عنها من الفائدة وصحة التثبت من الرواية لمن يرضيه ذلك .

أما شعر الرجل فهو غاية الغايات في الرقة والطلاوة وحسن السبك ولصاحبه من سمعة الخيال والقدرة على الابتكار والاجادة في مختلف المناحي وشئى المقاصد ما لا يضارعه فيه الا أنذاذ معدودون من فحول القريض . من اجل هذا رأيت ان أثبت هنا للقراء الأفاضل طائفةً صالحةً من تلك الننف الغوال نفكة وذكرى . من ذلك قوله في وصف الزرافة :

(جمعت محاسن ما حكت فتناسبت في خلقها وثنانت الاعضاء)
 (تحتها بين الخوافى مشيةً بارهاها الكبر والخيلاء)
 (وتمدُّ جيداً في الهراء يزيناها فكأنه تحت اللواء لواء)
 (سطت ماخرها واشرف صدرها حتى كأن وقوفها اعياء)
 (نعم التجافيف التي ادرعت به من جلدها لو كان فيه وقاء)

وقوله متمزلاً وفيه معنى رائع :

(ان كنت تنكر ما منك ابتليت به فان برء سقاي عزء مطلبه)
 (اثمر يعود من الكبريت نحو في وانظر الى زفراي كيف تلمبه)
 وقوله وهو سب في غاية الابداع :

(سألت الارض لم كانت معالي ولم كانت لنا ظهراً وطيباً)
 (فقالت غير باطقة لاني حويت لكل انسان حبيباً)

وقوله وفيه من لطف الصباية ما شاء الوجد الصادق :

(ومن حسنات الدهر عندي ليلة من العمر لا تترك لايامها ذنباً)
 (خلونا بها تنفي القذى عن عيوننا بلؤلؤة مملوءة ذهباً مكباً)
 (وملنا لتقبيل النور ولثمها كمثل جنوح الطير تلتقط الحباً)

ومثله وهو اعذب واغرب وفيه من سلامة الاختراع ما لا يخفى :

(قبلت خداً منه أضرم لوعي وجعلت اطقى حرها برضايه)
 (وضيمته للصدر حتى استوهبت مني ثيابي بعض طيب ثيابه)
 (فكأن قلبي من وراء ضلوعه طرباً يخبر قلبه عما به)
 وله مما جئت :

(لك مجلس كنت بشارة لمونا فيه ولكن تحت ذاك حديث)

(غنى الذباب فظل يزمر حوله فيه البعوض ويرقص البرغوث)

ومن مبتكراته قوله من ايات :

(كادت خلاخيل من اهورى نبوح به سرّاً وغصت بما فيها دماجه)

وله في ذم الصباح وهو من غرر معانيه :

(كيف لا ابغض الصباح وفيه بان عني اولو الوجوه العرياح)

وله وهو انيق رشيق :

(لو وضع الورد على خده ما عرف الخلد من الورد)

(قل للذي يعجب من حسنه اقرأ عليه سورة الحمد)

وقال يصف خالاً بين الجيد والخذل :

(حبذا الخال كامنًا منه بين الـ جيد والخذل رقبته وحذارا)

(رام لقيبله اختلاصاً ولكن خاف من سيف لحظه فتواري)

وله وهو من الحكمة الرائعة بمكان :

(في الناس من لا يرتجى نفعه الا اذا 'مس' بأضرار)

(كالعود لا يطعم في طيبه الا اذا أحرق بالنار)

وله في وصف السحاب :

(سحاب حكّت شكلى أصيبت بواحد فمماجت له نحر الرياض على قبر)

(تفرق دمعاً في خدود نوشحت مطارفها بالبرق طرزاً من التبر)

(فوشي 'بلا رثم' ونسج 'بلا يد' ودمع 'بلا عين' وضحك 'بلا ثغر')

وما جاء في الرسالة من شعر ابن رشيق فهو بالجملة آيات بينات ، اما زميله ابن شرف

فهو شاعر متوسط الطبقة لا يدل ماورد في الرسالة من منظومه على خيال سامر وأسلوب

ممتاز وهو في كل حال دون منظوم ابن رشيق بمراحل ومن أجود مايمزى اليه قوله :

(والكأس كاسية القميص كأنها لوناً وقدرأ معصم مخضوب)

(هي وردة في خده وبكأسها تحت القناني عجمد مصبوب)

وما دُما به الرسالة ما جاء في بعض محترفاتهما من فحش الكلام وبذشه ومما

لا يقتصر إثباته في كتب الأدب ولو وكل الأمر اليّ لاستجرتُ حذفه وإن اخلتُ
بشروط الأمانة إذ عارضتُ على الأدب أن يُمزج بما يغري على سوء الأدب .

عضو في المجمع العلمي

سليم غنموري

عدة الاديب

وضعه وشرح الفاظه اللغوية السيدان سليم الجندي ومحمد الداودي

الجزء الثالث ص ٩٦ طبع في مطبعة الترقى في دمشق ١٩٢٦ - ١٣٤٥

يوالي هذان الاستاذان المحققان نشر السلسلة البديعة التي بدأ بها وفيها طرف
من شعر الشعراء والكتاب محدثين ومتقدمين وشيخ من تراجمهم ونحن لا عجبنا بكتاب
العدة نقول للمؤلفين ما قاله صاحب بن عباد وقد اطلع على كتاب الفاظ الكتاب
المشهور الذي ألفه عبد الرحمن بن عيسى المذاني الكاتب : لو أدركته لأمست بقطع
لسانه ويده فسئل عن سبب ذلك قال : لأنه جمع شذور العربية الجزلة المعروفة في
أوراق يسيرة فأضاعها في أفواه صبيان المكاتب ورفع عن المتأدبين عنت الدرس والحفظ
الكثير والمطالعة الدائمة اهـ . ونرجو للمؤلفين الصديقين المعونة على اتمام ما يسهل على
أولادنا تناول المختار من الكلام الجزل مشروحاً منقحاً لينشأوا فصحاء بلغاء . م . ك

مركز المرأة في قانون حمورابي

« والقانون الموسوي »

ألفه (جان أمل ربك) وعريبه الاستاذ سليم العقاد . وقد طبع في المطبعة

المصرية بمصر في نحو ١٢٠ صفحة بالقطع الصغير

موضوع الكتاب بحث اجتماعي عائلي يصور لك مركز المرأة والأطوار التي تقلبت
فيها خلال التي سنة أي من (٢٥٠٠) ق م إلى (٥٠٠) ق م وقد كسر بحثه على
أدوار أربعة :

(١) مركز المرأة في شرائع البابليين الأول أي منذ أربعة آلاف وخمسمائة سنة وقت ان كانت المرأة تحجب عن الانتظار وبيعها ابوها وفاء لدينه بالدرم والدينار وقت ان كان الحق للرجل في ان يطلق امرأته بمجرد قوله لها انت لست امرأة لي فتطلق من دون ان يلحق الرجل ملام او تبعة من الحياة الاجتماعية ، اما اذا طلقت المرأة زوجها فائلة (انت لست زوجا لي) أغرقوها في النهر للعالم وان أفلتت من الاغراق طردت من الحياة الاجتماعية ذليلة طول عمرها . وقت ان كانت تبيع نفسها مرة في العمر لمن أراد ملاستها في هيكل الربة ميلينا (الزهرة) مقابل جعل من المال يعتبر مقدسا .

(٢) مركز المرأة في شرائع حمورابي اول ملك بابلي دونت شريعته ووصلت اليها وذلك سنة (٢٠٠٠) ق م تقر بها هذه الشريعة نسخت الشريعة الاولى ورفعت من قدر المرأة بالقدر الذي استعدت له حالة البشر يومئذ لكن بقي فيها بعض الخزيات مثل ان المرأة المتهمه بالزنا تلقى في نهر فاذا طفت على وجه الماء كانت بريئة وان رسبت كانت فاعلة والمدافعون عن شريعة حمورابي يقولون ان الكنيسة في المصور الوسطى كان لها في تحقيق النعمة مثل هذه الطريقة وكانت تحمي (حكم الله) .

(٣) مركز المرأة في شريعة إسرائيل الاولى وان مركزها في هذا العهد يشبه مركزها تقريبا في العهد الحورابي مع قليل من الاصلاح في بعض الشؤون من ذلك لخطيس الزانية المتهمه فقد استعاض الاسرائيليون منه بتجريح (الماء المر) ذلك انهم يسفونها ماء مقدسا ممزوجا بتراب وطنه النعال فتجرعه المسكينة فانت ضررها وأفسد صحتها كانت زانية والا كانت بريئة .

(٤) مركز المرأة في شريعة موسى أثبت المؤلف ان هذه الشريعة رفعت المرأة الى المستوى الشريف اللائق بها وأقام على ذلك الأدلة والبراهين من اقوال كبار العلماء المؤرخين واللاهوتيين نعم بقي فيها شيء موضع نظر مثل مسألة تجريح الماء المر وامتحان الزانية به . وبين شيئا من حكمته بالجملة ثم رد على من قال ان شريعة حمورابي أفضل من شريعة موسى بالنسبة الى رفع شأن المرأة بل ان المؤلف تخطي الى تفضيل شريعة موسى على شريعة (القانون المدني الفرنسي) وقابل بينهما مادة مادة بمادل على اختلافه وطول

باعه في التاريخ واللاهوت وضرب لذلك مثلاً مسألة حرية تصرف المرأة في ما تملك فالشريعة اليهودية صوغت لها ذلك ضمن دائرة محدودة فجاءت الشريعة الموسوية ووسعت تلك الدائرة ، اما القانون الافرنسي فانه حجر عليها وجعلها كالقاصر بحيث لا يجوز لها التصرف مطلقاً الا بإرادة زوجها .

هذه هي خلاصة موضوع الكتاب ونودجات من المباحث التي أفاض فيها مؤلفه إفاضة ممتعة ، اما عرض المترجم الاستاذ سليم العقاد^(١) من اهداء الكتاب مترجماً بلغة عربية فصيحة الينا معشر العرب فهو تنبيهنا الى ما يجب علينا اليوم من امر إصلاح شأن المرأة المسلمة فهو كأنه يقول ان على المرأة المسلمة واجبات ولا يمكن مطالبتها بما لم نوفرها حقوقها وقد قامت الهيئات في البلاد العربية حول حقوق المرأة وواجباتها وكثير اللفظ والجدل حتى كاد يؤول الى ما لا تحمد عقباه فهو بهذا الكتاب كأنه يرفع يده مشعلاً من عبر التاريخ او هو لعمري يرفع مرآة وكأنه يقول لرجال الدين انظروا فيها وتبينوا مركز المرأة المسلمة بين اخواتها منذ اربعة آلاف سنة الى اليوم . لا جرم ان المسلم لبياسي بما صنعه شريعته للمرأة المسلمة مذ حماتها من مثل لعنة (النخطيس في النهر) و (فخر المير) بل يفخر وحق له ان يفخر مذ يرى شريعته اعطت المرأة من حق التصرف بما لها كتصرف الرجال تماماً ذلك الحق الذي حرمتها اياه حتى الشريعة الافرنسية - حقاً ان هذا يملأ نفس المسلم صلفاً وعجباً ومباهاةً بنبيه صلى الله عليه وسلم الذي رفع عن المرأة الاصر والأغلال التي قيدتها بها شرائع الأمم الاخرى . ولكن لا يلبث ذلك العجب والتهيب ان تخمد جمرته مذ يرى علماء الاجتماع يرفعون عقيرتهم بالشكوى من لعنة الطلاق في الشرائع الانسائية الاولى التي يطلق الرجل بموجبها زوجته لأهون الاسباب واثفه الدواعي ، فالمطلقة المسكينة على هذه الصورة تبقى مضفة بين الناس متسائلين ما ذا عساه يكون السبب في تطليقها حتى جاءت الشريعة الموسوية فأمرت المطلق بان يسلم زوجته (كتاب طلاق) يبرؤها من كل تهمة ووضعته تحط من قدرها . وها نحن اولاء معشر المسلمين اليوم نعامل المرأة من هذه الوجهة بما كانت تعامل به في شريعة البابليين والانسائيين لا يلبث الرجل ان يفضب على زوجته

(١) هو غير الاستاذ السيد محمود عباس العقاد عضو المجمع العلمي العربي .

لما لا يُعلم من الأسباب . فيطلقها ويطرحها كالشيء اللقا خارج الأبواب . فهل يتصور في العقل ان محمداً صلى الله عليه وسلم الذي اعطاها في الحياة والعلم والمال والكرامة كل حق يعرفها لمثل هذا الامتحان لا والله . فعلى اخواننا علماء الاسلام ان ينظروا في المرأة التي رفعا لم الفاضل العقاد فان في ذلك الحق والسداد . المحمدي

اعلام العراق

يتضمن سيرة المرحوم السيد محمود شكري الألوسي وتراجم طائفة من نوابغ أسرته . تصنيف تليذه السيد محمد بهجة الاثري . طبع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٥ هـ في نحو ٢٤٠ صفحة بالقطع المتوسط

قال الاستاذ مصنف هذا الكتاب في مقدمته شارحاً الغرض من تأليفه « ولما كنت أشد الناس اتصالاً به (اي بعلامة العراق المرحوم الألوسي) وشافته له ومعرفة باحواله فقد بعثني باعث الواجب والوفاء له وللتاريخ بمعا على ان اشرح سيرته العلمية والعملية وأخدم بها التاريخ الحديث » وكما وفي المصنف التفاضل حق استاذ به وضع هذا الكتاب أراد ان يفي به ايضاً حقاً آخر لجمعنا العلمي زآه واجباً عليه فجعل كتابه مقدمة له ورقم ذلك بالطبع على نسخته فقال مانصه : « الى الجمع العلمي العربي الجليل : هذه زهرة افئذتها من رياض الشباب وآثرت ان أقدمها اليك والهدايا على قدر مهيها » فيكون هذا المصنف اول كتاب أهدي الى الجمع على هذا النمط من الاهداء ولذلك حق على جمعنا ان يشكر للمهدي صنيعه ويقابل ثقته هذه بالارتياح والاغتراب . افتتح المصنف الكتاب بفصول ضممتها نشأة أسرة الألوسي في بغداد ثم اتى على تراجم بعض نوابغهم ونشر رسومهم ورسوم بعض أبنائهم . وأشهر هؤلاء النوابغ السيد محمود الألوسي صاحب التفسير الكبير (المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ) وهو جد المرحوم محمود شكري الألوسي ومن أشهر نوابغهم ايضاً عمه السيد نعمان مؤلف كتاب (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) (المتوفى سنة ١٣١٧ هـ) ثم أفاض المصنف في ترجمة استاذ

فاستغرقت نحو ثلثي الكتاب : فأتي على ذكر دراسته وأساتذته وتدريسه ثم تأليفه كتاب (نيل الأرب) الذي اخذ عليه الجائزة والوسام الذهبي من (اسكار الثاني) ملك اسوج ونروج . ثم مصنفاته الاخرى . ثم حادثة تقيته الى الموصل (سنة ١٣٢٠هـ) بسعاية اعدائه لدى والي بغداد ثم عودته الى وطنه بعد شهرين وذلك بالمساعي الجميلة التي قام بها اهل الموصل لدى السلطان عبد الحميد ثم ذكر تكليف الحكومة التركية له في اول الحرب العامة ان يسافر الى نجد ويفاوض صاحبها ابن سعود في انجاء الأتراك ثم وصف حفلات التأبين التي أقيمت له بعد وفاته ومن جملتها حفلة المجمع العلمي بدمشق ثم أسهب في وصف اخلاق استاذة واطواره ومبالغه وقارنته للحنو بين الجامدين وقد ذكر نقفاً من اقواله وآثاره الدالة على ذلك وهي من اكبر الشواهد على رسوخه في العلم وعقيدة السلف وحبه الشديد للاصلاح . كما تدل على مبلغ خسارة العالم الاسلامي بفقده رحمه الله . وكنا اثناء تصفحنا لهذا الكتاب نعجب لذكاء مؤلفه وحسن تصرفه في الثناء على استاذة . وكنا نرى علم استاذة واخلاقه وطريقته في الاصلاح وشدة وطلاته على الجامدين — كل ذلك منجماً فيه ضارباً قبابه عليه . فما أشبههما بالشيخ ابن نية وتلميذه ابن قيم الجوزية : فكما كان هذان كوكبي اصلاح — في العصور المتوسطة كذلك كان الألوحي وتلميذه الاثري في هذه العصور المتأخرة . وان كان الدهر نجحنا بالاستاذ الشيخ ، فندعو الله ان يمنح المسلمين زمناً طويلاً بالتلميذ الذي ما زال في ميعة الشباب . وغضاضة الأهاب . وهو مع كونه لم يزل ابن لبون . قد شأى المقرمين واستطاع ان يبد البزل المصاولين . ولم نجد في كل ما كتبه المؤلف اثر الغلواء الشباب . اللهم الا ثلاث جمل كنا نحب ان يتنزه عنها الكتاب : كلمة في ص ٣٧ وردت في وصف ابي الثناء محمود لنساء الاستانة . وكلمة أخرى في ص ٩٩ فيها شتم لرجل فضي نجه . وكلمة ثالثة في ص ١٣٥ فيها تمقير لرجل شهير لاشبهة في فضله ونبوغه . نعدث على صدقة المؤلف هذا . لمقن تبعته على شبابه لا عليه وهو . ووضع الثقة في ان يحل نقدنا محله ويصغي اليه .

له

المرأة الحديثة وكيف نسومها

تأليف السيد عبد الله حسين الخريج في الحقوق والعلوم السياسية . عني
بنشره السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة المصرية ص ٢٦٠

بدور البحث في هذا الكتاب حول الطور الجديد الذي دخلت فيه المرأة لا سيما بعد الحرب العامة وكيف أصبح للرجل أزماءه موقف غير موقفه الأول من حيث سياستها ومعاملتها ومعاشرتها فلم يعد في إمكان الرجل ان ينظر اليها كآلة لحرارة بيت بل غايه ان يعتبرها شريكاً له في هذه الحياة عونا على تحصيل السعادة والهناء العائلي . فليجتهد إذن في تربية هذه الشريك التربية العائدة بالنفع عليهما معا . وهذا ما قاله المؤلف مبيناً الغرض من تأليفه (أردنا بمبحثنا ان نعلم كيف يجب ان يسوس الرجل المرأة الحديثة بعدما تطورت هذا التطور بخبره وشره ، فضائله وورذائله) ولغة المؤلف وانشاؤه ليس من الطبقة الراقية على العكس من تفكيره وتوقد بصيرته في الموضوع الذي يكتب فيه على ان الفصول الاولى التي افتتح بها الكتاب ضمنها الكلام على المرأة الانكليزية وتطورها الحديث وهي مترجمة عن الانكليزية للأوسيو جليليان من اشهر علماء الاجتماع الادري واحد اساتذة المؤلف . ويحتوي الكتاب على عشرين فصلاً ضمنها اهم ما تجب معرفته من علاقات الرجال بالنساء من حيث النزاع واسباب سوء التفاهم بينهما وتحديد الحقوق التي لها والواجبات التي عليها وصفات الزوجة واختيارها والزواج والطلاق والامانة الزوجية وان في الاخلال بها إخلالاً بالعائلة وإضاعة للنسل والتزيج بالاجنبية ووجوب العفاف وفوائده وانه لا يفسد الصحة كما يزعم بعضهم وغير ذلك مما يهم الجنسيتين معرفته . وبالجملة فان هذا الكتاب كسائر الكتب التي تصدرها المطبعة المصرية فائدة وإثقاناً .

له

كتاب الاخلاق

مؤلفه صموئيل سميثز الأسكتلندي المولد اللندني النشأة (١٨١٢ — ١٩٠٤)
 حاز هذا الكتاب إقبالا في انكلترا وأمريكا ونقل من الانكليزية الى لغات عديدة .
 جعل مؤلفه جل اعتماده في تقرير الأسس الأخلاقية التي تكلم عنها على خصال
 وأقوال لا أكثر من اربعائة من رجال ونساء اشتهروا بالدهاء والفضل من القدمين
 والمتأخرين منهم اليوناني والروماني والانكليزي والفرنسي والالماني والاطالقي والروسي
 والصيني والهولندي والامريكي .

نقل هذا الكتاب الى العربية الاستاذ محمد الصادق حسين خريج مدرسة المعلمين
 العليا ومدير الادارة العربية بوزارة المواصلات بمصر بعبارة فصيحة وأسلوب حسن لا يكاد
 يظهر عليه اثر الترجمة ، مصدقا عليه من لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وهو مطبوع
 في مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٣٤٢ — ١٩٢٤ طبعاً معني به ، وان كان فيه بعض اغلاط
 منها ما لا يصعب الاهتداء الى صحيحها ومنها ما ربما لا يتبادر الى الذهن صوابه نحو :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧١	٨	الشجرة	الهجرة
١٥٥	٢٠	للقادحين	للقادحين
١٨٥	٤	هراوته	هراوته
١٩٥	١٠	للأولاد	للبنين
	١٢	الأولاد	البنين
٢٠٣	٩	خمورهن	خمورهن
٣٤٦	١٨	الساعة	الباعة
٣٥٦	١٨	والا ذا	ولنا ، او ، ولهذا

والحق انه لجدير بحب الاطلاع على اخلاق تلك الامم وآراء عظمائها في التربية
 والأخلاق ان يقرأ هذا الكتاب فانه يحصل له فكر وان في ذلك يستطيع ان
 يقابل به بين ما جاء عن علماء الأخلاق من العرب وما ورد عن اولئك الأعلام .

وقد وضع له الناقل ذيلاً فيه ترجمة موجزة لمن ورد لم ذكر في الكتاب ليتعرف القارئ منزلتهم في المفكرين فأحسن بذلك الصنع ، وحسبذا لو يوفق الى تأليف مثله عربي الوضع ، انما للنع .

من اعضاء المجمع العلمي

مسعود الكركبي

كتاب علم الفريزة (فسيولوجيا)

لؤلفه الحكيم احمد منيف العائذي استاذ علم الفسيولوجيا في المعهد الطبي العربي بدمشق .

هو كتاب عربي يقع في مجلدين كبيرين عدد صفحات اولهما ٢٥٠ صفحة وعدد الثاني ٤٩١ . الاول موشح بمائة واربعة وعشرين رسماً والثاني بخمسة وثلاثين . يبحث الاول في فسيولوجيا الخلية والبيئة الباطنة وتركيبها وغازاتها وجهاز الدوران والتنفس والمجموع العصبي والحراس والحركات وشروط أفعالها وقد لاحظنا ان المؤلف وضع بحث المجموع العصبي في المكان الذي ذكرناه مقدماً إياه على ما سواه من الابحاث نظراً الى شدة علاقته بجهاز الدوران والتنفس .

ويبحث المجلد الثاني في الهضم وجهازه وفي ملحقات الأنبوب الهضمي وأفعالها ومفرغاتها الداخلية والغدد ذات الإفراغ الداخلي وفعل التمثيل ومضاده والأغذية وفعل الاغذية والراتب الغذائي ومفرغات الاعضاء كالبول والعرق وغيرها وفعل التناسل والحرارة الحيوانية وغازات أدوار الحياة الباقية كالطفولة والشيوخه والمواد السامة وتأثيراتها . وقد رأينا ان هذا المجلد استوفى البحث في الغدد ذات الإفراغ الداخلي مما لم تذكر عنه المؤلفات الغربية الا النزر القليل وهذا دليل على ان المؤلف لم يكتف بترجمة المؤلفات الموضوعة ولكنه اقتبس كثيراً مما دونه في كتابه من المجلات والجرائد الطبية والمحاضرات التي القاها كبار الفسيولوجيين في باريس حين كان فيها كشارل ريشه وغيره . وكذلك القول عن السمية في الكيمياء الحيوية وعن الفسيولوجيا في الطفولة والشيوخه فانه ألم بها وذكرها منفصلاً فجاء كلامه عنها جامعاً مفيداً .

والكتاب محبوب تبويهاً حسناً منقن الطبع صقيل الورق صحيح العبارة يدل دلالة واضحة على ما عانى واضعه من الجهد في تأليفه فقد اقتبس من مؤلفات الفسيولوجيا العديدة ومن نظريات أعظم العلماء وأفكارهم وتجاربههم واختباراتهم من فرنسين وألمان وإنكليز وأميركان وروس وغيرهم من الأمم الحية ودوّنت فيه اختبارات الشخصية التي قام بها حين وجوده في البلاد الغربية فحاج مؤلفه من أغزر المؤلفات مادة واليك المأخذ التي عاد إليها في تأليفه واسترشد بها في وضع كتابه :

كتاب الفسيولوجيا : لشارل ريشه استاذ الفسيولوجيا في معهد الطب في باريس .

كتاب غلاي : معلم الفسيولوجيا في مدرسة فرنسا .

كتاب ارثوس .

كتاب لثون فريدريك ونوئل الاستاذين في جامعة لياج .

كتاب مورا : الاستاذ في جامعة ليون ومعاون دوايوت .

قاموس الفسيولوجيا : لشارل ريشه وزملائه .

قاموس الفنون الطبية : لدشامبر وزملائه .

كتاب الفسيولوجيا البشرية : لبونيس معلم الفسيولوجيا في جامعة فانسي .

كتاب الكيمياء الحيوية للامبلنج استاذ في جامعة ليل .

ولعمري ان مطالعة هذه الكتب العديدة ومقابلتها وانتقاء الاصلح منها وموضوعه في قالب عربي فصيح والفتل على العقبات اللمة التي تقوم في وجه المقدمين على التأليف في لغتنا العربية الشريفة كل هذا يحملنا على تقدير العمل الشاق الذي قام به حضرة المؤلف ويدفعنا الى تنهاته بيزور كتابه البديع الى عالم العربية بمجلة قشبية جديدة .

وقد جارانا حضرة الزميل في كس الألفاظ العربية باضافة النهايات الأجنبية اليها كالمضمين (لليسين) والمضمون (للبتون) والمضمون الثلاثي (للترسين) وغير ذلك . وقد احسن باستعمال القمة (لقلة الاشتفاء) والنطفة (للحوية) وبن المنوي (والدحداح) (للمسخ) وغير هذه من المصطلحات التي لم يستأثر بها وانما استعملها ريثما يقر رأي العلماء الاختصاصيين عليها او على ما هو اصلح منها .

غير ان الكتاب على الرغم من العناية به لا يخلو من الأغلاط المطبعية الكثيرة

ومن بعض الغلطات اللغوية التي كنا نتمنى لو صين عنها . هذا عدا مصطلحات علمية كثيرة لا يجاريه في وضعها بطول بنا المقام اذا جئنا على ذكرها ومنها ترجمة الفسيولوجيا بعلم الفريزة .

فنحن نشكر باسم المجمع العلمي للمهدي هديته هذه الثمينة ونحضر العلماء والزملاء على افتناء كتاب نفيس كهذا اهل لان يزدان به جيدهم اخزائن الطبعة والعلمية .

الحكيم

مرشد فاطم

عضو المجمع العلمي العربي

—••••—

هدية منطقية

أعدى الى المجمع العلمي الفاضل الارشمنديت نوما المألوف رئيس دير سيدية التينند جدولين وضعهما في علم المنطق (الاول) في أشكال القياس الاقترافي وضروبيها المنتجة وغير المنتجة . و (الثاني) لضروب القياس الاستثنائي المنتجة والعقيمة . فالمجمع يشكر له هديته ويلفت اليها انظار الذين لا يزالون ينظرون في منطق اربسطو و ينظرون خصومهم بمفتضى اصوله .

—••••—

دار الآثار العربية

جاء في تقرير الحكومة الافرنسية المرفوع الى جمعية الامم هذه السنة ما نعر به :
نما متحف دمشق كثيراً هذه السنة وخاصة بفضل اجتماع محافظه الامير جعفر حفيد عبد القادر واحد قدماء تلاميذ مدرسة اللوفر . وقد جعل هذا المتحف في بناية من بنايات القرن الثالث عشر (المدرسة العادلية) التي رمت بمرمتها منذ سنة ١٩١٩ بناء على ما ارتآه رئيس المجمع العلمي العربي محمد بك كرد علي . وقد جمعت في هذه البناية المجاميع التي كانت مبعثرة في بعض معاهد دمشق وضُمت اليها الوثائق التي اكتشفت في الحفريات ولا سيما حفريات الشيخ سعد والمشرقة ونل النبي مند وتدمر ام .

كتب ورسائل مختلفة

(١) التقرير السنوي للجمعية التاريخية الأميركية عن سنة ١٩٢١ — ١٩٢٣
 وضع الاول في ٢٥٥ صفحة والثاني في ٢٧٥ واسمه بالانكليزية هكذا :

Annual report of the American historical Association
 (1921 et 1923)

(٢) « العيون » تأليف الفيلسوف الهندي رابندرات طاغور تعريب السيد
 انيس الراسي طبعتها مجلة الجالية الفراء التي تصدر في سان باولو في برازيل واهدتها
 لمشتركيها يوم عيد الميلاد (٣٢ ص) .

(٣) « بلوغ المرام من احكام ذوي الأرحام » وفي ذيله « القول الصائب في
 تقديم ولد العاصب » مما رسالتسان في بحثين من باحث فن الميراث وضعها الشيخ محمد
 رحيم من علماء طرابلس الشام .

(٤) غريغور يوس الحجار مترجم بوليت عكا وحيفا والناصرة ومائر الجليل .
 ترجمة اعماله . نشرها السيد جميل البحري صاحب المكتبة الوطنية ومجلة ومطبعة
 الزهرة وجردة الزهور في حيفا بمناسبة يوبيله الفضي طبع بمطبعة الزهرة في حيفا ص ٢٢
 (٥) « مشاهد الحياة » نظم السيد اسكندر الخوري البيهقالي الجزء الاول طبع في
 القدس سنة ١٩٢٢ ص ٣٠٤ .

(٦) « حقائق وعبر » مقالات في موضوعات شتى نشرها السيد اسكندر الخوري
 البيهقالي طبع في مطبعة القبر المقدس في القدس ١٩١٣ ص ١٩٢ .

(٧) « الحياة بعد الموت » رواية تاريخية غرامية اجتماعية وقعت حوادثها اثناء
 الحرب العمومية ١٩١٣ — ١٩١٨ للسيد اسكندر الخوري البيهقالي طبعت بمطبعة
 الروم الارثوذكس بالقدس سنة ١٩٢٠ ص ٢١٦ .

(٨) « الداء والدواء » مجموعة مقالات اجتماعية للسيد اسكندر الخوري البيهقالي
 طبع بالقدس بمطبعة دير الروم ١٩٢١ ص ١٢٤ .



Bibliotheca Alexandrina



0652787